قصص

ترجمة وتقديم
د. عبد الحميد يونس



حكايات أندرسن

هانز كريستيان أندرسن

حكايات أندرسن

تأليف

هانز كريستيان أندرسن

ترجمة وتقديم

الدكتور عبد الحميد يونس

فهرس

هذا الحكاء العظيم

بقلم: د. أحمد يونس

قال الدكتور عبد الحميد يونس ضمن إحـدى مقابلاتـه التليفزيونية أنه أعاد قراءة حكايات أندرسن، عندما أصبح له أحفاد؛ عليه أن يـجد في كل ليلةٍ ما يقدمه لهم مـع كـوب اللبن الساخن قبل النوم. وبعدما انتهى من أوزيريس الذي علم الناس الزراعة وعِشـق الحياة والشرير ست وحورس الذي أرضعته أمه حب الوطـن؛ فضلاً بالطبع عن إيزيس الوفية، بعدما أجهز تماماً على جميع الملاحم والسير الشعبية التـي أعاد صياغتها بشقاوةٍ كانت على الدوام كامنةً تحت الجلد في صميم شخصيته، بعدما تأكد لديه أنه مضـطر إلى تكـرار ما سبق أن حكاه مراراً عن أمنـا الغولة والديب السحراوي وذات الرداء الأحمر، وعـن جحـا والسـندباد ومعـروف الإسكافي وملاعيـب شيحة وعلى الزيبق المصـري، وأن أحفاده أصبحوا يحفظون هذا كلـه عن ظهر قلب، إلى درجة أنهم لا يتورعون عن تذكيره بمـا قـد ينسـاه، ساعتـها

بالتحديد، قرر أن يعيش طفولتــه مرةً أخرى مع أحفاده فــي عالم أندرسن السحري، وأن يضم إلى مائدة العشاء ضــيوفاً، يختلفون من ليلةٍ إلى أخرى، كملكة الثلج أو عقلة الإصبع أو جنيات الغابة أو البجع البري أو منظفي المدخنة أو عرائس البحر.

أما أنا، فلقد تجلى أمامي في الرجل دون ســابق إنذار، من خلال هذه الاحتفالية المبهجة، جانب خفي، لم أكن أتخيل أصلاً أنه موجود: هذا الحــكاء العظيم! خاصــةً أن مــن على يديه أينعت طفولتي بالحواديت هو جدتي، التي هي أمه، لا هو. كعلم مصر الأخضر القديم، بهلاله الأبيض ونجومــه الثلاث، ستظل هذه السيدة ترفرف في ســماء ذاكرتــي مــا بقيــت حياً.

كنت أجلس هناك في الركن، كالزائر الغريب الــذي لا يتمتع بعضوية نادي الطــفولة الأبدي. أتابع مــن مــوقعي البعــيد هذا الطــقس السحــري الذي يتجدد يومياً في أواخر المساء. أراقب بانبهار كيف أن الأب المعلم الجليل ، الــذي أبداً ما تجاســرت على مخاطبتــه إلا بلقــب: سيــادتك، يتقمص جــميع الشخصيات. يقلد ابن البلد الذي يواجه الظلم

بالحيلة والطالب الثوري والفلاح المغلوب على أمـره، كـلاً بلهجته . الشرير عنده هو دائماً جوني السكران المتـوحش، الذي يجسد كل فظائع الاحتلال، أو من يخدمونه أو يتعاونون مع أخلاط البشر من الشراكسة المتعجـرفين أو اللصـوص الغرباء أو سواقط القيد. الشرير عنده دائماً هو التاجر الجشع أو السلطان أو حاجب السلطان أو الذين يـدعون لـه علـى المنابر أو ينسجون حوله البطولات الزائفة، ولا تكاد تخلـو حدوتةٌ من لاظوغلي الجلاد أو كوهين المرابـي أو الشـيخ متلوف الذي يصدر الفتاوى تبعاً لنزوات الحاكم.

كان صوته يتهدج، تعاطفاً مع ست الحسـن والجمـال، المعلقة من شعرها في ظل الأسر، وتضحك عيناه حين يتمكن الشاطر حسن من مراوغة الحراس وفك ضـفائرها بمجـرد تلامس الشفاه. كان يحاكي بصوته انهمار المطر وزمجـرة الرياح وصليل السيوف وصـراخ ضـحايا التعـذيب فـي زنزانات الطغاة وهتاف المتظاهرين وسنابك الخيل أو وقـع أحذية الجنود، كلما استباحت الأزقة الحجرية في هذه القاهرة الصابرة. ثم، يطول صمته، كأن الليل قد خيم علـى الـدنيا بأسرها، عندما ينهزم الناس الطيبون أمام قوى الشر.

ولم تكن حكايات أندرسن استثناء من البداية المحفوظة التي على أحفاده أن يرددوها معه: كان ياما كان! يا سعد يـا إكرام! ما يحلا الكلام، إلا بذكر النبي، عليه الصلاة والسلام!

وعلى ما أظن، فلقد شعر فجأة بأنه لا يستطيع أن يأخـذ على حِجره كل أطفال الوطن، كما يفعل مع أحفاده؛ فكان هذا الكـتاب .

مقدمة

في اليوم الثاني من أبريل عام ١٨٠٥، في إحدى جزر الدانمارك وبالتحديد في أودنس، ولد لصانع أحذيـة وامـرأة أُمية يعيشان بأحد الأحياء الفقيرة.. طفل أطلقا عليه اسم هانز كريستيان أندرسن.

كان هانز كريستيان طفلاً شديد الحساسية؛ يقظته مفعمة بالأحلام، مولعاً باللعب بالعرائس التي كان يصنعها له أبـوه شبيهة بعرائس المسرح، وكذلك بتـأليف القصـص ليقـوم بتمثيلها مع الأطفال الآخرين.

ولكنه عاش حياة فيها من الصعوبة والقسوة بقدر ما فيها من الدأب والمثابرة؛ خاصة بعد موت أبيه وهو مازال فـي الحادية عشرة من عمره؛ فاقتحم مجالات عديـدة، ومـارس حرفاً مختلفة، وعاني كثيراً من تهكم زملائه عليه وسخريتهم منه. غير أنه كان تواقاً أن يصبح مشهوراً؛ فقرر الذهاب إلى كوبنهاجن.

وهناك؛ نجح ـ ولو لم يبرح عامه الرابع عشر ـ فـي الحصول على عمل بالمسرح الملكي؛ راغبـاً فـي الشـهرة

كمغن وراقص وممثل، لكنه أُقْصِي من المسـرح الملكـي؛ فحاول كتابة المسرحيات التراچيدية التي رفضت لأنهـا لـم تكن صالحة تماماً للأداء المسـرحي. واسـتطاع أخيـراً أن يلتحق بجامعة كوبنهاجن في عام ١٨٢٨.

ونُشِر أول كتاب له عام ١٨٢٢ باسم مستعار هو ويليام كريستيان والتر؛ كأنما أراد أن يرصع اسمه الشخصي باسمي شكسبير وسكوت؛ كما لو كانا ذراعين يحتضنانه. لكـن أول شهرة حقيقية يحرزها كانت بنشر أول عمل هـام لـه عـام ١٨٢٩، وهو كتاب يصف فيه رحلة علـى الأقـدام خـلال شوارع كوبنهاجن. وفي العام نفسه؛ مثلت أول مسرحية لـه على المسرح الملكي.

وعاشقاً كان للـرحلات؛ فخـلال سـبع عشـرة سـنة متواصلة؛ زار الدول الإسكندنافية الأخرى؛ وإيطاليـا أرض أحلامه وإلهامه، وإسبانيا، والبرتغال، واليونان؛ بالإضافة إلى العديد من دول آسيا الصغرى وأفريقية. وقد سجل انطباعاته عن هذه الدول في عدد من كتب الـرحلات، وكـذلك فـي مذكراته، ورسومه.

وفي ألمانيا وفرنسا التقَى عدداً من الكتـاب والفنـانين الرواد. وفي إنجلترا؛ قوبل بحفاوة من المجتمع، وقابل عدداً من الكتاب المرموقين؛ من بينهم تشارلز ديكنز الذي بقي معه خمسة أسابيع في بيته بجادزهيل.

* * *

وفي عام ١٨٣٥؛ نشرت له أول أربع قصص للأطفال؛ تتضمن مختاراتنا منها ثلاثاً هي: القداحة، والأميرة الحقيقية، وزهور أيدا الصغيرة. ولـم يكـن يـدري هـو أو النقـاد الدانماركيون أنه أصاب فتحاً، وارتاد المجال الذي صار فيه الفذ المتفوق.

واستمر أندرسن ـ بعد ذلك ـ فـي كتابـة الحكايـات الخرافية والقصص التي يستخدم فيها عناصر خيالية؛ فكتـب مجموعة تتألف من مئة وثمان وستين قصة. ولقد انتشـرت في العالم كله؛ إذ تُرجِمت إلى أكثر من ثمانين لغـة. وهـي قصص توفرت لها عناصر الخلود؛ فالفن سـمتها، والشـعر روحها، ورحابة الخيال مرتعها، والأساطير الشعبية جذورها، وخبرة الحياة نبضها. وهي متعة للأطفال والكبار جميعاً؛ لأن

أندرسن قدم - بشجاعةٍ - المشاعر والأفكار التي تتجاوز الفهم المباشر للطفل، وفي الوقت نفسه يتردد صداها في عقله.

إن قصص أندرسن عالم سحري... عالم رائع غريب؛ ملىء بالحركة؛ زاخر بالصور؛ يجعل من الخيال بجنياته وكائناته غير المألوفة مرآة حية لحياة كل منا ولعالمنا الواسع الرحب. وهو في آخر المطاف؛ يرسو بنا على أرض تنسجم عناصرها، وتتناغم وتتآلف فيها المشاعر بعد عناء التساؤل والرغبة في التفاعل، والشوق إلى السعادة المفقودة؛ ليؤكد لنا إمكان الاستمتاع بلحظة السعادة.

أي موهوب هو! وأي مثابر دءوب! إنه الفنان... الشاعر... القاص... الرسام... هانز كريستيان أندرسن! الذي نجوب معه خلال هذا الكتاب المشتمل على مجموعة مختارة من قصصه... نجوب عالمه الساحر الممتع.

القَداحةُ

كان جندي يسير في الطريقِ... شِمال؛ يمين! شِـمال؛ يمين!. وكان يحمل حقيبتَه على ظهره، وسيفه يتـدلي إلـى جانِبه؛ فقد كان منْشَغِلاً في الحرب، وهـو الآن عائـد إلـى الوطن. قابل ساحرةً عجوزاً... مخلوقة فظيعة المنظرِ؛ فقـد كانتْ شفتُها السفلي تتدلي حتى صدرِها.

قالتْ: "صباح الخيرِ يا جندى! ياله مِن سـيفٍ لامـعٍ، ويالَها مِن حقيبةٍ تلك التي معك! أنتَ جندي بحـق، وسـوف يكون لك مِن المال قدر ما تشتهي!".

فقال الجنديّ: "شكراً لكِ؛ أيتها العجوز الساحرةُ".

فقالتْ؛ وهي تُشير إلى شجرةٍ باسقةٍ في جانبِ الطريقِ: "هلْ ترى تلك الشجرةَ الضخمةَ؟ إنها مجوفةٌ تماماً. تسـلقْها حتى القمةِ، وسوف تجد تجويفَها واسعاً؛ لدرجـةٍ تكفـي لأنْ تزحفَ مِن خلالِه، ثم انزلْ إلى داخل الشجرةِ. وسوف أربطُ حبلاً حولَ خصرك؛ حتى أستطيع أن أجذبك لأعلى عنـدما تنادي".

فسأل الجنديّ: "ولكن ماذا عليأن أفعلَ هناك؛ في أسـفل الشجرةِ؟".

فردت الساحرةُ: "عجباً! تأتي بنقـودٍ؛ يقينـاًا! إذْ حالمـا تصلُ إلى القاعِ؛ فستجد نفسك في قاعـةٍ كبيـرةٍ؛ يغمرهـا الضوء لأن فيها أكثر مِن ثلاثمئةِ قنديلٍ متَوقِدٍ. ثم ترى ثلاثةَ أبوابٍ؛ يمكنُكَ أن تفتحها بسهولةٍ؛ لأن المفاتيح في الأقفـال. وعند فتحِ أول بابٍ؛ سوف تدخلُ غرفةً في وسـطِها علـى الأرضِ يوجد صندوقٌ كبير؛ يجلـس عليـه كلـب؛ عينـاه واسعتان مثلُ فنجانِي فنجاني شاي. ولكن لا تنـزعج مِنْـه؛ فسأُعيرك مِئزري الأزرقَ المخططَ، وعليك أن تفرشَه علـى الأرضِ، ثم اذهب ـ بخفةٍ وأمسك بالكلابِ، وأنزلْـه عليـه. وعندئذٍ؛ يمكنُكَ أن تفتح الصندوقَ، وتأخذَ منه ما تشاء مِـن النقودِ؛ ذلك الصندوقُ يحتوي فقطْ على نقودٍ مِن النحاسِ.

وإذا كنتَ تُفضلُ النقود الفِضيةٍ؛ فإن عليك أن تذهب إلى الحجرةِ التاليةِ، وهناك سوف تجد كلباً له عينانِ واسعتانِ مثلُ عجلتَي الطاحون. لا تَخَفْ مِنْه؛ فما عليك إلا أن تُنزلَه علـى مِئزري، ثم انْهب مِن الصندوقِ ما تستطيع.

أما إذا كنتَ تُفضلُ العملةَ الذهبيةَ على العملة الفِضيةِ أو النحاسيةِ؛ فإن هذه يمكن الحصول عليها أيضـاً؛ بقـدرِ مـا تستطيع أن تحملَ منها؛ إذا ما مضيتَ إلى الحجـرةِ الثالثـةِ.

والكلاب الذي يجلس على الصندوقِ الثالثِ رهيب جدا، ولـه عينانِ كبيرتانِ في حجمِ برجينِ. ولكن لا تَخَـفْ؛ فأنـتَ إذا أنزلتَه على مِئزري فسوف لا يمسك بأذى، وتستطيع أن تأخذَ مِن الصندوقِ قدر ما تشاء مِن الذهبِ".

قال الجنديّ: "هذا يبدو مفهوماً تماماً، ولكن ماذا عليـأن أعطيكِ مقابلَ كل هذا أيتها العجوز؟ لأنكِ بالتأكيدِ لا تنـوين أن يكون هذا بلا مقابلٍ".

فأجابت الساحرةُ: "لن آخذَ منْك دِرهماً واحـداً؛ فأنـا لا أريد مِنك سوى أن تُحضر لي قداحةً قديمةً؛ تركتْهـا جـدتي هناك سهواً في آخرِ مرةٍ هبطتْ داخلَ الشجرةِ".

قال الجنديّ: "حسناً؛ إذَن أعطني الحبلَ، وسأذهب".

فقالت الساحرةُ: "ها هو ذا، وها هو مِئـزري الأزرقُ".

وهكذا؛ تسلق الجندي الشجرةَ، ونزل في تجويـفِ جـذعِها؛ فوجد نفسه في القاعةِ الفسيحةِ المضاءةِ بأكثر مِـن ثلاثمئـةِ قنديلٍ؛ كما قالت الساحرةُ.

فتح أولَ بابٍ... أوه! هناك؛ كـان يجلـس الكلـب ذو العينَين الواسعتَين مثل فنجانَي شاي؛ محملِقاً فيه؛ كما لو كان في ذهولٍ تام. وقال الجندي وهو يبسطُ مئزر الساحرةِ علـى

الأرضِ وينزِلُ فوقَه الحيوان: "إنه كلب طيـب!"، ثـم مـلأ جيوبه مِن العملاتِ النحاسيةِ الموجودةِ في الصندوقِ، وأغلق الغطاءِ، وأعاد الكلب إلى موضِعه.

ومضى إلى الحجرةِ الثانيةِ؛ حيث كان يجلس الكلب ذو العينَين الواسعتَين مثل عجلتَي الطاحون. قال الجنديّ: "يحسن بك حقيقةً ألا تُحملقَ في هكذا؛ فقَد تخرج عيناك مِن رأسِـك؛ وأنتَ تعرفُ هذا". وبعد ذلك رفع الكلب، وأنزله على مئـزرِ الساحرةِ. ولكنه عندما رأي الكَم الهائـلَ مِـن الفِضـةِ فـي الصندوقِ ألقَى بالعملةِ النحاسيةِ على الأرضِ في اشـمئزازٍ، وملأ جيوبه وحقيبتَه التي يحملُها على ظهرِهِ بالعملةِ الفِضيةِ.

ثم مضى إلى الحجرةِ الثالثةِ، وكان الكلـب فـي هـذه الحجرةِ فعلاً ذا عينَين؛ كل واحدةٍ منهما كبيرةٌ مثلُ البـرجِ، وقد ظلتا تدوران وتدوران في رأسِه مثـلَ عجلتَـين. قـال الجندى؛ وهو يحييه باحترامٍ؛ لأنه لم يرَ أو يسمع عن كلـبٍ مثل هذا مِن قبلُ: "مساء الخير!". ووقف دون حـراكٍ لمـدةِ دقيقةٍ أو دقيقتَين؛ متطلعاً؛ وهو يفكر: "كلما أسرعتُ في عمل هذا؛ كان ذلك أفضلَ!". وأمسك بالمخلوق، ونقله مِـن فـوق الصندوقِ، ووضعه على المئزرِ، ورفع غطـاء الصـندوقِ.

أوه! يا لَها مِن كومةٍ مِن الذهبِ! إنها تكفي لشراءِ كل ما في العالمِ مِن الكعكِ والحلْوى، وكل اللعبِ التي تمثـلُ الجنـود، ومربى بالقِشْدةِ، والخيول الخشبيةِ الهزازةِ، ولشراءِ المدينـةِ بأسرِها أيضاً! وأسرع الجندي بإلقاءِ كل النُقودِ الفضيةِ التـي كان قد حشا بها جيوبة وحقيبتَه، ولم يكْتَـفِ بـأن يملأهـا بالذهبِ فحسب؛ بلْ ملأ به أيضاً قَلَنْسوتَه وحذاءه.

لم يستطِع أن يمشي إلا بمشقةٍ؛ بسببِ ثقـل مـا كـان يحملُه. ورفع الكلب ووضعه فوقَ الصندوقِ مـرةً أخـرى، وأوصد خلفَه باب الحجرةِ، ونادى مِن داخل الشجرةِ: "هيـا؛ أيتها الساحرةُ العجوز! اجذبيني إلى أعلَى".

فسألته الساحرةُ: "هلْ أحضرتَ القداحةَ؟".

صاح الجندي قائلاً: "أقسم بشرفي أنـي قـد نسـيتُها". وانطلق عائداً لإحضارِها. ثم جذبته الساحرةُ إلى أعلَى. وها هو يقفُ مرةً أخرى في الطريقِ العـام؛ وجيوبـه وحـذاؤه وحقيبتُه التي على ظهرِه وقَلَنْسوتُه مفعمةٌ كلها بقطعٍ ذهبيةٍ.

وسأل الجنديّ: "ماذا ستفعلين بالقداحةِ؟".

فقالت الساحرةُ: "ليس هذا مِن شأنِك. لقد حصلتَ علـى نقودِك؛ فأعطني القداحةَ!".

فقال الجندي: "حسناً؛ إن لكِ الخيار. إما أن تقولي لـي في هذه اللحظةِ ما تريدين عمله بالقداحةِ أو أقطع رأسكِ".

صرخت الساحرةُ: "لن أقولَ لك!"؛ فاستل الجندي سيفَه، وقطع رأسها. ثم أسرع يربطُ كل نقودِه ربطاً محكمـاً فـي مئزرِها الأزرقِ، وعلقها على ظهره، ووضع القداحـةَ فـي جيبِه، وانطلق إلى أقربِ مدينةٍ.

كانت مدينةً كبيرةً جميلةَ المنظرِ. دخل أولَ فندقٍ صادفَه في الناحيةِ، وطلب حجز أحسن غرفٍ فيه، وأمر بإحضـار أجودِ الأطباقِ لعشائه؛ لأنه أصبح الآن رجـلاً غنيـا؛ لديـه الكثير مِن النقودِ الذهبيةِ؛ لكي ينفقَ منها مـا يشـاء. ورأي ماسح الأحذيةِ أن حذاءه قديم جدا، ورث لا يليقُ بسيدٍ عظيمٍ مثلِه، فأحضر في اليومِ التإلى لنفسهِ حذاء جديـداً، وملابـس زاهيةً أيضاً.

ها هو الجندي بطلُ حكايتِنا الآن سيد أنيقٌ. وأقبل الناس يزورونَه، وقدموا له معلوماتٍ عن كل أمـاكن اللهـو فـي المدينةِ، وعن ملكِهم وابنتِه الأميرةِ الجميلةِ.

قال الجنديّ: "كم أود أن أراها!". فكان الرد: "لا يستطيع أحد أن يراها على الإطلاقِ؛ فهي تعيشُ في قلعةٍ كبيرةٍ مِـن

الحجر؛ حولَها أسوار وأبراج عديدةٌ. ولا يمكـن لأحـدٍ أن يذهب هناك ويزورها سوى الملكِ؛ لأن العرافين تنبأوا بأنها سوف تتزوج بجندي، وملكُنا لا يستطيع أن يتحمـلَ مجـرد التفكيرِ في ذلك". فقال الجندي لنفسِه: "تساورني رغبةٌ عارمةٌ في أن أراها؛ ولو مرةً واحدةً!". ولكنه لم يكُـن يسـتطيع أن يحصلَ على إذْنٍ بأن يفعلَ هذا.

وعاش حياةً حافلةً بالبهجـةِ والمـرحِ؛ فكـان يـذهب باستمرارٍ إلى المسارحِ، ويتنـزه فـي البسـاتين والحـدائق الملكيةِ. وأعطَى الفقراء الكثير من المال؛ فقَد كان يعرفُ منذُ وقتٍ بعيدٍ أي بؤسٍ وتعاسةٍ يكابدهما المرء؛ عندما لا يكـون في جيبه دِرهم واحد. وكان دائماً يرتدي ملابـس فـاخرةً، وحولَه حشد مِن الأصدقاء الذين أعلنوا جميعاً أنه رجـلٌ لا مثيلَ له، وأنه سيد ماجد حقا، وقد سر ذلك كثيـراً الجنـدي بطلَ حكايتِنا.

ولكن؛ لأنه ظل يعطي وينفقُ كل يومٍ؛ دون أن يحصـلَ على أي شيء مقابلَ هذا؛ فإن نقوده بدأتْ تنفذُ. وأخيراً؛ لـم يتبق معه سوى درهمين. ولهذا؛ فإنه اضطُر إلى أن يستبدلَ بغرفِه الجميلةِ غرفةً علويةً تحتَ السقفِ الأخير، وكان عليه

أن ينَظفَ حذاءه بالفرشاةِ؛ ويرفُو ثيابه. ولم يأتِ إليها أحـد مِن أصدقائه ليراه؛ فقَد كانتْ هناك درجاتُ سلمٍ كثيرةٌ؛ يتعين صعودها، وهذا أمر متعب جدا.

كانتْ ليلةً حالكةَ الظلامِ، ولم يستطِع أن يشتري لنفسِـه شمعةً واحدةً. وفجأةً؛ تذكر أن هناك قطعةً صغيرةً مِن الشمع في القداحةِ التي كانت الساحرةُ العجوز قد طلبـتْ مِنْـه أن يحضرها مِن الشجرةِ المجوفةِ. فأحضر القداحةَ وأخذ يحكّها ليشعلَ لهباً. ولكن؛ ما إن قدح بضع شـراراتٍ مِـن حجـر القداحةِ حتى انفتح الباب فجأةً، ووقف أمامه الكلب ذو العينَين مثل فنجاني الشاى؛ وهو الكلب الذي كان قد رآه في الكهـفِ أسفلَ الشجرةِ، وقال: "ما هي أوامر سيدي لعبدِه؟".

صاح الجنديّ: "ما هذا؟ إن هذا لضـرب بـاهر مِـن القداحاتِ؛ إذا كانتْ سوف تُقدم لي ما أريد؟". وقال للكلـبِ: "أحضِر لي بعض النقودِ". فاختفى المخلوقُ عن نظره، وفـي خلال نصفِ دقيقةٍ عاد؛ وهو يحملُ بفمِه حقيبةً كبيرةً مـلأي بعملاتٍ نُحاسيةٍ.

وسرعان ما أدرك الجندي الفضـائلَ النـادرةَ للقداحـةِ الساحرةِ. إنه إذا لم يقدح حجرها إلا مرةً واحدةً؛ فإن الكلـب

الذي يجلس على صندوقِ النقودِ النحاسيةِ يـأتي إليـه، وإذا قدحه مرتَين؛ يأتيه الكلب الذي كان يحرس صندوقَ النقـودِ الفِضيةِ، أما إذا قدحه ثلاثَ مراتٍ يأتيه الكلب الـذي كـان يحرس صندوقَ النقودِ الذهبيةِ.

لقد أصبح لدى الجندي الكثير مِن النقودِ. فعاد إلى غُرفِه الفاخرةِ، وارتدى أفخر الملابسِ؛ فعاد إليه ثانيةً كل أصدقائه، وأصبحوا يحسبون أنه رجلٌ جليل الشأنِ؛ كما كانوا يفعلـون مِن قَبلُ.

وذاتَ يومٍ؛ رأي أن مِن السخريةِ ألا يسمح لأحـدٍ بـأن يرى الأميرةَ. لقد قال الكل إنها رائعةُ الجمال؛ ألـيس مِـن العارِ أن تُحبس في تلك القلعةِ الحجريةِ الكبيـرةِ المحاطـةِ بأسوارٍ عاليةٍ؟ وقال لنفسِه: "إنني لأريد حقـا أن أراهـا؛ إذا أمكن تدبير هذا، ولكن أين القداحـةُ التـي لـدي؟"، وقـدح حجرها؛ فوقف أمامه الكلب ذو العينَـين الواسـعتَين مثـل فنجانَي فنجاني شاي. وبادره الجندي بقولِه: "أعرفُ أننا فـي ساعةٍ متأخرةٍ إلى حد ما، ولكنني أتوقُ كثيراً إلـى أن أرى الأميرةَ؛ ولو لحظةً واحدةً". فخرج الكلب مِن البابِ؛ وحتـى

قبلَ أن يستطيع الجندي أن ينظر حوله؛ عاد الكلـب ومعـه الأميرةُ؛ وهي تجلس نائمةً على ظهرِه.

كانتْ جميلةً جدا... جميلةً لدرجةٍ مذهلةٍ؛ إلى حد أن كل من يراها يعرفُ في الحال أنها الأميرةُ فعلاً. وما كان مِـن الجندي إلا أن جثا على ركبتَيه وقبل يدها. وبعـدها؛ هـرع الكلب عائداً بالأميرةِ إلى القصرِ في اللحظةِ نفسِها.

وفي صباحِ اليومِ التالي؛ بينما كانت الأميـرةُ تتنـاولُ طَعام الإفطارِ مع الملكِ والملكةِ؛ قصتْ عليهما ما رأتْه فـي الحلمِ الغريبِ؛ وهو أنها كانتْ تركب على ظهرِ كلبٍ كبيـرٍ، وأنها رأتْ جنديا يجثو أمامها على ركبتَيه، ويقَبلُ يدها. فقالت الملكةُ: "إنه ضرب جميلٌ مِن الأحلامِ حقا!". وأمرت إحـدى سيداتِ البلاطِ المسناتِ؛ بأن تسهر بجوارِ فراشِ الأميرةِ فـي الليلةِ التاليةِ؛ لتعرفَ ما إذا كان حلماً بحق أم شيئاً آخر يحتاج إلى الكشفِ عنه.

وفي الليلةِ التاليةِ؛ اشتاق الجندي لرؤيةِ الأميـرةِ مـرةً أخرى؛ فأرسل الكلب لإحضارِها، فانطلق، وجرى مسـرعاً كما فعل مِن قبلُ. ولكنه لم يكُن سريعاً إلى حـد أن تعجـز السيدةُ العجوز الساهرةُ بجوارِ الفراشِ عن تعقبِـه؛ فلبسـتْ

خُفين، وجرت وراءهما، ورأت الكلب يحملُ الأميـرةَ إلـى داخل بيتٍ كبيرٍ. وعندئذٍ؛ قالت لنفسِها: "إنني أعرفُ الآن ما عليأن أفعلَه". وأخذت قطعةً مِن الطباشير، ورسـمتْ علـى البابِ دائرةً بيضاء واضحة، ثم عادتْ إلى القصـرِ لتنـام، وحمل الكلب الأميرةَ، ليعود بها مرةً أُخرى. ولكن؛ عنـدما رأي الكلب أن علامةً قد رسِمتْ على بابِ البيتِ الذي يعيشُ فيه الجندى؛ أخذ قطعةً أُخرى مِن الطباشير، ورسـم دوائـر مشابِهةً على كل بابٍ في أرجاءِ المدينةِ.

وفي صباحِ اليومِ التالي؛ جاء الملك والملكةُ مع السـيدةِ العجوزِ وضباطِ القصرِ الملكي؛ ليروا أين كانـت الأميـرةُ. وقال الملك عندما أقبل إلى أول بابٍ في الشارعِ عليه دائـرةٌ مرسومةٌ بالطباشير: "ها هو ذا!"؛ فصاحت الملكـةُ؛ وهـي تشير إلى بابٍ ثانٍ عليه علامةٌ مشابهةٌ: "يا عزيـزي؛ أيـن عيناك؟ لابد أن هذا هو البيتُ!"؛ فصاحوا جميعـاً بصـوتٍ واحدٍ؛ عندما اكتشفوا أن هناك علاماتٍ مرسومةً علـى كـل الأبوابِ: "لا؛ هذا هو البيتُ بالتأكيـدِ. عجبـاً؛ هنـا أيضـاً علامةٌ!". وكان مِن الواضحِ أن بحثَهم عن البيتِ سوف يكون بلا جدوى؛ فكفوا عنْه.

ولكن الملكةَ كانت امرأةً فطينةً ماهرةً؛ تستطيع أن تفعلَ أشياء أخرى غير الركوبِ في عربةٍ؛ فأخذتْ مِقصها الذهبي، وقصتْ قطعةً كبيرةً من الحرير إلى شُرطٍ، وخاطتها معـاً؛ لتصنع منها حقيبةً صغيرةً جميلةً، وملأتْ هذه الحقيبةَ بدقيقٍ ناعمٍ، وربطتْها إلى خصر الأميرةِ، ثم ثَقَبت الحقيبةَ بحيـثُ يسقطُ الدقيقُ طوالَ الوقتِ الذي تتحرك فيه الأميرةُ.

وفي تلك الليلةِ؛ جاء الكلب مرةً أخرى، وأخذ الأميـرةَ على ظهرهِ، وانطلق بها إلى الجندي الذي صار متَدلهاً فـي حبها، وتمنى لو كان أميراً حتى يمكنَه أن يتزوج بها. ولـم يتنبه الكلب إلى أن الدقيقَ كان يتساقطُ شـيئاً فشـيئاً طـوالَ الطريقِ مِن القصر إلى بيتِ الجندي، ومِن بيتِ الجندي لدى العودةِ إلى القصر. وعلى ذلك؛ فإن الملكَ والملكةَ في صباحِ اليومِ التالي وجدا وبسهولةٍ المكان الذي حملتْ إليه ابنتُهمـا، وأخذا الجندي، وألقيا به في السجن، وهناك كـان عليـه أن يبقَى. أوه؛ كم هو مظلم! وكم هو كئيب! وظل السجان يدخلُ عليه ليذكره بأنه مِن المقرر شنقُه في الغدِ. ولم يكُن ليتقبـلُ هذا الخبر بأي حالٍ. وفضلاً عن ذلك؛ فإن القداحةَ تُركتْ في إحدى حجراتِه بالفندق.

وعندما أقبل الصباح؛ استطاع أن يـرى مِـن خـلال القضبان الحديديةِ الضيقةِ كل الناسِ يهرعون مِن كل حـدبٍ وصوبٍ في المدينةِ؛ لكي يروه وهو يشْـنَقُ. واسـتطاع أن يسمع دق الطبول. وفي هذه اللحظةِ؛ رأي أيضاً الجنود؛ وهم يسيرون إلى مكان تنفيذِ الإعدامِ. أي حشدٍ مِن الناسِ كـانوا يتزاحمون للوصول إليه!. وبين الجماهيرِ المحتشـدةِ؛ كـان هناك صبي يتعلم الحرفةَ لدى صانعِ أحذيةٍ، وكـان يجـري بسرعةٍ كبيرةٍ إلى حد أن نعلَيه انخلعا مِن قدميـه، وطـارا، واصطدما بقضبان نافذةِ سجنِ الجندى، فصاح: "قِفْ؛ قِفْ يا صبي الحِرفي الصغير. لا فائدةَ مِن مثل هـذه العجلـةِ. إن التسليةَ الممتعةَ لن تبدأ حتى أجىء. فإذا هرعتَ إلى منزلي، وأحضرتَ لي القدحةَ التي لدى هناك؛ فسوف أعطيك دِرهماً. ولكن؛ عليك أيضاً أن تجري كما لو كُنْـتَ تطلـب النجـاةَ لنفسِك. وراقت الصبي فكرةُ كسبِ دِرهمٍ؛ فانطلق كما لو كان في سباقٍ، وأحضر للجندي القداحةَ. ثم؛ حسناً؛ سنسـمع الآن ما حدث بعد ذلك!.

خارج المدينةِ؛ نُصِبتْ مِشنقة؛ وقـف حولهـا الجنـود وآلافٌ عديدةٌ من الناس. وجلس الملك والملكةُ على عرشين

عظيمين، وأمامهما جاس القضاة ومجاس الشـورى بأسـره. وأحضر الجندي من داخل السجن، ووقف على السلم. وكان الجلاد على وشك وضع الحبل حول رقبته... وعندئذ؛ التفت إلى صاحبي الجلالة، وقال: "إن آخر التماس لا ضرر منـه؛ لرجل تعس مسكين؛ يلبي دائماً. والتمس منهما أن يسمحا له بالتدخين في غليون، وسيكون هذا هو آخر ما يـدخن فـي حياته. ولم يستطع الملك أن يرفض هـذا الطلـب الـذي لا ضرر منه؛ فتناول الجندي القداحة، وقدح حجرها... مرة، ثم مرتين، ثم ثلاث مرات. وفي لحظة واحـدة؛ وقفـت هنـاك الكلاب الساحرة الثلاثة: الكلب ذو العينين الواسـعتين مثـل فنجانى الشاى، والكلب ذو العينـين اللتـين مثـل عجلتـى الطاحون، والكلب الثالث ذو العينين اللتين مثل برجين.

وصاح الجندي قائلاً: "والآن؛ انجـدونى! لا تتركـونى أموت شنقاً!"؛ فانقضت الكلاب الثلاثة الرهيبة على القضـاة والمستشارين، وطوحت بهم عالياً في الهواء... عالياً جـداً؛ لدرجة أنهم عند سقوطهم ثانية على الأرض تمزقت أجسادهم إرباً.

وبدأ الملك يقول: "إننا لن..."، ولكن الكلب الهائل ذا العينين الواسعتين مثل برجين لم ينتظر حتى يسمع ما لن يفعله جلالته. وأمسكه هو والملكة، وقذف بهما في الهواء أبعد من المستشارين؛ ففزع الجنود والناس جميعاً، وصاحوا بصوتٍ واحدٍ: "أيها الجندي الفاضلُ؛ إنك سوف تكون ملكاً لنا، والأميرةُ الجميلةُ سوف تكون زوجتك وملكةً علينا!".

وهكذا؛ اتجه الجندي إلى القصر، ونُصبت الأميرةُ ملكةً؛ وهو أمر أفضلُ لها كثيراً من أن تعيشَ سجينةً في قلعةٍ من الحجر.

العنْدليب

كان قصر إمبراطور الصين أجمل قصر في العـالم؛ إذ كان كله مشيداً من الخزف النفيس الذي كان رقيقاً؛ إلى حـد أن كل من يريد أن يلمسه يجب أن يكـون حريصـاً جـداً. وكانت تشاهد في الحديقة نخبة من الأزهار؛ ثبتت أجـراس فضية على أجملها؛ لكي يمنع رنينها أي أحدٍ من المرور بها؛ دون أن يتنبه لها. أجل؛ كان كل شيء في حديقة الإمبراطور منسقاً بصورةٍ مدهشةٍ!.

وكانت الحديقة نفسها تمتد امتداداً كبيراً؛ إلى درجـة أن البستاني لم يكن يعرف نهايتها. وكل مـن يتجـاوز نهايـة الحديقة على أي حال، كان يصل إلى غابـة جميلـة، فيهـا أشجار عالية جداً، وبعدها يجد البحر. وكانت الأشجار العالية تتدلي إلى حافة البحر الذي كان عميقاً جداً، ومياهه شـديدة الزرقة؛ حتى إن السفن الكبيرة كانـت تسـتطيع أن تمخـر عبابه؛ وهي تكاد تمس الأغصان.

وبين الأغصان كان يقطن عندليب؛ يغرد بصوتٍ رخيمٍ جداً. فالصيادون الفقراء الذين كان لديهم أعمال أخرى كثيرة يقومون بها؛ عندما يخرجون في الليل لطرح شـباكهم فـي

البحر؛ كانوا يقفون في سكونٍ؛ ينصتون له وهو يغرد. وكان الرحالة يأتون من كل أرجاء العالم إلى مدينة الإمبراطـور؛ فيعجبون بالمدينة والقصر والحديقة، ولكنهم عندما يسـمعون العندليب يقولون جميعاً: "هذا هو أحسن ما فيهـا". وكـانوا يتحدثون عنه بعد أن يعودوا إلى أوطانهم، وقد امتدح العلماء الذين ألفوا كتيباً عن المدينة والقصر والحديقة العندليب أكثر من أي شيء آخر، ونظم الشعراء أجمل القصائد في عندليب الغابة المشرفة على البحر.

وطافت هذه الكتب حول العالم، ووصل أحـدها أخيـراً إلى الإمبراطور. وقرأ وقرأ، وأخذ يخفض رأسه ويرفعها في كل لحظةٍ؛ لأن هذه الأوصاف الرائعـة للمدينـة والقصـر والحديقة سرته كثيراً. ولكنه رأي أخيراً شيئاً أذهلـه؛ كـان مدوناً في الكتاب: "ولكن العندليب هو أحسن ما فيها جميعاً". وقال الإمبراطور: "ما هذا بالقياس إلـى مـا فـي العـالم؟ العندليب! أنا لا أعرفه على الإطلاق! أيمكن أن يكون هنـاك في إمبراطوريتى طائر مثل هذا؛ دون أن أسمع عنه من قبل؟ حقاً؛ إن الإنسان يستطيع أن يتعلم شيئاً من الكتب".

وعلى هذا استدعى رئيس وزرائه؛ وكان شخصية جليلة لا يجرؤ أحد أقل منه رتبة على أن يخاطبه. ولكن؛ إذا جرؤ أحد على أن يوجه إليه سؤالاً؛ فإن رده الوحيـد عليـه هـو "أف!"؛ وهي كلمةٌ ليس لها معنى خاص.

وبادره الإمبراطور بقوله: "يقال إن هنا طـائراً عجيبـاً جداً؛ يدعى العندليب. ويقولون إن تغريده يفوق في القيمة أي شيء آخر في مملكتى؛ فلم لم يخبرنى به أحد من قبل؟". فقال رئيس الوزراء: "لم أسمع أحداً قط يتحدث عنه قبل الآن. ولم يقدمه أحد لنا أبداً في البلاط الملكى".

فقال الإمبراطور: "بودى أن يأتى، ويغرد أمامى عشية هذه الليلة. يخيل إلى أن العالم كله يعرف ما لدى أكثر ممـا أعرف أنا نفسى!".

فقال رئيس الوزراء: "إنني لم أسمع عنـه قبـل ذلـك، ولكنى سأبحث عنه، وأحاول أن أعثر عليه". ترى أين يوجد؟ لقد جرى رئيس الوزراء صاعداً السلم مرة، ونـازلاً مـرة أخرى، وجاس خلال القاعات، والممرات، ولكن أحـداً مـن الناس الذين التقى بهم لم يسمع عن العندليب. وعلى هذا؛ عاد إلى الإمبراطور وقال: "لابد أنه خرافةٌ ابتدعها الرجل الـذي

ألف الكتاب، وينبغى لجلالتكم ألا تصدقوا كل ما يدون في الكتب؛ فكثير مما فيها محض اختلاقٍ".

فقال الإمبراطور: "ولكن الكتاب الذي قرأت فيه عنه؛ أرسله لي إمبراطور اليابان العظيم ذو البأس الشديد. ومن ثم؛ فإنه لا يمكن أن يكون ملفقاً. أريد أن أسمع العندليب، ويجب أن يكون هنا عشية هذه الليلة، وإذا لم يحضر بعد العشاء؛ فإن كل الحاشية سوف تجلد بالسياط".

وفي فزع شديد جرى رئيس الوزراء؛ صاعداً السلم ونازلاً عليه مرة أخرى، وجاس خلال القاعات، والممرات، وجرى معه نصف الحاشية؛ لأن أي أحدٍ منهم لم ترقه فكرة الجلد بالسياط. وطرحت أسئلةٌ كثيرةٌ عن العندليب العجيب الذي كان يتحدث عنه العالم كله، والذي لا يعرف أحد من الحاشية عنه شيئاً.

وأخيراً؛ قابلوا فتاةً صغيرةً مسكينةً في المطبخ؛ قالت لهم: "أوه؛ نعم! العندليب! إنني أعرفه تماماً. أوه؛ كم في وسعه أن يغرد! إنني أسمعه؛ وأنا عائدة من عند أمى المسكينة؛ فأنا أحمل لها الكسرات التي تتبقي على المائدة كل ليلة. إنها تعيش قرب شاطئ البحر... وفي طريق عودتى؛

أتوقف لأستريح برهةً قصيرةً في الغابة، فأسمع العندليب يغرد؛ وهو ما يجعل الدموع تترقرق في عينى".

فقال رئيس الوزراء: "يا فتاة المطبخ الصغيرة؛ سوف أحصل لكِ على وظيفةٍ لا بأس بها في المطبخ، وسوف يصرح لكِ برؤية الإمبراطور وهو يتغدى؛ إذا أخذتنا إلى العندليب؛ لأننا نترقب رؤيته في البلاط هذه الليلة".

وعلى هذا؛ انطلقا معاً في الغابة؛ حيث اعتاد العندليب أن يغرد، وذهب معهما نصف الحاشية. وبينما هم في طريقهم؛ أخذت بقرة تخور؛ فقال غلمان البلاط: "أوه! ها هو الآن أمامنا! لاشك أن هذا صوت مذهل بالنسبة لحيوان صغير مثل هذا، ولابد أننا سمعناه في مكان ما من قبل". فقالت فتاة المطبخ الصغيرة: "لا؛ إنها أبقار؛ تلك التي تسمعون خوارها. ولا نزال بعيداً عن المكان الموجود فيه".

وكانت الضفادع تنق في البركة. فقال كبير وعاظ البلاط: "الآن؛ ها هو ذا. إن صوته يبدو تماماً مثل صوت أجراس المعبد الصغير"، فقالت فتاة المطبخ الصغيرة: "لا؛ هذه ضفادع، ولكننا سوف نسمعه حالاً".

ثم بدأ العندليب يغرد، فقالت الفتاة الصغيرة: "ها هو ذا؛ أنصتوا!"، وأردفت تقول؛ وهي تتشير إلى طائر صغير أسمر اللون فوق الأغصان: "ها هو ذا يجلس هناك!".

فقال رئيس الوزراء: "أهذا ممكن؟ لم أكن أتصـور أن هذا هو العندليب. كم يبدو بسيطاً! لابد أنه بالتأكيد قد تغيـر لونه لدى رؤية هذا العدد الكبير من الشخصـيات البـارزة". وصاحت فتـاة المطـبخ: "أيهـا العنـدليب الصـغير! إن إمبراطورنا العظيم يريد منك أن تغرد له لحنـاً مـا". فقـال العندليب: "بكل سرور"، وغرد بصوت جميل؛ سحر كل واحد منهم. فقال رئيس الوزراء: "إنه يبدو مثل أجـراس الفضـة. انظروا إلى حنجرته، وكيف تتحرك! إنه متفرد إلى حد لـم يسبق لنا سماعه من قبل أبداً، وسوف يحرز نجاحاً عظيمـاً في البلاط".

فسأل العندليب؛ لأنه اعتقد أن الإمبراطور كان بيـنهم: "هل أغرد ثانية للإمبراطور؟".

فقال رئيس الوزراء: "يا أروع عندليب! لي الشرف أن أدعوك إلى حفل في القصر؛ يقام عشية هذه الليلة؛ فجلالـة الإمبراطور يسره أن يسمعك وأنت تغرد". فقال العنـدليب:

"إن تغريدى يبدو أجمل كثيراً؛ وأنا فوق الأشجار الخضراء". ولكنه تبعهم طائعاً مسروراً؛ عندما سـمع أن هـذه رغبـة الإمبراطور.

وفي وسط القاعة الكبيرة التي جلس فيها الإمبراطـور؛ أعدت منصة ذهبية ليجلس عليها العندليب، وكانت الحاشـية بأسرها حاضرة. وحصلت فتاة المطبخ الصغيرة علـى إذن بالوقوف وراء الباب؛ لأنها أصبحت الآن برتبة ولقب "خادمة المطبخ". وكان الجميع يرتدون أجمل ملابسهم؛ وكل العيـون مسلطة على الطائر الأسـمر الصـغير؛ الـذي أومـأ لـه الإمبراطور برأسه؛ إيذاناً له بأن يبدأ.

وغرد العندليب بصوت عذب جداً؛ لدرجة أن الـدموع ترقرقت في عينى الإمبراطور، وسالت على خديه، ثم غـرد العندليب بصوت أحلي وأعذب؛ فمس شغاف قلب كـل مـن سمعه، وسر الإمبراطور سروراً عظيماً، وقـال: "سـيكون للعندليب خفأي الذهبيان يلبسهما حول عنقه". ولكن العندليب شكره، وقال إنه حصل على مكافأةٍ مجزيةٍ. وقال: "لقد رأيت دموعاً في عينى الإمبراطور، وهذا هو أعظم جزاء أحصـل عليه؛ فدموع الإمبراطور لها قيمة خاصة. وأنا أشعر بـإنني

قد حظيت بتكريم عظيم". ثم غرد مرة أخرى بصوت رخـيم عذب؛ فاق كل تغريد له من قبل.

قالت السيدات الحاضرات: "إن هذا التغريد أروع نغمـة تخلب الألباب؛ في كل الوجود". ووضعن في أفواههن مـاء، وحاولن أن يحركن حناجرهن وهـن يـتكلمن كمـا فعـل العندليب. لقد ظنن أنهن سيصبحن بلابل أيضاً. وفي الحقيقة؛ أعلن السعاة والوصيفات أنهم راضون تماماً، وقول هذا شيء عظيم؛ لأنهم دون الناس جميعاً يصعب إرضاؤهم. أجل؛ كان نجاح العندليب في الحقيقة باهراً. وتقرر أن يبقي في البلاط، وأن يكون له قفصه الخاص به؛ مع الإذن لـه بـأن يطيـر خارجه مرتين بالنهار، ومرة بالليل. وخصص له اثنا عشـر خادماً يقومون على خدمته في هذه المواعيد، وكان على كل منهم أن يمسك بطرف شريط حريرى مثبت حول قدمه. ولم يكن في هذا النوع من الطيران أي بهجة له.

وكانت المدينة كلها تتحدث عن الطائر العجيب، وكلمـا التقى شخصان كان أحدهما يقول: "عنْد"، ويقول الثاني "لِيب"، ثم يتنهدان، ويفهم كل منهما ما يقوله الآخر تماماً. والحق أن

أحد عشر طفلاً من أبناء المواطنين باسم "عندليب" ولكن لـم يستطع أحد منهم أن يغرد لحناً.

وذات يوم؛ وصل طرد كبير للإمبراطور؛ كتب عليـه: "العندليب". فقال الإمبراطور: "ها هو كتاب آخر جاءنا عـن طائرنا ذائع الصيت". ولكن هذا لم يكن كتاباً؛ بل كان قطعة آلية صغيرة موضوعة في علبة... عندليب صـناعى، كـان المقصود أن يبدو مثل عندليب حـى، ولكنـه مغطـى كلـه بالماسات واليواقيت الحمراء والزرقاء. وعندما لف زنبـرك الطائر الصناعى؛ استطاع أن يغرد إحـدى الأنغـام التـي يغردها العندليب الحقيقى، وكان ذيله الذي يتلألأ كله بالفضة والذهب يعلو ويهبط طوال الوقت. فقـال كـل واحـد مـن الحاضرين: "هذا رائع!"، وأنعم على من أحضر الطائر بلقب "كبير محضرى العندليب الإمبراطورى"!.

وبعد ذلك؛ أمر الإمبراطور بأن يغرد العندليب الحقيقى، والعندليب المصنوع معاً. ولكن هذا لم يتحقق له النجاح؛ لأن العندليب الحقيقى غرد بطريقته، أما العندليب الصناعى؛ فقـد أخرج أنغامه من خلال تروس. فقال أستاذ الموسيقى: "هـذه

ليست غلطته. إنه يراعى الوقت بالضـبط، ويعمـل حسـب الطريقة تماماً".

وعلى هذا؛ أخذ الطائر الصناعى يغرد وحـده. وكـان موفقاً مثل العندليب الحقيقى؛ ثم إنه كان أجمل منظراً؛ فريشه يبرق بالأحجار الكريمة. وغرد ثلاثاً وثلاثين مرة نفس النغم. ومع ذلك؛ فإنه لم يكن مزعجاً. لقد كان كـل فـرد يـود أن يسمعه مرة أخرى. ومهما يكن من أمر؛ فـإن الإمبراطـور أراد أن يغرد العندليب الحقيقى لحناً ما... ولكن أين هو؟ إن أحداً لم يفطن إلى أنه قد طار خارجاً من النافذة المفتوحة... طار بعيداً إلى غابته الخضراء.

قال الإمبراطور: "ما معنى هذا؟"، وسب كـل رجـال الحاشية العندليب ووصفوه بأنه مخلوق ناكر للجميل، وقالوا: "إن لدينا أحسن طائر؛ علـى أي حـال". وللمـرة الرابعـة والثلاثين سمعوا نفس النغم، ولكنهم مازالوا لا يعرفونه تماماً؛ لأنه كان صعباً جداً. وأثنى أستاذ الموسيقى على الطائر ثناء عظيماً، وصرح قائلاً: "إنه في الواقع فاق العندليب الحقيقـى من كل وجه". وأضاف: "لأن المرء لا يستطيع أن يخمن في حالة العندليب الحقيقى ما هو آت. أما فـي حالـة الطـائر

الصناعى؛ فإن كل شيء معروف. فهو يغرد بهذه الطريقة الوحيدة، ولا يغرد بأي طريقة أخرى. وهذا يمكن إثباته؛ إذ يمكن أن يفكك إلى قطع، ويمكن أن تعرض الأدوات على أنظاركم... أين تقع التروس وكيف تتحرك، وكيف يعقب أحدها الآخر؟". فقال كل واحد منهم: "ذلك بالضبط ما أفكر فيه".

وحصل الفنان على تصريح بأن يعرض الطائر على الناس الأحد القادم. وقال الإمبراطور: "إنهم أيضاً سوف يسمعونه؛ وهو يغرد". وهكذا سمعوه، وسروا أيضاً؛ كما لو كانوا جميعاً قد احتسوا شاياً؛ لأن الشاي هو الذي يجعل الصينيين ينتشون. ولكن الصياد الذي كان قد سمع العندليب الحقيقى قال: "إنه يبدو جميلاً جداً؛ مثل الطائر الحقيقى تقريباً. ولكن هناك مع ذلك شيئاً ينقصه، وأنا لا أعرف ما هو".

وأقصى العندليب الحقيقى من الإمبراطورية. وحل محله الطائر الصناعى على وسادة حريرية قرب فراش الإمبراطور. وكانت كل الهدايا التي تلقاها من الذهب والأحجار الكريمة موضوعة حوله. وأنعم عليه برتبة ولقب:

"مطرب الإمبراطور السامى". وكتب أستاذ الموسيقى خمسـة وعشرين مجلداً عن الطائر الصناعى بأطول وأصعب كلمات توجد في اللغة الصينية، وقال الجميع: "بكل تأكيـد". وقـالوا إنهم قرأوها وفهموها؛ وإلا فإنهم سوف يعتبـرون أغبيـاء، وربما جلدوا بالسياط.

وسارت الأمور على هذا النحو عاماً. وكان الإمبراطور والحاشية وكل الصينيين يحفظون عن ظهر قلب كـل لحـن يصدر عن الطائر الصناعى. ولكن هذا كان هو السبب فـي أنهم استمتعوا به كثيراً؛ فهم الآن يستطيعون أن يغنوا معـه. وأخذ الأولاد في الشوارع يغنون: "زيـزى؛ كلـك؛ كلـك؛ كلك!"، وغنى الإمبراطور أيضاً.

ولكن ذات مساء؛ بينما كان الطـائر يغـرد بصـوت جهورى، والملك يرقد في الفراش يستمع إليه؛ صـدر فجـأة أزيز من الطائر. ثم تصدع زنبرك فيـه "ور ـ ر ـ ر ـ ر"، ودارت كـل التـروس، وتوقفـت الموسـيقى. فقفـز الإمبراطور بسرعة من الفراش، وأمـر باسـتدعاء كبيـر أطبائه، ولكن ماذا في وسعه أن يفعل؟ ثـم أحضـر صـانع ساعات. وأخيراً بعد قدر كبير من المناقشة والتشاور؛ أصلح

الطائر إلى حد ما مرة أخرى. ولكن صانع الساعات؛ قـال: "إنه يجب أن يعفي مـن جانـب كبيـر مـن التغريـد؛ لأن الوصلات قد تآكلت تقريباً، ومن المستحيل تركيب وصـلات جديدة؛ دون أن تفسد الموسيقى على الأقل".

وكان هناك إحساس شديد بالحزن؛ لأن الطائر الصناعى أصبح الآن لا يسمح له بأن يغرد إلا مرة واحدة كـل عـام. ومع ذلك؛ كانت هناك وقتذاك صعوبات. ومهما يكـن مـن أمر؛ فإن أستاذ الموسيقى ألقى خطبة قصيرة حافلة بكلماتـه الطويلة المحببة إليه، وقال: "إن الطائر على ما يـرام، كمـا كان من قبل"، وبكل تأكيد لم يناقضه أحد.

وعندما مرت خمس سنوات؛ اغتمـت الإمبراطوريـة بأسرها غماً شديداً؛ لأن الإمبراطور كان مريضاً، وتـواترت الأخبار بأنه لن يعيش. وتم اختيار إمبراطور جديد، ووقـف الناس في الشارع خارج القصر، وسألوا رئيس الوزراء عن صحة الإمبراطـور. فقـال: "أف!"، وهـز رأسـه. كـان الإمبراطور يرقد في فراشه الفخم هامداً شـاحباً، واعتقـدت الحاشية كلها أنه مات، وجرى كـل واحـد مـنهم ليحيـى الإمبراطور الجديد. ولكن الإمبراطور لم يكن قد مات بعـد.

غير أنه كان لا يكاد يستطيع أن يتنفس، وخيل إليه أن شـيئاً ما يجثم على صدره. وفتح عينيه ورأي أنه الموت. وكـان يلبس تاج الإمبراطور؛ وفي إحدى يديه يمسك سـيفاً ذهبيـاً عريضاً مقوساً، وفي اليد الأخرى العلم الإمبراطورى المجيد. ومن تحت طيات الستائر المخملية؛ كانت الـرؤوس غريبـة المنظر تتطلع إليه بنظرات فاحصة؛ وبعضـها ذات وجـوه قبيحة جداً، وبعضها الآخر يرمقه بنظرات رقيقـة جميلـة. كانت هذه هي سيئات وحسنات الإمبراطور التي كانت فـي هذه اللحظة تسلط عليه؛ في حين كان الموت يجثم على قلبه.

وهمست واحدة بعد أخرى: "هل تعرف هذا؟ وهل تذكر هذا؟". وشرعت في تأنيبه بطريقة جعلت العرق يتصبب على جبينه. وقال الإمبراطور: "إنني لم أعرف قط أي شيء مثـل هذا". وصرخ: "موسيقى! موسيقى! إلـى بالطبـل الصـينى الجميل! لا تدعونى أسمع ما يقولون". واستمرت تفعل هـذا على أي حال؛ وكان الموت حسب الطريقة الصـينية يرفـع رأسه ويخفضها مع كـل كلمـة. وصـرخ الإمبراطـور: "موسيقى! موسيقى! وأنت أيها الطـائر الـذهبى الصـغير العزيز؛ غرد! أتضرع إليك؛ غرد! لقد أعطيتك ذهباً وأحجاراً

كريمة؛ بل وعلقت خفي الذهبيين حـول عنقـك... غـرد؛ أتضرع إليك؛ غرد!". ولكن الطائر ظل صامتاً؛ إذ لم يكـن هناك من يلف زنبركه؛ فبدون ذلك كان لا يستطيع أن يغرد. وظل الموت يحملق فـي الإمبراطـور بعينيـه الغـائرتين الواسعتين، وخيم السكون على كل مكان لدرجة مخيفة.

وفجأة؛ جاءت أعذب الألحان من خلال النافذة. كان هذا هو العندليب الحى الذي كان يجلس على غصن في الخارج؛ فقد سمع عن مرض إمبراطوره الشديد؛ فجاء يغرد ويسـرى عنه، ويبث فيه الأمل. وبينما كان يغـرد؛ أخـذت الأشـباح تذوى وتذوى، وتدفق الدم بسرعة أكبر، وجرى في أطـراف الإمبراطور الواهية. وحتى الموت استمع له بهدوء، وقـال: "استمر أيها العندليب الصغير... استمر". قال الطائر: "هـل لك أن تعطينى السيف الذهبى الجميل؟، وهل لك أن تعطينى العلم الثمين؟، وهل لك أن تعطينى تاج الإمبراطور؟".

تخلي الموت عن كل هذه الكنوز نظير أغنيـة، وغـرد العندليب. غنى لساحة المعبد الهادئ؛ حيث تزهـر الـورود البيضاء، وحيث ترسل أزهار الليلك شذاها العطر، وحيـث يتندى الحشيش الأخضر بالدموع التي يذرفها أصـدقاء مـن

رحلوا حزناً عليهم. وساورت الموت رغبة عارمة في رؤية حديقته، وطار خارجاً من النافذة؛ كما لو كان شـبحاً بـارداً أبيض.

وقال الإمبراطور: "شكراً؛ شكراً؛ أيها الطائر الصغير. إنني أعرفك تمام المعرفة. لقد أقصيتك من مملكتى، وها أنت تقصى بتغريدك هذه الوجوه الرهيبة من فراشى، والموت من قلبى. فكيف يمكننى أن أجزيك علـى مـا فعلـت؟". فقـال العندليب: "لقد جزيتنى من قبل. لقد رأيت الدموع في عينيك؛ عندما غردت لك أول مرة. إنني لن أنسى أبداً تلك الـدموع؛ فهي الدرر التي تسر قلب مطرب موسيقى جوال!، ولكن هيا ارقد هاجعاً الآن، واستيقظ ناشطاً معافى. وسأغرد لك مـرة أخرى". وغرد، واستغرق الإمبراطور في نوم عميـق. أوه؛ كم كان هذا لطيفاً منعشاً!.

وأشرقت الشمس ودخل ضوؤها مـن النافـذة؛ عنـدما استيقظ من نومه قوياً معافى. ولم يكن أحد من الخدم قد عاد؛ لأنهم جميعاً اعتقدوا أنه مات. وكان العندليب وحده الذي ظل بجانبه يغرد. فقال الإمبراطور: "سوف تبقي دائماً معى، ولن

تغرد إلا عندما يحلو لك؛ أما الطائر الصناعى فسوف أحطمه إلى ألف قطعة".

قال العندليب: "لا تفعل هذا؛ فقد عمل ما في وسعه. احرص عليه؛ فأنا لا أستطيع أن أبقي في القصر. ولكن دعني أجيء عندما أحب. وسوف أجلس على الغصون قريباً من النافذة في المساء أغرد لك؛ لكي تصبح سعيداً، وتخطر لك أفكار حافلة بالبهجة. سوف أغنى لك أغنية عمن ينعمون، وعمن يعانون. سوف أغنى لك أغنية عن كل ما هو حسن، أو ما هو سيئ؛ مما يخفونه عنك. ويطير المغنى الموسيقى الجوال؛ بعيداً إلى كوخ الصياد وكوخ الفلاح، ولكل من هم بعيدون عنك وعن بلاطك. وأنا أحب قلبك أكثر مما أحب تاجك. ومع ذلك؛ فإن للتاج شذا فيه شيء ما طاهر مقدس. وسوف آتى وأغرد، ولكن عليك أن تعدنى بشيء واحد".

فقال الإمبراطور: "بل؛ بكل شىء". وكان في هذه اللحظة يقف في أبهته الإمبراطورية التي أسبغها على نفسه، وكان يضم إلى صدره السيف العريض المقوس المثقل بالذهب.

قال العندليب: "شيء واحد أطلبه منك. لا تدع أحداً يعرف أن لديك طائراً صغيراً يخبرك بكل شيء. وعندئذ؛ سوف يسير كل شيء على ما يرام". وطار العندليب بعيداً.

وجاء الخدم ليروا إمبراطورهم الميت؛ فقال لهم الإمبراطور: "صباح الخير!".

ملكة الثلج

(١)

المرآة وشظاياها

انتبه إننا نبدأ الآن. وعندما نصل إلى نهايـة القصـة؛ سوف نعرف أكثر مما نعرف الآن.

كان هناك يوماً ساحر خبيثٌ جدا. كان أخبث السـحرة جميعاً، وشيطاناً مريداً. وكم كان ابتهاجه عظيماً؛ عندما صنع مرآة؛ يمكنها أن تجعل كل ما هو حسن جميلٌ ينعكس منهـا؛ بحيث يتضاءل تقريباً إلى لا شيء؛ في حين كانت الأشـياء القبيحة التي لا نفع منها تظهر أكبر حجماً وأسوأ ممـا هـي عليه عشر مراتٍ. وكانت أجمل المناظر الطبيعية تبدو فـي هذه المرآة مثل الإسباناخ المطبـوخ، وأجمـل الأشـخاص يصبحون بشعين مرعبين، ويبدون كما لو كانوا واقفين على رؤوسهم؛ ولا أجساد لهم. وتبدو ملامحهم مشوهةً جدا؛ حتى إن أصدقاءهم لا يمكنهم أبداً أن يتعرفوا عليهم. وفضلاً عـن

ذلك؛ فإنه إذا كان في وجه إحدِهم بقعةٌ من النمش؛ فإنها تبدو ممتدة على أنفه وفمه، وإذا خطرت بذهنه فكرةٌ تتسم بـالخير أو الورع؛ فإن تجعيدةً كانت تشاهد في المرآة.

وظن الساحر أن كل هذا مسل جدا، وضحك في ابتهاج لاختراعه البارع. ومن ترددوا على مدرسة السحر التي كان يدرس فيها نشروا أخبارها؛ فذاع صيتها في الخارج، وأعلنوا أن العالم وسكانه الآن يمكن رؤيتهم لأول مرة كما هم عليـه حقاً. وحملوا المرآة إلى كل مكان؛ فأخيراً لم يبق هنـاك أي بلد أو أي شخص لم ينظر إليه خلال المرآة؛ بل إنهم أرادوا أن يطيروا بها إلى السماء؛ ليروا الملائكة من خلالها. ولكن كلما طاروا إلى أعلى وأعلى؛ أصـبحت المـرآة زلقـة، لا يستطيعون أن يمسكوا بها إلا نادراً. وطاروا، وظلوا يطيرون إلى أعلى وأعلى؛ إلى أن تهشمت المـرآة أخيـراً بصـورةٍ مرعبةٍ؛ فانزلقت من أيديهم وسقطت على الأرض، وتحطمت إلى ملايين وبلايين وتريليونات القطع. وعندئذٍ؛ كانت سـبباً في تعاسة الناس أكثر مما كانوا عليه من قبل؛ لأن شـظاياها التي لا تكاد تزيد في الحجم على حبة مـن الرمـل كانـت تتطاير في الهواء، وتدخل أحياناً في عيون الناس، وتجعلهـم

يرون كل شيء في صورة غير صحيحةٍ، أو تكون لهم عيون لا ترى إلا أسوأ جانب مما تنظـر إليـه؛ لأن كـل شـظيةٍ صغيرةٍ؛ كان لها نفس تأثير المرآة الكاملة تماماً.

وكان بعض الناس سيئ الحظ جـدا؛ عنـدما أصـيبوا بشظية صغيرة في قلوبهم. وكان ذلك فظيعاً! إذ أصبح القلب بارداً وصلباً؛ مثل كتلة من الثلج. وكانت بعض القطع كبيرة؛ بحيث تكفي لأن تستخدم ألواحاً للنافذة، ولكن لم تكن هنـاك ثمة فائدة في أن ينظر امرؤٌ إلى أصدقائه من خـلال ألـواح مثل هذه. ومن شظايا أخرى صنعت نظـارات؛ ولكـن أي إزعاج يتعرض له الناس؛ وهم يضعونها ويعيدون وضـعها على عيونهم!

وتفكه الساحر الخبيث كثيراً بكل هذا، وضحك حتى آلمه جنباه.

ولا تزال هناك بعض شظايا صغيرة من هذه المـرآة؛ تتطاير في الهواء. وسوف نسمع عنها المزيد حالاً.

ملكة الثلج

(٢)

ولد صغير وبنت صغيرة

في مدينة كبيرة؛ ذات بيوتٍ عديـدةٍ وأُنـاس كثيـرين؛ لدرجة أنه لم تكن فيها فسحةٌ كافيةٌ لأن يكون لكل واحد منهم ولو حديقةٌ صغيرةٌ، كان لابد من أن يقنع كثيـرون ببضـع نباتات يزرعونها في أصص. وهناك؛ أقام طفلان فقيـران؛ كانت حديقتهما إلى حد ما أكبر من أصيص للأزهـار. ولـم يكونا شقيقين؛ ولكن كان كل منهم يحب الآخر حبا جما؛ كما لو كانا أخوين. وكان أهل كل منهما يعيشون في حجـرتين؛ يظلهما أعلى سقف في المبنى، وكل واحـدة منهمـا تقابـل الأخرى. وكان سطح أحد المسكنين متصلاً تقريبـاً بسـطح المسكن الآخر. وكان الميزاب يجري بينهما، وفي كل سطح نافذةٌ صغيرةٌ؛ بحيث كان يمكنك أن تخطو عبر الميزاب من إحدى النافذتين إلى الأخرى. وكان لوالدى كل من الطفلـين

صندوقٌ خشبى كبير تزرع فيه أعشاب لاستعمال المطـبخ، وكانا يضعان هذين الصندوقين فوق الميزاب على مقربة من بعضهما؛ بحيث كان كل منهما يكاد يلتصق بالآخر. ونبتـت في كل صندوق شجرة ورد صغيرةٌ جميلةٌ، وتكاثفت نباتـاتٌ قرمزية على الصندوقين، وطرحت شجرتا الـورد أغصـاناً مشذبةً حول النافذتين، وبدا كل شيء تقريباً كأنه قوس نصر من أوراق الشجر والأزهار. وكان الصندوقان عاليين، ومن المحظور دائماً على الطفلين أن يصعدا فوقهمـا؛ ولكنهمـا كثيراً ما كانا يحصلان على إذنٍ بالجلوس علـى كرسـييهما الصغيرين؛ تحت شجرتى الورد. وهكذا؛ كانا يمضيان ساعةً حافلةً بالبهجة.

وكان الشتاء يضع حدا لهذه المتع؛ فغالباً ما كان الـثلج يغطى النافذتين. وعندئذ؛ كانا يقومان بتسخين قطـع النقـود النحاسية على الموقد، ويضعانها على لوح النافـذة المغطـى بالثلج، وبهذا يحدثان ثقباً صغيراً؛ فيستطيع كـل منهمـا أن يرى الآخر.

وكان الولد الصغير يدعى كاى، واسم البنت الصـغيرة جردا. وفي الصيف؛ كانا يستطيعان بقفزةٍ واحدةٍ من النافـذة

أن يجتمعا. أما في الشتاء؛ فقد كان لديهما سلم ينزلان علـى درجاته، ويجريان صاعدين عليها، وكانت الريح تهب أحياناً، والثلج يتساقط خارج الأبواب.

وقالت جدة كأي يوماً؛ والثلج يتساقط: "هذا هو النحـل الأبيض يطير أسراباً هناك". فسأل الولد الصغير: "هـل لـه ملكةٌ؟"؛ لأنه يعلم أن النحل الحقيقى له ملكةٌ. فقالت الجـدة: "نعم؛ له ملكةٌ؛ وهي تطير هناك حيث يتجمع فـي أسـراب كثيفةٍ. وهي أكبر النحل حجماً، ولا تبقي أبـداً علـى ظهـر الأرض؛ بل تطير ثانيةً إلى السحابة السوداء. وغالباً ما تطير في منتصف الليل خلال شوارع المدينة، وتتطلع إلى النوافذ، ومن ثم تكسوها أشكال غريبـةٌ وجميلـةٌ تشـبه الأشـجار والأزهار". فقال الطفلان معاً: "أجل؛ لقد رأيناها!"؛ إذ كانـا يعرفان أن هذا صحيح. وسألت الفتاة الصغيرة: "أيمكـن أن تأتي ملكة الثلج إلى هنا؟". فقال الولد: "إذا جاءت هنا؛ فسوف أضعها على الموقد الساخن، وعندئذٍ سوف تذوب". فربتـت الجدة على شعره، وأخذت تقص عليهما حكايات.

وذات مساء؛ بينما كان كأي الصغير في البيت مجـرداً من نصف ملابسه، صعد زاحفاً إلى أعلى الكرسى من خلال

النافذة، وألقى نظرة مختلسة من الثقب الصغير. وعند ذلـك؛ سقطت بضع رقائق من الثلج، وبقيت واحدةٌ، وهي أكبرهـا، رابضةً على حافة أحد صندوقى الأزهـار. وأخـذت هـذه الرقيقة التلجية تكبر وتكبر؛ إلى أن اتخذت أخيراً شكل سيدةٍ ترتدي ثوباً حريرياً أبيض؛ بدا كأنه يتكون من ملايين مـن رقائق الثلج تشبه النجوم الملتصقة معاً.

كانت حسناء مدهشة الجمال، ولكنها مخلوقةٌ بأكملها من الثلج المتألق الذي يبهر الأبصار. وكانت وحـدها؛ وعيناهـا تبرقان كنجمين لامعين؛ ولكن ليس فيهما ما ينم عن الراحـة أو الطمأنينة. وأومأت برأسها إلى النافذة، وأشـارت بيـدها؛ ففزع الولد الصغير وقفز هابطاً من الكرسـى. وفـي تلـك اللحظة؛ خيل إليه أنه يرى طائراً كبيراً يمرق من النافذة.

وكان هناك صقيع شفافٌ في اليوم التالى. وبعـد ذلـك بقليل؛ جاء الربيع فأزهرت الأشـجار، وتفتحـت الأزهـار، وبنت عصافير الجنة أعشاشها، وفتحـت النوافـذ، وجلـس الطفلان مرة أخرى في حديقتهما على الميزاب الـذي كـان يمتد بالطول على سطحى البيتين.

وأخرجت الأزهار نوارها بصورةٍ خلابةٍ في الصـيف، وتعلمت الفتاة الصغيرة أنشودة فيها شيء عن الورد، ذكرتها بورودها. وعلى هذا؛ ترنمت بها للولد الصغير فغناها معها. وتشابكت يدا الصغيرين، وقبلا الورود، ونظرا إلـى ضـوء الشمس المشرقة، وأخذا يتحدثان. فيا لها مـن أيـام صـيفٍ جميلةٍ، ويا لها من بهجةٍ تلك التي كان يحس بها المرء؛ وهو يجلس تحت أشجار الورد التي بدت كما لو أنها لا تنـوى أن تكف عن الإزهار أبداً!

وذات يوم؛ كان كأي وجردا يجلسان؛ وهما يتطلعان إلى كتابيهما الحافلين بصور طيور وحيوانـات؛ عنـدما دقـت الساعة اثنتى عشرة مرة؛ فقال كاى: "أوه؛ رباه! أي ألم أشعر به في قلبى!".

وبعد ذلك بقليل قال: "أوه؛ إن شيئاً ما قـد دخـل فـي عينى!". فطوقت الفتاة الصغيرة عنقه بذراعها، وحدقت فـي عينه، ولكنها لم تر فيهما أي شىء. وقال: "أعتقد أنه ذهب". ولكنه لم يذهب؛ إنها إحـدى تلـك الشـظايا مـن المـرآة السحرية... المرآة الخبيثة التي كانت تجعل كل شيء عظـيم جيدٍ يبدو ضئيلاً وبغيضاً، وتُضخم كل شيء قبيح وحقير. يا

لكأي المسكين! لقد أصيب أيضاً في قلبه بشـظيةٍ. وسـوف يصبح قلبه الآن صلباً وبارداً مثل كتلةٍ من الثلج. ولـم يعـد يشعر بالألم، ولكن الشظية ظلت هناك. وقال: "لماذا تبكـين؟ إنك تبدين دميمةً عندما تبكين! إنني لا أشكو مـن شـىء". وصاح قائلاً: "تبا لكِ! إن هذه الـوردة أكلتهـا دودةٌ، وهـذه الوردة ملتويةٌ. ومع ذلك؛ فإنهما وردتان قبيحتان، والصندوق الذي تنموان فيه قبيح!". ثم ركل الصندوق وقطع الـوردتين؛ فصرخت الفتاة الصغيرة: "أواه يا كاى؛ ماذا تفعل؟". ولكنـه عندما رأي مدى فجيعتها وأساها لهذا؛ قطـع وردة أخـرى، وقفز من خلال نافذته بعيداً عن فتاته الصغيرة جـردا التـي كانت عزيزة عليه ذات يومٍ.

وبعد ذلك؛ عندما كانت تأتي بالكتاب المصور لتعرضه عليه؛ كان يصفه بأنه كتاب لا يصلح إلا لطفل. وعندما كانت جدته تروى له حكاياتٍ؛ كان يقاطعهـا بقولـه: "ولكـن..."، وكان كلما استطاع يقف خلفها ويلـبس نظارتهـا ويقلـدها؛ ليجعل الناس يضحكون عليها. وسرعان ما استطاع أن يقلـد أي شخص في الشارع. واستطاع كأي أن يقلد كل مـا هـو فريد وسمج في الآخرين. وقال جيرانه: "يا له مـن ولـدا!"،

وشظيتا المرآة اللتين في عينه وقلبه؛ هما اللتان جعلتاه لا يعبأ بمن كان يجرح مشاعرهم؛ بل وجعلتاه يغيظ جردا الصغيرة.

وذات يوم في الشتاء؛ أتى كأي بقفازين سـميكين فـي يديه؛ وزلاقته على ظهره، ونادى جردا وقـال لهـا: "لقـد حصلت على إذن بالذهاب إلى الميدان الكبير؛ حيـث يلعـب الأولاد الآخرون!"، وانطلق مبتعداً. وقد اعتاد أشـد الأولاد جرأةً في الميدان أن يثبتوا زلاقاتهم في عربات أهل الريف؛ وبهذا يسيرون معها مسافةً لا بأس بها، ويرون في هذا متعةً عظيمةً.

وبينما كانوا يلعبون؛ مرت بهم زلاقةٌ كبيـرةٌ مدهونـةٌ بطلاء أبيض، وفيها كان يجلس شخص ملتف بفراء أبـيض خشن؛ وعلى رأسه قلنسوةٌ بيضاء. وعنـدما دارت الزلاقـة مرتين حول الميدان، ثبت كأي زلاقته الصغيرة فيها؛ فانطلق في أثرها عندما سارت بعيداً. وانطلقتا بسرعة أكبر وأكبـر إلى الشارع التالى. واستدار الشخص الذي كان يسوق، وأومأ برأسه لكأي في رقةٍ؛ كما لو كانا يعرفان بعضهما من قـديم. وفي كل مرةٍ يوشك كأي أن يفقد زمام زلاقته الصغيرة؛ كان السائق يستدير، ويومئ إليه برأسه مرةً أخرى. وهكذا؛ جلس

كأي ساكناً، ومرا خلال أبواب المدينة. ثم بدأ الثلج يتساقط بغزارةٍ؛ بحيث عجز الصبي الصغير عن أن يرى ما يبعد أمامه بشبرٍ واحدٍ، ولكنه ظل مع ذلك يسوق كما كان يفعل من قبل. وحاول في تسرع أن يفك الحبال، ويخلص نفسه من الزلاقة الكبيرة، ولكن دون جدوى. واستمرت عربته الصغيرة تجري بسرعة، وانطلقا مسرعين مثل الريح. وعندئذٍ؛ صرخ بأعلى صوتٍ في طاقته، ولكن لم يسمعه أحد. وسقط الثلج، وانطلقت الزلاقة مسرعةً، وكانت بين آنٍ وآخر تقفز؛ كما لو كانت تسير فوق خنادق أو أسوجةٍ من النباتات. فاشتد به الفزع، ولكنه لم يستطع أن يتذكر أي شيء سوى جدول الضرب.

وبدت رقائق الثلج أكبر وأكبر؛ إلى أن ظهرت أخيراً مثل طيور ضخمةٍ بيضاء. وفجأةً؛ وقعا على جنبيهما، وتوقفت الزلاقة الكبيرة، ونهض الشخص الذي كان يسوقها من المقعد، ورأى كأي أن القلنسوة والسترة كانتا بأكملهما من الثلج، وأن السائق سيدةٌ طويلةٌ رشيقةٌ بيضاء تبهر الأبصار... كانت ملكة الثلج.

قالت: "لقد انطلقنا نسوق بسرعةٍ؛ فليس هناك من يريـد أن يتجمد من البرد. هيا ازحف تحـت فرائـى". وأجلسـته بجانبها في الزلاقة، ونشرت عباءتها حوله؛ فشعر أنه يغوص في تيار من الثلج.

وسألته: "ألا تزال تحس بالبرد؟"، ثم قبلت جبينـه. أواه! كانت قبلتها أبرد من الثلج، وتسللت إلى قلبه؛ برغم أنه كـان نصف متجمدٍ. وخيل إليه أنه سيموت. وعلى أية حالٍ؛ فـإن هذا لم يستمر إلا لحظةً واحدةً، وأصبح بعدها مباشرة على ما يرام تماماً، ولم يعد يشعر بالبردة الشـديدة حولـه. وقـال: "زلاقتى! لا تنسى زلاقتى!"؛ فقد فكر في ذلك أولاً. وكانـت مثبتةً إلى أحد الطيور البيضاء الذي طار خلفه وهـي علـى ظهره. وقبلت ملكة الثلج كاي مرة أخرى؛ فنسى تماماً جردا الصغيرة، وجدته، وكل من في البيت. وقالت: "الآن يجب ألا تظفر بأية قبلات أخرى!، وإلا فإنني لو قبلتك فسوف تموت"؛ فتطلع كاي إليها. كانت جميلةً جدا، ولم يستطع أن يتخيل أن هناك سيدة أشد ذكاء منها، أو أن هناك وجهـاً أجمـل مـن وجهها. إنها لم تعد تبدو له مخلوقة من الـثلج؛ كمـا كانـت عندما جلست خارج النافذة، وأومأت إليه. كانت فـي نظـره

سيدةً كاملةً. ولم يساوره أي إحساس بالخوف. وأخبرها بأنه يستطيع أن يحسب في ذهنه حتى الكسور، وأنه يعرف مساحة كل بلدٍ بالأميال المربعة، وعدد السكان في مدنٍ مختلفةٍ. وكانت دائماً تبتسم؛ فظن أنه مع ذلك لا يعرف الكثير بعد. وتطلع إلى الفضاء الشاسع الفسيح؛ فطارت معه عالياً إلى السحابة السوداء؛ في حين كانت العاصفة تشتد في هياجٍ. وخيل الآن لكاي أنه يترنم بأغانٍ من الأزمنة القديمة.

وطارا فوق غاباتٍ وبحيراتٍ وفوق البحر والبر، وتحتهما كانت الريح الباردة تصفر، والذئاب تعوى، والثلج يلمع. وطار الغراب الأسود ينعق فوق السهل؛ في حين أشرق فوقهم القمر بنوره الساطع المشرق. وهكذا؛ أمضى كاي ليلة الشتاء الطويلة. وطوال اليوم؛ ظل راقداً تحت قدمى ملكة الثلج.

ملكة الثلج

(٣)

حديقةُ الأزهار المسحورةُ

ولكن؛ كيف أمست جردا الصغيرة؛ عنـدما لـم يعـد كاى؟... ترى أين يمكن أن يكون؟ لا أحد يعرف. لقد قـال الأولاد إنه ربط زلاقته بزلاقة أكبر وأجمل؛ انطلقـت فـي الشارع، ومن ثم مرقت من بوابة المدينة. ولم يعرف أحد أين هو، وما أغزر الدموع التي ذرفت! وبكت جردا الصـغيرة بحرقةٍ وقتاً طويلاً. وقال الأولاد إنه لابد أن يكون قد غـرق في النهر الذي كان يتدفق في موضعٍ لا يبعد عـن المدينـة. أواه؛ كم كانت أيام الشتاء تلك طويلةً وكئيبةً! وأخيراً؛ جـاء الربيع بشمسه الدافئة.

وقالت جردا الصغيرة: "وا أسفاه! إن كـان قـد مـات وأصبح في عداد الهالكين".

فقال ضوء الشمس: "أنا لا أصدق هذا".

وقالت لعصافير الجنة: "إنه مات، وأصبح في عـداد الهالكين".

فقالت: "نحن لا نصدق هذا".

وأخيراً؛ لم تصدق جردا نفسها أن هذا قد حدث. وقالت ذات صباحٍ: "سوف ألبس حذائي الجديد الأحمر؛ ذلك الحذاء الذي لم يره كاي قط، ثم أنزل إلى النهر وأبحث عنه".

كان ذلك في الصباح الباكر. قبلت جدتها التي كانـت لا تزال مستغرقة في النوم، ولبست حذاءها الأحمر، وانطلقـت وحدها خلال بوابات المدينة تجاه النهر. وقالت للنهر: "أحقـا أخذت مني رفيقي في اللعب؟ سوف أعطيك حذائي الأحمـر إذا أعدته إلي!". وخيل لها أن أمواج النهر تومئ لها بطريقةٍ غريبةٍ؛ فخلعت حذاءها الأحمر الذي كانت تحبه أكثر من أي شيء آخر لديها، وألقت به في مجرى النهر، ولكن الأمـواج الصغيرة حملته إليها ثانيةً؛ كما لو كانت لا تريـد أن تأخـذ منها ما تحبه أكثر من كل شيء؛ إذ إنها لن تستطيع أن تعيد إليها كاي الصغير. ولكنها ظنت أنها لم تقذف بالحـذاء إلـى مسافةٍ بعيدةٍ كافيةٍ. وعلى هذا؛ تقدمت فجأةً إلى قاربٍ صغيرٍ كان راسياً بين البوص، ووقفت على حافته القصوى، وألقت

بالحذاء ثانيةً في الماء. وكان القارب غير مربوطٍ؛ فأرسلتها حركاتُها بعيداً عن الشاطئ. وما إن رأت هذا؛ حتى هرعـت إلى الطرف الآخر من القارب، ولكن عندما وصلت إليه لـم تستطع أن تنسحب منه، لأنه كان يبعد عن البر بـأكثر مـن ياردةٍ، وأخذ ينزلق إلى مسافةٍ أبعد وأبعد.

واشتد الفزع بجردا الصغيرة وبدأت تصرخ، ولكن لـم يسمعها أحد سوى عصافير الجنة التي لم تستطع أن تحملهـا لتعود بها إلى البر؛ فطارت على طول ضفتى النهر، وأخذت تغرد؛ كما لو كانت تريد أن تواسيها. وأخذت تقول: "ها نحن هنا؛ ها نحن هنا"، وطفا القارب، وسبح مع المجرى.

وقالت جردا لنفسها: "لعل النهر يحملنى إلى كاى، ثـم أصبحت أكثر انشراحاً، وأخذت تسلي نفسها بـالتطلع إلـى الريف الجميل حولها؛ وأخيراً؛ انزلقت مارةً ببسـتان كبيـر للكرز حيث أقيم كوخٌ صغير سقفه من جرائد النخيل، ونوافذه غريبة وزرقاء. وكان يقف عند الباب جنـود مـن الخشـب يصوبون نحوها السلاح؛ وهي تسبح في القارب مارةً بهـم. وصاحت جردا تناديهم؛ إذ كانت تظن أنهم أحيـاء، ولكـنهم بكل تأكيد لم يردوا عليها؛ فاقتربت منهم؛ لأن التيـار دفـع

القارب إلى البر. وعندئذ؛ نادت بصوت أعلى؛ فخرجت مـن البيت سيدةٌ عجوز؛ وهي تتوكأ على عكـازةٍ وتلـبس قبعـةً كبيرةً رسمت عليها أزهار جميلةٌ. وقالت المرأة العجوز: "يا للطفلة الصغيرة المسكينة! يا لها من مسافةٍ طويلة تلك التـي حملك إليها تيار النهر السريع!". ثـم سـارت فـي المـاء، وأمسكت القارب الصغير بعكازتها، وسـحبته إلـى البـر، ورفعت منه الفتاة الصغيرة.

سرت جردا بأن تجد نفسها مرةً أخـرى علـى أرض يابسةٍ؛ مع أنها كانت لا تزال خائفة مـن المـرأة العجـوز الغريبة التي قالت: "هيا أقبلى، وقولي من أنتِ، وكيف أتيـت إلى هنا؟". فأخبرتها جردا بكل شىء؛ فهزت المرأة العجـوز رأسها، وقالت: "هِيم؛ هِيم!". وعندما سـألت جـردا المـرأة العجوز عما إذا كانت قد رأت كاى؛ قالت إنه لم يأت بعـد، ولكنه سيأتى حالاً بلا شك. وفي غضـون ذلـك؛ يجـب ألا تكتئب جردا، ويمكنها أن تقيم معها، وتأكل الكرز، وتتطلـع إلى الأزهار التي كانت أجمل من أي زهـرةٍ فـي الكتـاب المصور؛ لأن كل واحدة منها يمكنها أن تروى قصةً.

ثم أخذت بيد جردا وانطلقتا معاً إلـى داخـل الكـوخ، وأغلقت المرأة العجوز الباب. وكانت النوافذ عاليةً؛ ألواحهـا الزجاجية حمراء وزرقاء وصفراء؛ فكان نور النهار يضيء من خلالها بكل الألوان المختلفة الجميلة. وكان على منضـدةٍ في الوسط طبقٌ به كرز فاخر جدا، سمح لجردا بأن تأكل منه قدر ما تشاء. وبينما كانت تلتهمه؛ كانـت السـيدة العجـوز تمشط لها شعرها بمشط ذهبي؛ فانسابت الخصلات الصفراء اللامعة على صدغٍ من وجهها الجميل الرقيق الذي كان يبدو نضراً مشرقاً مثل وردةٍ جميلةٍ.

وقالت المرأة العجوز: "طالما تمنيت أن يكون لي فتـاةٌ صغيرةٌ عزيزةٌ مثل هذه. سنرى الآن ما إذا كنا لا نسـتطيع أن نعيش معاً في سعادةٍ. وبينما كانت تمشط شـعر جـردا الصغيرة؛ أخذ تفكير الطفلة في كاي يقل شـيئاً فشـيئاً؛ لأن المرأة العجوز ساحرةٌ؛ وإن لم تكن شريرةً خبيثةً؛ إذ كانت لا تمارس السحر من أجل الأذى، وإنما لمجرد التسـلية، وفـي هذه اللحظة لأن رغبة عارمة كانت تساورها في أن تحـتفظ بجردا الصغيرة. ولهذا؛ فإنها خشيت أن تفكـر جـردا فـي الورود التي في البيت، وفي كاي الصغير؛ فتهـرب إذا رأت

ورودها. فانطلقت إلى الحديقة، ومدت عكازتها فـوق كـل شجيرات الورد التي كانت مكتظـة بـالأوراق الخضـراء والزهرات؛ فغاصت في الحال في التربة السوداء.

ثم اقتادت جردا إلى حديقة الأزهار هذه. وهناك؛ كانت كل زهرة من فصلٍ من فصول السنة في مرحلـة الإزهـار الكامل؛ لا تضارعها أي زهرة في كتاب مصـور. فقفـزت جردا فرحاً، وأخذت تلعب بين الأزهار حتى غربت الشمس وراء أشجار الكرز العالية. ثم أعد لها فراشٌ صغير جميـلٌ؛ عليه وسائد حريريةٌ قرمزيةٌ؛ محشوةٌ بأوراق أشجار زرقـاء بنفسجية. وهناك استغرقت في نومٍ حلوٍ، ورأت أحلاماً مثـل التي تحلم بها ملكةٌ في ليلة عرسها.

ولعبت بين الأزهار في ضوء الشمس الدافئة في اليـوم التالي؛ ولمدة أيامٍ عديدةٍ. وعرفت جردا كـل زهـرةٍ فـي الحديقة. ولكن بالرغم من أنها كانت كثيرةً جدا؛ فقـد خيـل إليها أن إحداها كانت ناقصة، ولم تستطع أن تحددها. ويوماً؛ كانت جالسةً تتطلع إلى قبعة المرأة العجوز بما صور عليهـا من أزهار، ورأت أن أجملها كانت وردة! فقد نسيت المـرأة العجوز الوردة المصورة على قبعتها؛ عندما جعلت الـورود

الحقيقية تغوص في الأرض. فليس من السهل أن تتذكر كـل شيء. وأي سهو صغير؛ كثيراً ما يخل بالترتيبات التي تـتم بأقصى عنايةٍ.

وصاحت جردا: "ماذا؛ ألا توجد ورود في الحديقـة؟". وأخذت تجري من حوض زهور إلى آخر، وأخذت تبحـث ثانيةً، ولكنها لم تعثـر علـى أي وردٍ. فجلسـت وبكـت، وسقطت دموعها على بقعةٍ كانت فيها شجرة وردٍ. وحالمـا بللت دموعها الساخنة الأرض؛ ظهرت الشجرة مـن جديـدٍ ناضرةً مزهرةً كما كانت قبل أن تغوص؛ فطوقتهـا جـردا بذراعيها، وقبلت الأزهار، وأخذت تفكر في الورود الجميلة، وفي كاي الصغير. وصرخت تقول: "أواه، كيف استطعت أن أبقي هنا طوال هذه المدة! لقد غادرت موطني لأبحث عـن كاي. وسألت الورود: "هل تعرفن أين هو؟ هل مات؟". فقالت الورود: "إنه لم يمت. لقد كنا في الأرض التي يرقـد فيهـا الموتى، ولكن كاي ليس هناك". فقالـت جـردا الصـغيرة: "شكراً، لكن..."، ثم ذهبت إلى الأزهار الأخرى، وسـألتها: "أتعرفن أين كاي الصغير؟". ولكن كل زهرةٍ وقفت في ضوء

الشمس تحلم بحكاياتها الصغيرة. ورويت لجـردا قصصـهن، ولكن لم تعرف واحدةٌ منهن أي شيء عن كاى.

ولهذا؛ جرت إلى الطرف الآخر من الحديقـة. كانـت البوابة مغلقةً، ولكنها ضغطت على المزلاج الصدئ إلـى أن رضخ. وفتحت البوابة على مصـراعيها؛ فجـرت جـردا الصغيرة بقدميها الحافيتين خارجةً منها إلى العـالم الفسـيح. ونظرت وراءها ثلاث مراتٍ، ولم يكن هناك أحـد يتتبعهـا. وجرت إلى أن عجزت عن متابعـة الجـرى، ثـم جلسـت لتستريح على حجرٍ كبيرٍ، وعندما تطلعـت حولهـا رأت أن الصيف قد مضى، وأنها الآن في أواخر فصل الخريف. ولم تكن تعرف شيئاً عن هذا؛ عندما كانت في الحديقة التي كانت تشرق فيها الشمس وتنبت الأزهار طوال العام.

وقالت جردا الصغيرة: "لابد إنني مكثت وقتـاً طـويلاً هناك! فنحن الآن في الخريف، وليس أمامى وقت أضـيعه". ونهضت وتابعت سيرها. أواه؛ كم كانت قدماها تؤلمانها، وكم كانتا منهكتين! إن كل ما حولها بدا بارداً كئيباً، وقد أصبحت أوراق أشجار الصفصاف العالية صفراء، وتكـاثف عليهـا الندى، وسال منها كالماء، وسقطت ورقةٌ وراء ورقـةٍ مـن

الأشجار، وكانت شجرة التوت وحدها هي التي حملت ثمراً، وكان توتها حريفاً ومراً. أواه! كم كانت الدنيا تبـدو بـاردةً كئيبةً حزينةً!

ملكة الثلج

(٤)

الأميرةُ والأميرةُ

واضطرت جردا إلى أن تستريح مرة أخرى. وفجـأةً؛ قفز أمامها غراب أسود، أخذ يحجل على الجليـد، ويقـول: "واق! واق، يوم سعيد!.. يوم سعيد!". وجلس بعض الوقـت على غصنٍ ذابلٍ من شجرةٍ فـي مواجهتهـا يرمـق الفتـاة الصغيرة، ويهز رأسه، ثم تقدم ليتعرف عليها، ويسألها إلـى أين هي ذاهبة بمفردها. فروت للغـراب الأسـود قصـتها، وسألته إذا كان قد رأي كاى. فأومأ الغراب الأسود برأسـه، وقال بلهجةٍ يشوبها الارتياب: "ربما رأيته. هـذا محتمـل"؛ فصرخت الفتاة الصغيرة: "أتعتقد أنك رأيته؟".

وقبلت الغراب الأسود، وفي غمرة فرحتهـا احتضـنته بقوةٍ؛ حتى كادت تقضى عليه. فقال الغراب الأسود: "رفقـاً؛ رفقاً؛ أظن إنني أعرف. أظن أنه قد يكون كـأي الصـغير،

ولكنه قد هجرك بلا شك إلى الأميرة". فسألت جردا: "أهـو يقيم مع أميرةٍ؟". فقال الغراب الأسود: "استمعى إلى، ولكـن من الصعب جدا أن أتحدث بلغتك. إذا كنت تفهمـين كـلام الغربان السود، فإنني أستطيع أن أفسر لك الأمـر بصـورةٍ أفضل كثيراً. ترى هل تفهمينها؟". فقالت جردا: "لا؛ إنني لم أتعلمها قط. ولكن جدتى تعرفها، واعتادت أن تكلمنى بهـا. أوه! وددت لو إنني كنت تعلمتها!".

فقال الغراب الأسود: "لا بأس. سأروى لكِ قصتى بقدر ما أستطيع". وروى لها كل ما سمعه؛ فقال: "في المملكة التي نجلس فيها الآن؛ تعيش أميرةٌ متوقدة الذكاء؛ لدرجـة أنهـا قرأت كل الصحف في العالم، ونسيت ما جاء فيهـا أيضـاً. ومنذ عهدٍ غير بعيدٍ؛ كانت تجلس على عرشها تترنم بأغنيةٍ جديدةٍ؛ فيها شطر يتردد: هو "لم لا أتزوج؟"، فقالت: "حقا؛ لم لا؟". وصممت على أن تتزوج إذا استطاعت أن تجد رجـلاً يعرف ما يقول عندما يتكلم معه النـاس، ولـيس رجـلاً لا يستطيع أن يفعل سوى أن يتظاهر بالعظمة؛ لأن ذلك يثيـر الضجر. وعلى هذا؛ استدعت وصيفاتها معاً، وأبلغتهن بمـا

تنوى أن تفعل. فقال لها: "إننا سعيدات بأن نسمع هذا. لقد كنا نتحدث عنه في هذا الصباح بالذات".

وواصل الغراب الأسود كلامه قائلاً: "يمكنك أن تصدقى أن كل كلمة أقولها هي الحقيقة؛ لأن لي حبيبةً أليفـةً تحجـل بحريةٍ حول القصر، وقد أبلغتنى بكل هذا. وصـدرت فـي الحال إعلاناتٌ؛ أطرافها على شكل قلوب ممهورةٍ بالحروف الأولي من اسم الأميرة. وتضمنت تنبيهاً؛ بأن كل شاب جميل الصورة؛ له مطلق الحرية في أن يذهب إلـى القصـر، وأن أفضل من يستطيع أن يتكلم مع الأميرة؛ ويبدو كما لو كـان في بيته؛ هو الذي سوف تختاره الأميرة زوجاً لها".

وقال الغراب الأسود: "يمكنك أن تصدقى ما أقول؛ فهو صحيح لا مرية فيه؛ كما أجلس هنا. وأقبل الناس زرافـاتٍ، ولكن بلا جدوى. فالشبان كانوا يستطيعون أن يتكلموا جيداً؛ طالما أنهم خارج بوابات القصر، ولكنهم ما إن يدخلوا ويروا الحرس الملكي في بزاتهم المحلاة بالفضة، والخدم على السلم وهم يتحلون بالذهب، والصالون الفسيح الذي يتلألأ بالأنوار؛ حتى يرتبكوا. وكانوا يقفون أمام العرش الذي تجلـس عليـه الأميرة، وعندما تخاطبهم لا يستطيعون سوى أن يرددوا آخر

كلمةٍ قالتها. وبدا الأمر كأنهم يصابون بالبكم في اللحظة التي يدخلون فيها القصر؛ لأنهم حالما يخرجون منه يستطيعون أن يتكلموا بطلاقةٍ. وكان هناك صف منهم يصل مـن بوابـات المدينة إلى القصر".

وسألت جردا: "ولكن كاى... كأي الصغير... متى جاء؟ هل كان بين الحشد؟". "حالاً... حالاً؛ إننا سنأتى إليـه. فـي اليوم الثالث؛ جاء شاب بلا جوادٍ ولا عربةٍ، وأخذ يسير فـي مرحٍ إلى القصر. وكانت عيناه تلمعان مثل عينيكِ. وكان له شعر طويلٌ جميلٌ، ولكن ملابسه كانت رثة جدا".

فقالت جردا في فرحٍ: "هذا هـو كـاى! أوه؛ إذن فقـد وجدته!"، وصفقت بيديها. وقال الغراب الأسود: "وكان يحمل حقيبةً على ظهره". فقالت جردا: "لا؛ لم تكن حقيبـةً. إنهـا زلاقةٌ؛ فقد كانت معه زلاقةٌ؛ عندما غادر البيـت". فأجـاب الغراب الأسود: "هذا ممكن. إنني لم أنظر إليه عـن كثـبٍ، ولكنى سمعت من حبيبتى أنه عندما دخل من أبواب القصر، ورأي الحرس الملكي في بزاتهم المحلاة بالفضـة، والخـدم على السلم وهم يتحلون بالذهب؛ لم يبد عليه أقل ارتباكٍ؛ بل أومأ لهم برأسه في كياسةٍ، وقال: "لابـد أن الوقـوف فـي

الخارج متعب جدا، إنني أفضل الدخول". وكانت الحجـرات تتوهج بالضياء، وكان الوزراء والسـفراء يسـيرون حفـاة الأقدام، ويحملون آنية من الذهب، وهذا يكفي لأن يجعـل أي رجلٍ متوجساً صامتاً. وكان حذاؤه يحدث صريراً مزعجـاً. ومع ذلك؛ فإنه لم يكن خائفاً على الإطلاق".

قالت جردا: "كان هذا بالتأكيد كـاى! فأنـا أعـرف أن حذاءه جديد، ولقد سمعته يحدث صريراً في حجرة جـدتى". فقال الغراب الأسود: "إنه كان حقا يحدث صـريراً. ولكنـه مضى في جرأةٍ إلى الأميرة التي كانت تجلس علـى لؤلـؤةٍ كبيرةٍ في حجم دولاب الغزل؛ في حين كانت كـل سـيدات البلاط مع وصيفات الشرف وخادماتهن يقفـن علـى أحـد الجانبين، وكل النبلاء أتباع الأميرة مع خدمهم، وخدم خدمهم الذين كانوا يحتفظون أيضاً بغلمانٍ يقفون على الجانب الآخر، وكلما كانوا أقرب إلى الباب؛ بدوا أكثـر تفـاخراً". فقالـت جردا: "لابد أن هذا كان مريعاً حقا. ترى هـل فـاز كـأي بالأميرة؟".

قال الطائر: "لقد أجاد الشاب الحديث؛ كمـا أفعـل أنـا عندما أستخدم لسان الغربان السود. هذا ما قالته لي حبيبتى.

على أي حالٍ؛ كان مرحاً لطيفاً. وقال إنه لم يأت لكي يخطب ودها. وإنما جاء ليسمع الحكمة من فمها فحسب. وقد راقتـه كثيراً، وراق بدوره في نظرها". فقالت جردا: "نعم ؛ هذا هو بلا شك كاى. لقد كان بارعاً جدا، وكان في وسعه أن يحسب في ذهنه الكسور! أوه؛ هلا أخذتنى إلى داخل القصر؟". فرد الغراب الأسود قائلاً: "آه؛ هذا أمر قوله يسير، ولكن كيـف يتحقق فعله؟ سوف أتباحـث فيـه مـع حبيبتـى، وأسـألها النصيحة. إنه ليس بالأمر الهين؛ فالحصول على إذن بدخول القصر لفتاةٍ صغيرةٍ مثلك؛ إذا جاز لي أن أقول لـكِ هـذا؛ صعب". فصاحت جردا: "أوه؛ إنني سأحصل بسهولةٍ علـى هذا الإذن. فعندما يعرف كأي إنني هنا؛ فإنه سوف يخـرج ويأخذنى". فقال الغراب الأسود؛ وهو يهـز رأسـه ويطيـر مبتعداً: "انتظرينى؛ هناك عند التكعيبة".

ولم يعد الغراب الأسود إلا فـي سـاعة متـأخرةٍ فـي المساء، وقال: "قاق؛ قاق؛ إن حبيبتى تبعث إليـك بتحياتهـا الرقيقة، وترسل لكِ هذه القطعة من الخبز التي أخذتها مـن المطبخ؛ فهناك قدر كبير من الخبز، وهي تعتقد أنكِ لابد أن تكونى جائعةً. وبما أنكِ حافية القدمين؛ فإن الحرس ببـزاتهم

المحلاة بالفضة، والخدم الذين يتحلون بالذهب؛ لن يسـمحوا لكِ أبداً بدخول القصر، ولكن لا تبكي فسوف تـذهبين إلـى هناك. حبيبتى تعرف سلماً خلفيا صغيراً يؤدى إلـى أجنحـة النوم؛ حيث تجدين المفتاح".

وعلى هذا؛ ذهبا إلى الحديقة، وسارا في الطريق الكبير، وعندما أطفئت أنوار مصابيح القصر كلها؛ واحداً بعد واحدٍ؛ اقتاد الغراب الأسود جردا إلى بابٍ خلفي كان نصف مفتوح. أوه؛ كم كان قلب جردا يدق من فرط الخـوف والاشـتياق؛ كأنها كانت ترتكب فعلاً غير مشروعٍ. ومع ذلك؛ فإنها هـي وحدها التي كانت ترغب في أن تعرف هل كان كـأي حقـا هناك. إنها سوف ترى ما إذا كانت ابتسامته لا تـزال كمـا عهدتها؛ عندما كانا يجلسان تحت أشجار الورد معـاً. إنـه سوف يسره أن يراها، وأن يعرف مدى المسافة التي قطعتها من أجله، ومدى حزن كل من في البيت؛ عندما لـم يرجـع إليهم. وكان قلبها يرتجف من فرط الخوف والفرح.

وصعدا على الدرج. وكان هناك مصـباح موقـد فـي مرحاض بأعلى القصر، وفي الوسط علـى الأرض وقفـت أنثى الغراب الأسود الأليفة... أدارت رأسها أولاً إلى جميـع

الجوانب، ثم تطلعت إلى جردا التي أحنت رأسها تحيةً؛ كمـا علمتها جدتها. قالت أنثى الغراب الأليفة: "لقد أبلغنى خطيبى بقدرٍ كبيرٍ عنك أيتها الفتاة الصغيرة. إن ما قمـت بـه مـن مغامرات مسل للغايـة؛ وإذا أخـذت المصـباح؛ فسـأريكِ الطريق. سنمضى على طول هذا الطريق، ولن نقابل أحداً".

ودخلوا القاعة الأولى، وكانت جدرانها مكسـوةً بـالأطلس، وردى اللون الموشى بأزهار من الذهب. وبـدت لهـا كـل حجرةٍ مروا خلالها أروع من سابقتها. وأخيراً؛ وصلوا إلـى قاعة النوم. كان هناك في وسط هذه الحجـرة عمـود مـن الذهب؛ مثل جذع نخلةٍ كبيرةٍ، وأوراقهـا المصـنوعة مـن البلور الثمين؛ كانت بمثابة السقف، ومن الشجرة كان يتـدلي قرب الباب على سيقانٍ صغيرةٍ غليظةٍ من الذهب سـريران على شكل زنبقتين. وكان أحدهما أبيض اللون، وفيـه ترقـد الأميرة. وكان الآخر أحمر اللون، وفي هذا بحثت جردا عن كأي رفيقها في اللعب، وانحنت جانباً بجوار إحـدى الأوراق الحمراء؛ فرأت عنقاً صغيراً أسمر. أوه؛ لابـد أنـه كـاى! وتطلعت الأميرة من فراشها في الزنبقة البيضاء، واستفسرت

عما حدث. عندئذ؛ بكت جردا الصغيرة، وروت لها القصة، وما فعله الغرابان لمساعدتها.

قال الأمير والأميرة: "يا للطفلة المسكينة!". وأثنيا على الغرابين، وقالا إنهما ليسا غاضبين منهما على الإطلاق لما فعلاه. إن مثل هذا الشيء يجب ألا يحدث أبداً، ولكنهما سوف يكافآن هذه المرة. وسألت الأميرة: "أتودان أن تكونا حرين طليقين، أم تحبان أن تصبحا غرابى البلاط، وأن يكون لكما الحق في كل ما يبقي في المطبخ الملكى؟". فانحنى الغرابان معاً انحناءةً كبيرةً، واختارا التعيين في البلاط؛ لأنهما فكرا فيما يكون عليه حالهما؛ عندما يتقدم بهما السن، وقالا إنهما يريحهما جدا أن تتوفر لهما سبل العيش في السنوات التي تضمحل فيها قواهما. ثم نهض الأمير، وطلب من جردا أن تنام في فراشه.

وفي اليوم التالي؛ أُلبِستْ ثياباً من الحرير والقطيفة من قمة رأسها إلى أخمص قدمها، ودعيت للإقامة في القصر والاستمتاع بها، ولكنها لم تطلب إلا عربةً صغيرةً وحصاناً وزوجاً من الأحذية؛ إذ كان كل ما تريده هو أن تنطلق ثانيةً إلى العالم الفسيح؛ لتبحث عن كاى.

أعطوها الحذاء، وقفازين من الفرو أيضاً. وحالما تأهبت للخروج؛ سيقت إلى الباب عربةً من الذهب الخالص، وكـان ذراعا الأميرة والأمير يتألقان عليها مثل نجمٍ لامـعٍ، وكـان الحوذى والساعى والخدم الراكبون يلبسون جميعاً تيجاناً من الذهب. وساعدها الأمير والأميرة بنفسـيهما علـى ركـوب العربة، وتمنيا لها التوفيق. وذهب معها غراب الغابة الـذي أصبح متزوجاً الآن، ورافقها في الأميال الثلاثـة الأولـى. وكانت العربة مزودة تماماً بقطعٍ مـن الحلـوى وبالفاكهـة وبخبز الزنجبيل والجوز. وصاح الأمير والأميرة: "نستودعك الله! نستودعك الله!"؛ فبكت جردا، وبكي الغـراب الأسـود تعاطفاً معها. ثم طار إلى غصن شـجرةٍ، وأخـذ يرفـرف بجناحيه الأسودين ملوحاً للعربة إلى أن غابت عن الأنظار.

ملكة الثلج

(٥)

اللصةُ الصغيرةُ

وساقوا العربة خلال الغابة المظلمة، وكانت العربة تلمع كشعلةٍ متوهجةٍ. ولسوء الحظ؛ اجتذب لمعانها انتباه بعـض لصوص الغابة الذين لم يحتملوا أن يتركوها تمـر؛ دون أن يسلبوا من فيها. وصرخوا يقولون: "إنه ذهب! إنه ذهب!"، ثم اندفعوا إلى الأمام، وأمسكوا بالجياد، وطعنوا الخدم الراكبين والحوذى والساعى حتى فـارقوا الحيـاة، وجـذبوا جـردا الصغيرة خارج العربة. وقالت زوجة اللص العجـوز التـي كانت لها لحيةٌ طويلةٌ وشـائكةٌ، وحاجبـان يتـدليان مثـل شجيرات على عينيها: "إنها بضةٌ وجميلة، فقد أطعمت حبات الجوز. إنها مثل حملٍ صغيرٍ سمينٍ. كـم سـيكون طعمهـا لذيذاً!". وما إن قالت هذا حتى سحبت خنجرها اللامع الـذي كان يبرق بشكلٍ رهيبٍ جدا.

وصرخت المرأة: "آهٍ؛ آهٍ"؛ لأن ابنتها الشرسـة قفـزت على عنقها في نفس اللحظة التـي رفعـت فيهـا الخنجـر، وقضمت أذنها بعنفٍ؛ فقالت: "أيتها الطفلة الخبيثة!". فقالـت اللصة الصغيرة: "إنها سوف تلعب معى، وسـوف تعطينـى قفازيها المصنوعين من الفرو؛ وفستانها الجميل، وتنام معى في فراشى!"، ثم عضت أمها مرةً أخرى حتى قفزت زوجـة اللص، وصرخت من فرط الألم؛ فضحك اللصوص جميعـاً، وقالوا: "انظروا كيف تلهو مع جروها!".

وكانت اللصة الصغيرة طفلةً مدللةً؛ تسير دائمـاً علـى هواها. جلست هي وجردا في العربة وساقتاها، وتوغلتا فـي الغابة. وكانت في طول جردا تقريباً، ولكنها كانت أقوى منها بنية. وكان لها كتفان عريضتان، وبشـرةٌ سـمراء داكنـةٌ، وعيناها سوداوان حقا، وفيهما نظـرةٌ حزينـةٌ... وضـعت ذراعها حول خصر جردا، وقالت: "إنها لن تقتلك؛ طالما أنا أحبك! ألستِ أميرة؟". فقالت جردا: "كلا"؛ ثم قصت عليها كل ما حدث لها، وكيف أحبت كأي حبا جما. فتطلعـت اللصـة الصغيرة إلى وجهها في جد واهتمامٍ، وقالت: "إنها لن تقتلك؛ حتى لو تشاجرت معك، ثم إنني في الحقيقة أود أن أفعل هذا

بنفسى!". وجففت دموع جردا، ووضعت كلتـا يـديها فـي القفازين الجميلين المصنوعين من الفـرو، وكانـا نـاعمين ودافئين.

توقفت العربة أخيراً في فناء قلعة اللصـوص. وكانـت هذه القلعة نصف مهدمةٍ؛ فطارت الغربان والغربان السـود خارج الجحور. وكان فيها كلاب بادج كبيرةٌ تبدو قادرة على أن تلتهم رجلاً في لحظةٍ؛ أخذت تقفز حول العربـة دون أن تنبح؛ لأن هذا كان محظوراً عليها.

ودخلت الفتاتان إلى قاعةٍ فسيحةٍ مفعمةٍ بالدخان؛ حيـث أوقدت نار كبيرةٌ على الأرض، وكان هناك قدر كبيرةٌ مليئةٌ بحساءٍ يغلي على النار، وأرانب تشوى على السفود. وقالـت اللصة: "سوف تنامين الليلة معى أنا وحيواناتى المدللة". ثـم تناولتا بعض الطعام، وذهبتا إلى ركن فيه قشٌ وقطعةٌ مـن السجاد. وكانت هناك أكثر من مئة حمامـةٍ جاثمـةٍ علـى عوارض وألواحٍ خشبيةٍ حولهما؛ تبدو نائمةً، ولكنها أجفلت؛ عندما اقتربت منها الفتاتان الصغيرتان.

قالت اللصة: "كل هذا لى"؛ وهي تمسك بأقرب طائرٍ من قدميه، وتطوح به يميناً ويساراً وهو يرفرف بجناحيه، وقربته

من وجه جردا قائلةً: "قبليه". وواصلت كلامها؛ وهي تتشـير إلى عددٍ من ألواح الخشب المزدوج، وقفـص مثبـتٍ فـي تجويفٍ بالحائط: "إن حمام الغابة جاثم هناك، وسيطير مبتعداً إذا لم أحبسه. وها هو صديقى الحميم القديم!". وجذبت غزالاً أحمر اللون تحيط بعنقه حلقةٌ نحاسيةٌ لامعةٌ من قرنه؛ كـان مقيداً إلى حجرٍ كبيرٍ، وقالت: "إننا مضطرون إلـى تقييـده؛ حتى لا يهرب منا. وفي كل مساءٍ؛ أمسه بخفـةٍ بخنجـرى الحاد؛ فهذا يجعله يخاف منى خوفاً شديداً". ثم استلت خنجراً طويلاً من شق في الحائط، ومرت به علـى نحـر الغـزال الأحمر. فأخذ الحيوان المسكين يجاهد للتخلص مـن قيـده، ويركل بقدميه. ولكن الفتاة ضحكت، ثم جذبت جـردا إلـى فراشها لتنام معها. وسألت جردا؛ وهي تبدو خائفة جدا: "هل ستحتفظين بالخنجر في يديكِ؛ وأنتِ نائمةٌ؟". فردت اللصـة الصغيرة قائلةً: "إنني دائماً أحتفظ بخنجـرى إلـى جـانبى. فالمرء لا يعرف قط ما قد يحدث. ولكن هيـا الآن؛ قصـى عليمرةً أخرى كل ما قلته لي من قبل عن كاى، ولماذا جئت وحدك دون الناس جميعاً".

روت لها جردا قصتها، وأخذ حمام الغابة يهدل فوقهما. أما الآخرون؛ فقد ناموا، وألقت اللصـة الصـغيرة بإحـدى ذراعيها حول عنق جردا، وأمسكت الخنجر باليد الأخـرى، وسرعان ما استغرقت في النوم. ولكن جردا لم تسـتطع أن تغمض عينيها؛ لأنها لا تعرف ما سوف يجري لهـا، وهـل ستتركها اللصوص تعيش أم لا.

وجلس اللصوص حول النار يشربون ويغنون. أواه؛ يا لها من ليلةٍ فظيعةٍ تلك التي أمضتها الفتاة الصغيرة المسكينة! ثم قالت حمامتا الغابة: "كو؛ كو؛ كو؛ لقد رأينا كاي الصغير؛ وقد حملت دجاجة بيضاء زلاقته، وكان يجلس في عربة ملكة الثلج التي سارت خلال الغابة؛ ونحن جالستان فـي عشـنا. وتنفست وهي تمر بنا فأصـابتنا أنفاسـها البـاردة، ومـات الصغار جميعاً؛ ما عدانا نحن الاثنتين... كو، كـو، كـو". فصرخت جردا: "ماذا تقولان؟ إلى أين كانـت ملكـة الـثلج ماضيةً؟ هل تعرفان أي شيء عن هذا؟"؛ فقالتا: "إنها سافرت على الأرجح إلى لابلاند التي يوجد فيها ثلج وجليد. واسـإلى الغزال الأحمر المربوط بالحبل هناك".

قال الغزال الأحمر: "نعم؛ هناك ثلج وجليد دائماً، وهي أرض رائعةٌ! فهناك يستطيع المـرء وهـو يـنعم بالحريـة والسعادة أن يطوف خلال الوديان الفسيحة اللامعة. هنـاك؛ لملكة الثلج خيمة صيفية، ولكن قلعتها المنيعـة تقـع قـرب القطب الشمالى؛ في جزيرة تـدعى سـبتزبرجن". فتنهـدت جردا، وقالت: "أواه؛ يا كاى! يا عزيزي كاى!".

وعندما أقبل الصباح؛ أخبرت جردا اللصة الصغيرة بما قالته لها حمامتا الغابة، وبدت هادئةً رصينةً، وهزت رأسها. وسألت الغزال الأحمر: "أتعرف أين توجد لابلانـد؟". فقـال الحيوان؛ وعيناه تلمعان: "ومن يعرفها خيراً منى؟ لقد ولدت وتربيت هناك. وهناك اعتدت أن أتوثب على السهول الثلجية المقفرة!".

فقالت اللصة: "اسمعى ما أقول! إنك تـرين أن جميـع رجالنا قد انصرفوا، ولكن أمى لا تزال هنا، وسـوف تظـل هنا. ولكن عند الظهيرة سوف تشرب من القارورة الكبيـرة، وبعد ذلك تغفو قليلاً... وعندئذٍ؛ سوف أفعل لكِ شيئاً ما!".

وعندما استغرقت أم اللصة الصغيرة في النوم؛ ذهبـت اللصة إلى الغزال الأحمر، وقالت له: "إنني لأود أن أداعـب

عنقك مراراً عديدةً أخرى بخنجرى الحاد؛ لأنك عندئذٍ تبدو مضحكاً جدا. ولكن هون عليك؛ فسأطلقك من الحبل الذي يقيدك؛ لتكون حراً طليقاً؛ بشرط أن تجري إلى لابلاند بأسرع ما تستطيع وتأخذ معك هذه الفتاة الصغيرة إلى قلعة ملكة الثلج؛ حيث يوجد رفيقها في اللعب. ولابد أنك قد سمعت قصتها؛ لأنها تتكلم بصوتٍ عالٍ يكفي لأن تسمعها، وأنت تعرف كيف تتصنت".

قفز الغزال الأحمر فرحاً، ورفعت اللصة جردا على ظهره، وحرصت على أن تربطها فوقه بإحكامٍ، وعلى أن تعطيها كذلك وسادة صغيرة لتجلس عليها، وقالت لها: "ها هو ذا حذاؤك الفرو؛ فسوف تحتاجين إليه الآن لأن الجو سيكون بارداً جدا. أما القفاز الفرو فسأحتفظ به؛ فهو جميلٌ جدا. ولكنك لن تتجمدى بسبب الحاجة إليه؛ فإليك قفازا أمى الكبيران؛ وهما يصلان إلى المرفقين فالبسيهما. إن يديكِ تبدوان خشنتين؛ مثل يدى أمى!"؛ فذرفت جردا الدموع من الفرح. وقالت اللصة الصغيرة: "إنني لا أستطيع احتمال أن أراكِ؛ وأنتِ تبكين! ينبغى أن يبدو عليكِ السرور. أنظرى... إليك رغيفان من الخبز وقطعةٌ من اللحم؛ حتى لا تجوعى

وأنتِ في الطريق". وربطت هذه الأشياء إلى ظهر الغـزال الأحمر، وفتحت الباب، وصاحت لتصرف الكلاب الضـخمة بعيداً، ثم قطعت بخنجرها الحبل الذي كـان يقيـد الغـزال الأحمر، وصاحت تقول له: "والآن؛ هيا أسـرع بـالجرى! ولكن احرص على الفتاة الصغيرة".

مدت جردا يديها إلى اللصة، وودعتها، وقفـز الغـزال الأحمر يجري مخترقاً الغابة على الجذوع والأحجار، وعبر الصحراء والبادية، وفوق المروج، والأراضى البور. وعوت الذئاب، وصرخت الغربان السود: "آيـش! آيـش!". وقـال الغزال الأحمر: "تلك هي أضواء الشمال القديمـة العزيـزة! انظرى كم هي جميلةٌ!" وأخذ يجري ليلاً ونهاراً بأسرع ممـا فعل من قبل، ولكن الرغيفين كانا قد التهما، وكـذلك قطعـة اللحم؛ عندما وصلا أخيراً إلى لابلاند.

ملكة الثلج

(٦)

امرأةٌ لابلاندِيةٌ وامرأةٌ فِنْلَنْدِيةٌ

وقفا أمام كوخٍ صغيرٍ. وكان كوخاً حقيراً؛ يكاد سـقفه يمس الأرض، وبابه منخفض جدا؛ لدرجة أن كل من يريـد أن يدخل أو يخرج؛ عليه أن يزحف على يديه وركبتيه. ولم يكن فيه أحد؛ سوى امرأةٍ عجوزٍ من لابلاند، وكانت منهمكةً في سلق سمكةٍ على قنديلٍ.

قص عليها الغزال الأحمر حكاية جردا كاملةً، وإن كان لم يفعل ذلك على أي حال إلا بعد أن روى لها قصته التـي خيل إليه أنها أكثر أهمية، وكانت جردا الصغيرة المسـكينة تعاني من البرد القارص؛ فلم تستطع أن تنبس ببنـت شـفةٍ. وقالت المرأة اللابلاندية: "يا لكِ من مسكينةٍ؛ لا يزال أمامـكِ طريقٌ عليكِ أن تقطعيه؛ إذ عليكِ أن تجري مئة ميل؛ قبل أن تستطيعي الوصول إلى فنلندة. فملكة الثلج تعيش هناك الآن، وتشعل كل ليلةٍ قناديل ترسل أنواراً زرقاء. سأكتب لكِ بضع

كلماتٍ على قطعةٍ من السمك القديد المجفف؛ فليس عندي ورقٌ، ويمكنكِ أن تأخذيها معكِ إلى المرأة الفنلندية الحكيمة التي تعيش هناك، وسوف تتشير عليكِ بما تفعلين؛ خيراً مما أستطيع".

وعلى هذا؛ فإنه عندما تدفأت جردا وتناولت بعض الطعام؛ كتبت المرأة اللابلاندية بضع كلماتٍ على قطعةٍ من السمك القديد المجفف، وأمرت جردا بأن تحرص عليها، وربطتها مرة أخرى ربطاً محكماً إلى ظهر الغزال الأحمر؛ فانطلقا بعيداً بأقصى سرعةٍ. وأضاءت أنوار الشمال الزرقاء؛ فبددت ظلام الليل.

وأخيراً؛ وصلا إلى فنلندة، وقرعا مدخنة كوخ المرأة الحكيمة؛ لأنه لم يكن هناك باب فوق الأرض. وزحفا إلى الداخل؛ حيث كان الجو حارا جدا؛ لدرجة أن المرأة الحكيمة كانت تكاد لا ترتدي أي ملابس. كانت ضئيلة الجسم، ومظهرها زريا. حلت ثوب جردا الصغيرة، وخلعت لها حذاءها المصنوع من الفرو وقفازيها السميكين، ووضعت قطعة من الثلج على رأس الغزال الأحمر، ثم قرأت ما كان مكتوباً على قطعة السمك القديد. قرأته ثلاثَ مراتٍ، وبعد

القراءة الثالثة؛ كانت قد حفظت الكلام عن ظهر قلبٍ؛ فألقت بقطعة السمك في قدر العصيدة؛ لأنها كانت تعلم بأنها تصلح لأن تؤكل، وكانت لا تضيع أبداً أي شيءٍ.

وعندئذٍ؛ روى لها الغزال الأحمر قصته أولاً. وبعد ذلك؛ روى قصة جردا الصغيرة؛ فلمعت عين المرأة الحكيمة، ولكنها لم تنبس ببنت شفةٍ. وقال الغزال الأحمر: "ألا تمزجين لهذه الفتاة الصغيرة تلك الجرعة العجيبة التي تمنحها قوة اثنى عشر رجلاً، وتجعلها قادرة على التغلب على ملكة الثلج؟". فقالت المرأة الحكيمة: "قوة اثنى عشر رجلاً... ذلك لن يفيد كثيراً"، وسارت بعيداً، وسحبت رزمة من الرق من رف، وأخذت تقرأ؛ حتى سال العرق على جبينها.

وأخيراً؛ بدأت عيناها تلمعان مرةً أخرى، وجذبت الغزال الأحمر إلى ركن، ووضعت قطعةً جديدةً من الثلج على رأسه، وهمست تقول: "إن كاي الصغير لا يزال مع ملكة الثلج، وهو يجد كل شيء موافقاً لذوقه، ويعتقد أن هذا هو خير مكانٍ في العالم. ولكن هذا؛ يرجع إلى أن في قلبه شظيةً من مرآةٍ، وفي عينيه شظيةً أخرى. وإلى أن يتخلص

منها لن يحس قط بما يحس به أحد من البشر، وسوف يكون لملكة الثلج دائماً سلطان عليه". فسأل الغزال الأحمر: "ولكن ألا يمكنكِ أن تعطي جردا شيئاً؛ يساعدها في التغلـب علـى هذه القوة الشريرة؟". فأجابت المرأة: "إننـي لا أسـتطيع أن أمنحها قوةً أكبر مما لديها. إن قوتها أعظم من قوتنا؛ لأنهـا تصدر من قلبٍ طاهرٍ مليءٍ بالحـب. وإذا كانـت بهـذا لا تستطيع الوصول إلى قصر ملكة الثلج، وتخلص عين وقلـب كاي من شظيتي المرآة؛ فإننا لن نستطيع أن نفعل لها شـيئاً. على بعد ميلين من هنا؛ تقع حديقة ملكة الثلج، وتسـتطيع أن تحمل الفتاة الصغيرة إلى هناك، وتنزلها قرب الشجرة التـي تحمل توتاً أحمر اللون؛ وهي نصف مغطاة بالثلج. فهيـا؛ لا تضيع الوقت في الثرثرة، وأسرع بالعودة؛ بأقصى ما يمكنك من قوةٍ". ثم رفعت المرأة الحكيمة جردا على ظهر الغـزال الأحمر، وانطلقا بعيداً.

صرخت جردا عندما أحست بالبرد القارص، وقالـت: "أوه؛ لقد تركت حذائي وقفازي". ولكن الغزال الأحمـر لـم يجرؤ على التوقف. وظل يجري؛ إلى أن وصل إلى شجيرة

التوت الأحمر، ثم هرع عائداً بسرعةٍ، وكان هذا خيـر مـا استطاع أن يفعله.

وهناك وقفت جردا المسكينة بلا حذاءٍ ولا قفازين وحيدةً في فنلندة الجرداء المقفرة المغطاة بالثلوج. فجرت إلى الأمام بأسرع ما تستطيع؛ فاستقبلتها كتيبةٌ كاملةٌ من رقائق الـثلج. إنها لم تسقط من السماء التي كانت صافيةً من الغيوم وتلمـع بأنوار الشمال. وأخذت تجري في خط مستقيمٍ علـى طـول الأرض، وكانت كلما تقدمت جردا إلى الأمـام؛ ازداد حجـم الرقائق. وعندئذٍ؛ تذكرت جردا كيف بدت لها رقائق الـثلج كبيرةً وغريبةً؛ عندما تطلعت إليها ذات يومٍ من خلال عدسةٍ محدبةٍ، وكانت هذه على أي حالٍ أكبر حجماً، وأشد فظاعةً؛ لأنها كانت حيةً. وكانت في الحقيقة حـراس ملكـة الـثلج، وأشكالها من أغرب الأشكال التي يمكن أن تخطر لك علـى بالٍ. وبدا بعضها مثل القنافذ الضخمة القبيحة، وبدا بعضـها الآخر كثعابين ملتفةٍ في عقدٍ تمتد رؤوسـها منهـا، وبـدت أخرى مثل دببةٍ سمينةٍ صغيرةٍ لها شعر شائك، ولكنها كلهـا كانت بيضاء تبهر الأبصار، وكانت كلها رقائق ثلجٍ حيةً.

وبدأت جردا الصغيرة تردد دعاء تتضرع به إلـى الله، وكان الجو بارداً جدا؛ لدرجة أنه كان في وسـعها أن تـرى أنفاسها وهي تخرج من فمها في هيئة بخارٍ متكاثفٍ؛ وهـي تنطق بكلمات الدعاء. وخيل لها أن البخار يتكاثف بصـورةٍ أشد؛ وهي مستمرةٌ في الصلاة والدعاء. وأخيراً؛ اتخذ شـكل ملائكةٍ صغيرةٍ بيضاء؛ أصبحت عندما لمست الأرض أكبـر حجماً وأشد وضوحاً. وكانت تلبس على رؤوسـها خـوذاً، وتحمل دروعاً وحراباً. وأخذ عددها يتزايد بسرعةٍ؛ حتى إن فرقةً كاملةً منها عندما انتهت جردا من دعائها كانـت تقـف حولها. ووجهت طعناتٍ بحرابها إلى رقائق الثلج الفظيعـة؛ فتحطمت إلى آلاف القطع، وسارت جردا الصغيرة عليهـا؛ دون أن يمسها أذى أو يتطرق إلى قلبها الخـوف. ومسـت الملائكة يديها وقدميها، وعند ذلك؛ أصبحت لا تكـاد تحـس بالبرد، ومضت في جرأةٍ إلى قصر ملكة الثلج.

ولكن قبل أن نمضى قدماً في رواية قصتها؛ دعونا نرى ما يفعل كاى. إنه بلا شك لا يفكر في جردا الصغيرة، وآخر ما يمكن أن يتخيله؛ هو أنها تقف الآن على بوابة القصر.

ملكة الثلج

(٧)

قصر ملكةِ الثلج

كانت جدران القصر مكونة من الثلج المتراكم، وأبوابـه ونوافذه من الرياح الباردة. وكان في القصر أكثر مـن مئـة حجرةٍ؛ طول أكبرها أميالٌ عديدةٌ، وتضـيئها كلهـا أنـوار الشمال، وجميعها على السواء فسـيحةٌ؛ خاويـةٌ؛ قارصـة البرودة كالثلج؛ وبيضاء تبهر الأبصار. وفي وسـط القاعـة الخاوية التي لا نهاية لها من الجليد تقـع بحيـرةٌ متجمـدةٌ؛ محطمةٌ إلى ألف قطعةٍ؛ كل قطعةٍ منها تشبه تمامـاً القطـع الأخرى؛ إلى حد أن تحطيمها قد يعتبر ثمرة عمل يحتاج إلى مهارةٍ تفوق مهارة البشر. وكانت ملكة الـثلج؛ وهـي فـي البيت؛ تجلس دائماً في وسط هذه البحيرة.

وكان كاي الصغير أزرق البشرة؛ كلا... بل أسود اللون من البرد، ولكنه لم يكن يحس به؛ لأن ملكة الثلج كانت قـد قبلته؛ فخلصته من قشعريرة البرد. وأصبح قلبه كتلـةً مـن

الثلج. وكان مشغولاً بين الشظايا الثلجية الحادة؛ في وضعها ولصقها معاً بكل وسيلةٍ ممكنةٍ؛ تماماً كما يفعل النـاس بمـا يسمى الأحاجى الصينية. وكان في وسـع كـأي أن يشـكل أغرب الأشكال وأكملها؛ إذ إنهـا فـي نظـره ذات أهميـة قصوى. وكثيراً ما كان يشكل كلماتٍ كاملةً، ولكـن كانـت هناك كلمةٌ واحدةٌ لم يستطع أبداً أن ينجح في تشكيلها... تلك هي كلمة الخلود. وقالت له ملكة الثلج: "عندما تسـتطيع أن تضع شظايا الثلج معاً لتكون تلك الكلمة؛ فسوف تكون سـيد نفسك، وسوف أعطيك العالم بأسره، وزوجـاً جديـداً مـن الزحافات أيضاً". ولكنه لم يستطع أن يفعل هذا أبداً.

وقالت ملكة الثلج: "أنا ذاهبةٌ الآن إلى الـبلاد الدافئـة. وسوف أمرق في الهواء، وأنعم النظر في فوهات البـراكين السوداء التي تسمى إتنا وفيزوف، وسوف أبيضها قليلاً؛ فذلك سوف يكون خيراً لليمون والكروم". وعلى هذا؛ طارت ملكة الثلج بعيداً، وتركت كأي جالساً وحده في قاعة الثلج الفسيحة الخاوية. وظل يتطلع إلى قطع الثلج، ويفكر، ويفكر؛ إلى أن آلمته رأسه، وجلس ساكناً جامداً؛ إلى حد أن المرء قد يظـن أنه كان أيضاً متجمداً.

وهبت الرياح باردة قارصـةً؛ عنـدما مـرت جـردا الصغيرة من خلال بوابات القصر؛ فرددت دعاءهـا الـذي تتلوه في المساء؛ فسكنت الرياح في الحال. ودخلت القاعـة الفسيحة الخاوية؛ فرأت كاى، وعرفته من الفـور وطـارت إليه، وألقت بنفسها على عنقه، واحتضنته بشـدةٍ، وصـاحت تقول: "كأي يا عزيزي؛ يا عزيزي كاى؛ لقد عثرت عليـك أخيراً!". ولكنه جلس ساكناً؛ جامداً تماماً؛ بدون مبالاةٍ، ودون أن يتحرك. فجرحت غلاظته مشاعر جردا المسكينة، وبكـت بمرارةٍ، وسقطت دموعها على صدره؛ فأذابت الثلج، ونفذت إلى قلبه، وجرفت شظية المرآة. وتطلع إليها؛ وهـي تتـرنم بأغنيتهما المفضلة.

انفجر كأي باكياً. وبكي إلى أن عامت شظية المرآة في عينيه، وسقطت مع دموعه. وعندئذٍ؛ عرف صاحبته السابقة، وصرخ من الفرح: "جردا يا عزيزتى؛ جردا الصغيرة؛ أيـن كنتِ طوال هذه الفترة؟ وأين كنتُ أنا؟". وأخذ يتطلع حولـه، وقال: "ما أشد البرودة هنا، وما أوسع المكان، وكم هو قفر!". ثم احتضن جردا؛ فضحكت وبكت، وأخذت تضحك وتبكـي بالتناوب. وحتى قطع الثلج شاركتهما في الابتهـاج، وأخـذا

يرقصان في مرحٍ. وعندما خارت قواهما واستلقيا على الأرض؛ شكلا في توافقٍ وانسجامٍ الحروف التي قالت ملكة الثلج إن كاي سوف يكون سيد نفسه؛ عندما يستطيع أن يضعها إلى جانب بعضها، وإنها سوف تعطيه العالم بأسره؛ علاوة على زوجٍ جديدٍ من الزحافات. وقبلت جردا وجنتيه؛ فأصبحتا ناضرتين ومتألقتين كما كانتا من قبل. وقبلت عينيه؛ فلمعتا مثل عينيها، وقبلت يديه وقدميه؛ فغدا من جديدٍ صحيحاً معافى مرحاً. إن ملكة الثلج يمكن الآن أن تعود إلى وطنها؛ أو حالما يروق لها ذلك؛ فهذا لا يهم. فميثاق حرية كاي مكتوب على الجليد بحروفٍ لامعةٍ من الثلج.

وأخذ كل منهما الآخر من يديه، وانطلقا خارجين من قصر الثلج. وبينما كانا يسيران؛ سكنت الرياح، وبزغت الشمس في أبهي حلةٍ؛ مشرقةً من بين سحب العاصفة السوداء. وعندما وصلا إلى شجيرة التوت الأحمر؛ وجدا الغزال الأحمر واقفاً في انتظارهما، وأتى معه بغزالةٍ حمراء أخرى أشد فتوةً منه؛ ضروعها مفعمةٌ باللبن؛ فجادت بلبنها الدافئ بسرور لتنعش المسافرين الصغيرين.

وحمل الغزال الأحمر الأكبر سناً والغزالة الفتية كـأي وجردا على ظهريهما، واتجها أولاً إلـى الحجـرة الدافئـة الصغيرة للمرأة الحكيمة في فنلندة؛ حيث استدفآ، وتلقيا منهـا نصيحة تفيدهما في رحلة العودة إلى الوطن. وبعد ذلك؛ ذهبا إلى بيت المرأة اللابلاندية التي حاكت لهما بعض الملابـس الجديدة، وزودتهما بزلاقةٍ. وجرت الجماعة كلها معاً إلى أن أتوا إلى حدود البلاد.

وفي الموضع الذي بدأت فيه أوراق الأشجار الخضراء تنبت؛ استأذنت المرأة اللابلاندية والغزالان الأحمـران فـي الذهاب، وقالوا جميعاً: "نسـتودعكما الله؛ نسـتودعكما الله!". وبدأت الطيور التي كانت أول ما رأيا منذ أيامٍ طويلةٍ عديـدةٍ في الزقزقة بأغاريدها الجميلة، واكتست أشجار الغابة بأوراق اصطبغت بـألوانٍ خضـراء مختلفـة. وفجـأةً؛ انفرجـت الأغصان، وبرز جوادٌ رشيقٌ أخذ ينهـب الأرض ركضـاً. وعرفته جردا فهو الجواد الذي كان يجر عربتهـا الذهبيـة. وعلى ظهره؛ كانت فتاةٌ صغيرةٌ تلبس قلنسوةً قرمزيةً لامعةً، ومعها غدارتان في جرابين أمامها. وكانـت هـي اللصـة الصغيرة التي سئمت موطنها في الغابـة؛ فانطلقـت تقـوم

برحلاتٍ؛ فذهبت أولاً إلى الشمال، وبعد ذلك إلـى أجـزاءٍ أخرى من العالم. وعرفت جردا في الحال؛ فلـم تكـن قـد نسيتها. وحيت كل منهما الأخرى في فرحٍ عظيمٍ.

قالت اللصة لكاى: "لا شك أنك سيد لطيفٌ؛ أنـت أيهـا الفتى الكسول الفظ. إنني أود أن أعرف ما إذا كنت تسـتحق أن يجري أحد إلى نهاية العالم من أجلك"، ولكن جردا ربتت على خديها، وسألتها عن الأمير والأميرة؛ فـردت اللصـة بقولها: "لقد ذهبا إلى بلادٍ بعيدةٍ". وسألت جردا: "والغـراب الأسود؟"؛ فأجابتها قائلةً: "آه؛ إن الغـراب الأسـود مـات، وحبيبته أرملةٌ الآن. وعلى هذا؛ فإنها تحجل؛ وحول سـاقيها خيوط صوف سوداء، وهي تنوح بصوت يثير الشفقة، وتهذر أكثر من أي وقتٍ مضى. ولكن خبرينى الآن كيف نجحـت في أن تستردى رفيقك القديم في اللعب". فروت لهـا جـردا وكأي قصتهما.

قالت اللصة: "يا لها من قصةٍ عجيبـةٍ". ثـم أمسـكت بيديهما، ووعدتهما بأن تزورهما إذا ما مرت بمدينتهما، ثـم استودعتهما الله، وركبت وانطلقت إلى العالم الفسيح.

سار كأي وجردا؛ وهما متشابكا اليدين، وحيثما يذهبان كانا ينعمان بالربيع... الربيع الجميـل بأزهـاره البـاهرة، وأوراق أشجاره الخضراء. وأقبلا إلى مدينةٍ كبيـرةٍ؛ كانـت فيها أجراس الكنيسة تدق في مرحٍ؛ فعرفا في الحال الأبراج العالية التي ترتفع إلى عنان السماء؛ لأنها كانت المدينة التي كانا يعيشان فيها. وانطلقا يجوسان في الشوارع، ووقفا لـدى باب بيت جدة جردا، وصعدا على درجات السـلم، ودخـلا الحجرة المعهودة. ودقت الساعة "تك؛ تك"، وتحرك العقربان؛ كما كانا يفعلان من قبل. شيء واحد استطاعا أن يكتشـفاه؛ وكان ذلك في نفسيهما؛ لأنهما عرفا أنهما في ذلك الوقت قـد شبا عن الطوق. وأزهرت أشجار الورد على السـطح. أمـا النافذة المفتوحة؛ وكان تحتها كرسيا الطفلين؛ فقد مضى كأي وجردا، وجلسا عليهما؛ وهما لا يزالان متشـابكي اليـدين. ونسيا أبهة قصر ملكة الثلج البارد، وخيل لهما أنه لم يكن إلا حلماً مزعجاً.

الراعية ومنظف المدخنة

هل رأيت من قبل خزانةً قديمة الطـراز مـن خشـب البلوط؛ أسود لونها بفعل الزمن، وتغطى كل بوصـةٍ فيهـا زخارف نباتيةٌ وأشكالٌ غريبةٌ نحتت عليها؟ إنها تماماً مثـل خزانةٍ من تراثٍ كان يوماً ملكاً للجدة الكبرى لربـة البيـت الحالية.

كانت تقف منتصبةً في بهو البيت، وكانت مغطاةً مـن القمة إلى القاع بزخارف نحتت عليها مـن ورودٍ، وأزهـار خزامى، ورؤوس غزلانٍ حمراء؛ لها قرون طويلةٌ متشـبعةٌ تبرز من اللفائف وأوراق النبات الغريبة التي تحيط بها. وفي وسط الخزانة؛ نحتت صورةٌ بالحجم الطبيعى لرجل يبدو أنه يبتسم باستمرارٍ ابتسامةً عريضةً؛ وربما يعـرب بهـا عـن الاستهزاء بنفسه... لأنه في الحقيقة شخصية تثير السـخرية؛ إذ كانت له ساقان معوجتان مثل تيس، وقرون صغيرة علـى جبهته، ولحيةٌ طويلةٌ. واعتاد الأطفال في البيـت أن ينـادوه باسم "المتشير اللواء المساعد الرقيب بيلي سـيقان العنـزة"، وكان هذا اسماً طويلاً صعباً، وليست هناك شخصياتٌ كثيرةٌ

سواء من الخشب أو من الحجر يمكنها أن تزهو بلقبٍ مثـل هذا.

وهناك؛ كان يقف وعيناه مثبتتان على المنضـدة التـي تحت المرآة؛ لأن تمثالاً صغيراً من الخزف لراعيةٍ جميلـةٍ؛ كان ينتصب على هذه المنضدة، وكانت تضم رداءها حولهـا في رشاقةٍ، وتثبته بوردةٍ حمراء. وكـان حـذاؤها وقبعتهـا مموهين بالذهب، ويدها تمسك بعصا.

كانت شخصيةً ساحرةً خلابةً، وبـالقرب منهـا وقـف منظفٌ للمداخن ضئيل الجسم؛ بشرته سوداء مثل الفحم؛ وهو مصنوع من الخزف مثل الراعية. وكان نظيفاً أنيق الهنـدام؛ مثل أي تمثال آخر من الخزف. والحق أن الصانع كان يمكن أن يجعل منه أميراً، وكذلك منظف مدخنةٍ؛ لأنه بالرغم مـن ذلك في أي موضعٍ آخر أسود مثل الفحم؛ فإن وجهـه كـان نضراً ومتورداً مثل وجه فتاةٍ، وهو خطأ بلا شـك؛ إذ إنـه ينبغى أن يكون أسود. وهو بسلمه في يده؛ كان يحتفظ بمكانه القريب من الراعية. فقد وضعا جنباً إلى جنبٍ منذ البدايـة، وظلا دائماً في نفس البقعة. وعلى هـذا؛ تعاهـدا علـى أن يخلص كل منهما للآخر.

وكان كل منهما يصلح للآخر تماماً؛ لأنهما كانا في شرخ الشباب، وكانا مصنوعين من خزف من نفس النوع، وكلاهما كان هشاً رقيقاً. وقربهما وقف تمثالٌ آخر يبلغ حجمه ثلاثة أضعاف حجمهما، وهو أيضاً مصنوع من الخزف، وكان تمثالاً لموظفٍ كبيرٍ مسن من عهد الإمبراطورية الصينية؛ في وسعه أن يومئ برأسه، وقد أعلن أنه جد الراعية الصغيرة، ولم يستطع أن يثبت هذا، ولكنه أصر على أن له سلطاناً عليها.

وعلى هذا؛ فإنه عندما تقدم المتشير اللواء المساعد الرقيب بيلي سيقان العنزة للزواج من الراعية؛ أومأ برأسه دلالةً على قبوله. وقال الموظف الصينى الكبير المسن: "والآن؛ سيكون لكِ زوج؛ أعتقد حقا أنه مصنوع من خشب الماهوجنى. وسوف تكونين زوجةً لمتشير لواءٍ مساعدٍ رقيبٍ؛ لرجل له خزانةٌ كاملةٌ مليئةٌ بأطباق الفضة؛ إلى جانب مخزونٍ من أشياء لا أحد يعرف ما هي في أدراجٍ سريةٍ". فقالت الراعية الصغيرة: "لن أدخل تلك الخزانة المعتمة الكئيبة؛ فقد سمعت أن له إحدى عشرة زوجةً من الخزف حبيساتٌ هناك".

قال الموظف الصينى الكبير: "إذن؛ فسوف تكونين الزوجة الثانية عشرة، وسوف تكونين في صحبةٍ طيبةٍ. وفي هذه الليلة بالذات؛ حالما تسمعين ضجةً في الخزانة العتيقة ستتزوجين؛ يقيناً كما أنا موظفٌ كبير حقا". ثم هز رأسه واستغرق في النوم، ولكن الراعية الصغيرة بكت، والتفتت إلى خطيبها منظف المدخنة، وقالت: "أرى لزاماً علي أن أرجوك أن تخرج معى إلى العالم الفسيح؛ فنحن لا نستطيع أن نبقي هنا". فقال منظف المدخنة الصغير: "سأفعل كل ما تريدين. فلنذهب من هنا في الحال، وأعتقد إنني أستطيع أن أعولكِ؛ بما أكسبه من مهنتى". فتنهدت وقالت: "لو استطعنا أن ننزل من فوق المنضدة سالمين! لن أكون أبداً سعيدة؛ حتى نخرج حقا إلى العالم". ثم واساها، وأرشدها كيف تضع قدميها الصغيرتين على الحواف المنحنية، وأوراق الشجر المموهة بالذهب؛ المجدولة حول رجل المنضدة، وساعدها على النزول بسلمه الصغير، وأخيراً وصلا إلى الأرضية.

ولكن عندما التفتا لينظرا إلى الخزانة العتيقة؛ رأيا أنها كلها تعج بالحركة: الغزلان الحمراء التي نحتت فيها؛ كانت تمد رؤوسها إلى الخارج قليلاً، وترفع شعاب قرونها،

وتحرك نحورها. في حين؛ كان المتشير اللواء المساعد الرقيب بيلي سيقان العنزة يتوثب إلى أعلى وإلى أسفل، ويصيح منادياً الموظف الصينى الكبير: "انظر؛ إنهما يهربان!"، ففزع الفاران فزعاً شديداً، وقفزا إلى داخل درجٍ مفتوحٍ تحت عتبة النافذة.

كان في هذا الدرج ثلاث أو أربع حزمٍ من أوراق اللعب، ولم تكن أي حزمةٍ منها كاملةً، وأيضاً مسرح صغير للعرائس؛ نصب في أناقةٍ بقدر ما يمكن. وكانت هناك تمثيليةٌ تعرض على المسرح. وكانت كل الملكات سواء كانت دينارى أو كوبة أو إسباتى أو بستونى يجلسن في الصف الأمامى؛ وهن يروحن بالأزهار التي كن يمسكنها بأيديهن؛ في حين كان يقف خلفهن الأولاد. كان في كل ورقةٍ رأسان، إحداهما في أعلى الورقة، والثانية في أسفلها؛ كما هو الحال في معظم أوراق اللعب. وكانت التمثيلية تدور حول شخصين أخفقا في الحب؛ فبكت الراعية متأثرةً بها؛ لأنها كانت تشبه قصتها تماماً. وقالت: "أنا لا أستطيع أن أتحمل هذا. هيا بنا نغادر الدرج!"، وعندما وصلا إلى الأرضية، وتطلعا إلى المنضدة؛ رأيا أن الموظف الصينى متيقظ، وأن جسده كله

يهتز جيئةً وذهاباً من فرط الغضب. فصرخت الراعية الصغيرة: "أواه؛ إن الموظف الصينى المسن قادم!". وخرت على إحدى ركبتيها في حزنٍ شديدٍ.

وقال منظف المدخنة: "لقد خطرت لي فكرةٌ. هيا بنا نزحف في الزهرية الكبيرة الموضوعة في الركن! فهناك نستطيع أن نخلد للراحة على الورود والخزامى، ونقذف بالملح عيون من يقترب منا". فقالت: "ذاك لن يجدى على الإطلاق. فمنذ سنواتٍ عديدةٍ؛ كان الموظف الصينى الكبير خاطباً الزهرية، وهناك دائماً شعور رقيقٌ بين الأشخاص الذين يكونون على علاقةٍ حميمةٍ مثل هذه. لا؛ لابد مما ليس منه بد، وعلينا أن نهيم على وجهينا معاً في العالم الفسيح!". فسألها منظف المدخنة: "أحقا لديكِ الشجاعة؛ لأن تذهبى معى لننطلق في العالم الفسيح؟ هل فكرتِ في مدى اتساعه العريض؟ وفي أننا قد لا نرجع أبداً؟". فردت قائلةً: "لقد فكرت". فنظر إليها منظف المدخنة بثباتٍ، وعندما رأي أنها مصممةٌ؛ قال: "إن طريقى يؤدى إلى المدخنة. فهل لديكِ حقا الشجاعة؛ لأن تزحفي معى خلال بيت النار، وإلى أعلى في الأنبوبة؟ إنني أعرف الطريق جيداً! لسوف نصعد إلى مكانٍ

عالٍ جدا؛ لدرجة أنهم لن يستطيعوا أن يقتربوا منا، وهنـاك في أعلاه فتحةٌ؛ تؤدى بنا إلى العالم الفسيح"، واقتادهـا إلـى باب الموقد.

تنهدت، وقالت: "كم يبدو المكان مظلماً!". ولكنها مضت خلال بيت النار، وإلى أعلى في الأنبوبة التي كانت مظلمـة سوداء في لون القار. وقال: "ها نحن في المدخنة. انظـرى؛ أي نجمٍ جميلٍ يلمع فوقنا!" كان هذا حقا نجماً يلمع فوقهمـا؛ كما لو كان يدلهما على الطريق. وعلى هذا؛ تسلقا وزحفـا، وكان طريقاً مخيفاً ينحدر انحداراً رهيباً، ويبدو أنه لا نهايـة له. ولكن منظف المدخنة الصغير رفعها وأمسك بها، ودلهـا على خير الأماكن التي تضـع عليهـا قـدميها الخـزفيتين الصغيرتين؛ إلى أن وصلا أخيراً إلى حافة المدخنة. وهنـاك جلسا ليستريحا؛ لأنهما كانا متعبين جدا.

كانت السماء بكل ما فيها من نجومٍ فوقهمـا، والمدينـة بكل أسطحها تقع تحتهما، وكان في وسعهما أن يريا كل مـا حولهما إلى مدى البصر في العالم الفسيح. ولم تحلم الراعية الصغيرة المسكينة قط بأن ترى أي شيء مثل هذا، وأسندت رأسها الصغير على ذراع منظف المدخنة وبكت بكاء مريراً؛

لدرجة أن القشرة الذهبية تحطمت وسقطت مـن خصـرها. وصاحت تقول: "هذا كثير! إن العالم كبير جدا! أواه؛ كم أود أن أكون مرةً أخرى على المنضدة تحت المرآة! لـن أكـون أبداً سعيدةً إلا بعد أن أكون هناك مرةً أخرى. لقد تبعتك إلى العالم الفسيح، وإذا كنت تحبنى حقا، فهيا اتبعنى إلى البيت". فخاطبها منظف المدخنة بكلماتٍ رقيقةٍ، وذكرها بـالموظف الصينى المسن وبالمشير... اللواء... المساعد... الرقيـب... بيلي سيقان العنزة. ولكنها بكت بكاء مريراً، وأخـذت تقبـل حبيبها منظف المدخنة في ولَهٍ، لدرجة أنه لم يستطع أخيـراً إلا أن يرضخ لطلبها؛ برغم ما يتسم به من حماقةٍ.

وعلى هذا؛ زحفا بمشقةٍ عظيمةٍ نـازلين إلـى أسـفل المدخنة، وزحفا خلال الأنبوبة، وخلال بيـت النـار، وفـي الموقد المظلم. وكمنا قليلاً خلف الباب، وأنصتا قبل أن يقدما على العودة إلى باب الحجرة. كان كل شيء لا يزال هادئـاً، وألقيا نظرةً حذرةً. وا أسفاه! كان الموظف الصينى المسـن راقداً على الأرضية؛ إذ إنه في غمرة محاولته تعقب الفارين؛ قفز هابطاً من المنضدة؛ فتحطم إلى ثلاث قطعٍ. وكانت رأسه مستلقيةً؛ وهي تهتز في ركن. وكان المشـير... اللـواء...

المساعد... الرقيب... بيلي سيقان العنزة يقف هناك؛ كما كان يقف دائماً يفكر فيما حدث.

وصاحت الراعية: "أواه؛ كم هذا فظيع! لقد تحطم جدى إلى قطعٍ، وهذا كله بسبب ما ارتكبته من خطإٍ! إنني لن أنسى هذا أبداً!". وأخذت تلوى يديها الصـغيرتين؛ فقـال منظـف المدخنة: "يمكن لصق أجزائه معاً مرةً أخرى. يمكن لصـقها بسهولةٍ، وما عليكِ إلا أن تتذرعى بالصبر! فهم إذا لصـقوا بالغراء جزأي ظهره معاً. ووضعوا برشاماً متيناً في عنقـه؛ فإنه سوف يكون صحيحاً سالماً كأنه جديد، وسوف يكون في وسعه أن يقول لكِ الكثير من الأشـياء المكـدرة". فسـألته: "أتظن هذا حقا؟". ثم صعدا إلى المنضدة للموضع الذي كانـا يقفان أمامه. فقال منظف المدخنة: "حسناً؛ إننـا لـم نتغيـب كثيراً، ولقد كان يمكننا أن نجنب أنفسنا كل هـذه المشـقة". فقالت الراعية: "لو استطعنا أن نلصق أجزاء جـدى المسـن معاً! ترى هل يكلف هذا كثيراً؟".

وألصقت أجزاؤه معاً. قامت الأسـرة بلصـق أجـزاء صدره بالغراء، وتثبيت عنقه بالبرشام. وعاد صحيحاً سـالماً كأنه جديد، ولكن لم يعد في وسعه أن يومئ برأسـه. وقـال

المشير... اللواء... المساعد... بيلي سيقان العنزة: "لا شـك أننا قد أصبحنا فخورين جدا؛ منذ أن تحطمنـا إلـى قطـع. ولكنني يجب أن أقول من جانبى إنني لا أرى أن هنـاك أي شيء نفخر به. هل هي من نصيبى أم لا؟ ما عليـك إلا أن تجيبنى عن هذا السؤال". فتطلع منظف المدخنـة والراعيـة الصغيرة إلى الموظف الصينى الكبير بنظراتٍ فيهـا توسـلٌ واستعطافٌ؛ فلقد كانا يخشيان أن يومئ برأسه موافقاً. ولكنه لم يستطع أن يومئ برأسه، وكان يكره أن يقول لغريـبٍ أن في عنقه برشاماً.

وعلى هذا؛ ترك الشخصان الخزفيـان الفتيـان معـاً، وشعرا بالامتنان لبرشام الجد، وتدله كل منهمـا فـي حـب الآخر؛ إلى أن تحطما إلى قطع.

شجرةُ التنوبِ

هناك؛ بعيداً في الغابة العميقة؛ نمت في وقتٍ ما شجرة تنوبٍ جميلةٌ صغيرةٌ. وكانت الشمس تسطع عليها وتغمرهـا بأشعتها، والنسمات تتحرك حولها بلا قيودٍ. وبالقرب منهـا؛ نمت أشجار تنوب عديدةٌ أخرى؛ بعضها أكبر منها، وبعضها أصغر. ولكن شجرة التنوب الصغيرة لم تكن سعيدةً؛ لأنهـا كانت دائماً تتلهف إلـى أن تكـون فارعـة الطـول مثـل الأخريات. ولم تفكر في الشمس الدافئة والهواء المنعش، ولم تهتم بأطفال الفلاحين اللاهين الثرثارين الذين كانوا يأتون إلى الغابة للبحث عن ثمار الشليك والتوت. وكانوا أحياناً بعد أن يملأوا مواعينهم أو ينظموا الحبات اللامعة على قش يجلسون قرب شجرة التنوب الصغيرة ويقولون: "يا لها مـن شـجرة تنوبٍ جميلةٍ!". وعندئذٍ؛ كانت شجرة التنوب تحس بأنها تعسةٌ أكثر من أي وقتٍ مضى.

وتنهدت شجرة التنوب الصغيرة وقالت: "آهٍ؛ لـو إننـي فارعة الطول مثل الأشجار الأخرى؛ لكنت أمد أغصإني على كل جانبٍ، وأطل برأسى على العالم الفسيح، وتبنى الطيـور

أعشاشها على أغصانى. وعندما تهب الريح؛ أحنى رأسـى بجلالٍ كما تفعل الأشجار الأخرى!". وكانت لا تجد متعةً في ضوء الشمس، أو في تغريد الطيور، أو في السحب الوردية التي كانت تمر فوقها كل صباحٍ وكل مساءٍ.

وفي الشتاء؛ عندما يكسو الجليد الأبيض اللامع الأرض؛ كان أحياناً يأتى أرنب؛ وهو يسرع في سيره، ويقفـز فـوق رأس الشجرة الصغيرة مباشرة، وعندئذٍ كانت تحس بالتعاسة. وعلى أية حالٍ؛ فقد مر شتاءان، وما إن جاء الشتاء الثالـث؛ حتى أصبحت الشجرة فارعة الطول؛ إلى حد اضـطر معـه الأرنب إلى أن يجري حولها. وقالت الشجرة لنفسـها: "أواه؛ لو استطعت أن أنمو وأنمو، وأصبح فارعة الطول وعتيقـةً! فهذا هو الشيء الوحيد في العالم الـذي يسـتحق أن يعـيش المرء لأجله".

وجاء قطاعو الشجر في الخريـف، وقطعـوا بعـض الأشجار الضخمة. وكان هذا يحدث كل عامٍ؛ فارتجفت شجرة التنوب الصغيرة التي كانت وقتذاك فارعة الطـول؛ عنـدما رأت تلك الأشجار الكبيرة تسقط على الأرض محدثة صـوتاً شديداً وهي تتحطم. وكانت أغصـانها تقطـع بعـد ذلـك،

والجذوع تبدو مجردة نحيلةً بشكل فظيعٍ؛ لدرجة أنه لم يكـن في الإمكان التعرف عليها إلا بصعوبةٍ؛ وقد كومت واحـدة فوق الأخرى في عربات نقل تجرها الجياد بعيداً؛ بعيداً جـدا عن الغابة. ترى أين يذهبون بها؟ وماذا سوف يحدث لها؟

كانت شجرة التنوب تود كثيراً أن تعرف. ولهذا؛ فإنهـا في الربيع عندما عادت عصافير الجنة وطائر اللقلق؛ سألتهم إذا كانوا يعرفون إلى أين أخذت الأشجار المقطوعة. وكانت عصافير الجنة لا تعرف شيئاً، ولكن طائر اللقلق بدت علـى وجهه أمارات التفكير لحظة، ثم هز رأسه وقال: "نعم؛ أعتقد إنني قد رأيتها! فبينما كنت أحلق طائراً من مصر قابلت سفناً كثيرةً، وكانت لها صوارٍ جميلةٌ جديدةٌ؛ تنبعث منها رائحـة التنوب، ولا أكاد أشك في أنها هي الأشجار التـي تتحـدثين عنها، وأؤكد لكِ أنها كانت رائعةً جدا!". فقالت: "أواه؛ ليتنى كنت فارعة الطول؛ لدرجةٍ تكفي لأن أسافر بحراً! قل لي ما هو هذا البحر وماذا يشبه؟". قال طائر اللقلـق: "إن وصـفه يستغرق وقتاً طويلاً جدا!". وانصرف وهو يسـير مختـالاً. وقالت أشعة الشمس: "لتفرحوا بشـبابكم. افرحـوا بشـبابكم

الغض؛ بالحياة النضرة داخل إهابكم!". وقبلت الريح الشجرة، وذرف الندى الدموع عليها، ولكن شجرة التنوب لم تفهمها.

وعندما اقترب عيد الميلاد؛ قطعت أشجار تنوبٍ صغيرةٌ عديدةٌ، وبعضها لم يكن فارعاً في الطول؛ مثل شجرة التنوب الصغيرة التي كانت تتلهف دائماً إلى أن ترحل بعيـداً. وقـد اختيرت هذه الأشجار لجمالها ولم تشـذب أغصـانها. وقـد وضعت أيضاً في عربةٍ جرتها الجياد بعيـداً عـن الغابـة. وتساءلت شجرة التنوب: "إلى أين هي ذاهبةٌ؟ إنهـا ليسـت أطول مني؛ بل إن إحداها في الحقيقة أقصر منـي. ولمـاذا يحتفظون بكل أغصانها؟، وأين يمكنها أن تذهب؟". فغـردت عصافير الجنة قائلةً: "إننا نعرف! لقد اختلسنا النظر خـلال النوافذ إلى المدينة أسفلها! ونحن نعرف أين ذهبـت. أوه؛ لا يمكن أن يخطر لكِ ببالٍ مدى ما أسبغ عليها من شرفٍ! لقـد تطلعنا من خلال النوافذ ورأيناها تغرس في غرفـةٍ دافئـةٍ، وتزين بأشياء جميلةٍ مثل تفاحٍ مموهٍ بالذهب، وحلوى، ولعبٍ، ومئاتٍ من الشموع المتوهجة!". فسألت شجرة التنوب؛ وكل غصنٍ فيها يرتجف: "ثم ماذا؟ ثم ماذا؟ ماذا حدث بعد ذلك؟". فقالت العصافير: "أوه؛ إننا لم نر شيئاً أكثر من ذلك. لقد كان

ذاك جميلاً؛ جميلاً لدرجةٍ لا نظير لها!". فصـرخت شـجرة التنوب في ابتهاجٍ: "ترى أيكون لي مثل هذا الحظ الرائع؟ إن هذا أفضل بكثيرٍ من السفر بطريق البحر، كم أتوق إلى تلـك الفرصة. آهٍ؛ ليت عيد الميلاد هذا يأتى! إننـي الآن فارعـة الطول، ولي أغصان عديدةٌ مثل تلك الأشجار التي نقلت بعيداً في العام الماضى. آهٍ؛ ليتنى كنت الآن في العربة! ليتنى كنت في الغرفة الدافئة مكرمةً ومزينةً! وعندئذٍ؛ نعم عندئذٍ يحدث شيء أفضل. وعلاوة على ذلك؛ لماذا يتكبدون مشقة تجميلى؟ لابد أن شيئاً ما أعظم وأروع سوف يحدث... ترى ما هـو؟ أواه؛ إنني أعانى... أعإني من الاشتياق! ولا أدرى كُنْه مـا أشعر به". فقال الهواء وضوء الشمس: "هلا فرحتِ بحبنـا! هلا فرحتِ بشبابكِ وبحريتكِ!". ولكنها لم تفرح؛ فقد أخـذت تزداد طولاً كل يومٍ. وفي الشتاء وفي الصيف؛ كانت تقـف منتصبةً هناك تكسوها أوراقٌ خضراء... خضـراء داكنـةٌ. وكان الناس يشاهدونها فيقولون: "يا لها من شجرةٍ جميلةٍ!".

وفي عيد الميلاد التـالي؛ كانـت أول شـجرةٍ تقطـع. وانهالت البلطة لتقطع الخشب واللب؛ فسقطت الشجرة علـى الأرض؛ وهي تئن في ألمٍ. وكان الألم شـديداً؛ لدرجـة أن

قواها خارت فأغمى عليها. ونسيت أن تفكر فـي مسـتقبلها الباهر، وشعرت بالحزن لأنها ستفارق موطنهـا... الغابـة. وعرفت أنها لن ترى مرةً أخرى هـؤلاء الرفـاق القـدامى الأعزاء، أو تلك الشجيرات والأزهار التي ازدهـرت فـي ظلها، بل وربما لن ترى الطيور. كما أنها لم تجـد الرحلـة ممتعةً على الإطلاق.

وأفاقت لنفسها عندما سمعت في الفناء الذي أخذت إليـه مع الأشجار الأخرى رجلاً يقول: "هذه شجرةٌ رائعـةٌ؛ إنهـا نفس الشيء الذي نريده!". ثم جاء خادمان يرتديان ثياباً أنيقةً، وحملا شجرة التنوب إلى حجرة استقبالٍ رحبةٍ جميلةٍ. وكانت هناك لوحاتٌ معلقةٌ على الجدران، وعلى رف المدفأة تنتصب زهرياتٌ كبيرةٌ من الخزف؛ على أغطيتها أسـود. وكانـت هناك كراسى هزازةٌ وأرائك حريريةٌ، ومناضد مغطاةٌ بكتبٍ مصورةٍ ولعبٍ. ووضعت شجرة التنوب في أصيصٍ كبيـرٍ مليءٍ بالرمل، ولكن لم يكن في وسع أي أحدٍ أن يعرف أنـه أصيص؛ لأنه كان معلقاً بقماش أخضر، ويقف منتصباً على سجادةٍ ثمينةٍ؛ ألوانها زاهيةٌ. أواه؛ لقد ارتجفت الشجرة بشدةٍ! ترى ماذا سوف يحدث لها بعد ذلك؟ وخفت بعض السـيدات

بمساعدة الخادمين، وبدأن في تزيينها. وبـبعض أغصـانها؛ علقن شباكاً صغيرةً مقتطعةً من الورق الملون؛ وكل شـبكةٍ مليئة بالمكسرات. وعلقت بأغصانٍ أخرى ثمار تفاحٍ وجـوزٍ مموهةٌ بالذهب؛ تبدو كما لو أنها قد نمت هناك، ووضـعت هنا وهناك بين الأغصان مئـاتٌ مـن الشـموع الصـغيرة الحمراء والزرقاء والبيضاء، ووضعت دمـى تكـاد تشـبه الرجال والنساء. لم تشهد الشجرة قط من قبـل مثـل هـذه الأشياء؛ وقد بدت وكأنها ترقص جيئةً وذهابـاً بـين أوراق الشجرة، وإلى أعلى فوق قمتها؛ ثبت نجم كبير من الترتـر الذهبي.

كان هذا رائعاً حقا؛ لدرجةٍ لا نظير لها. وقالوا: "هـذا المساء؛ سوف تضاء؛ هذا المساء". فقالت الشـجرة لنفسـها: "ليت ذلك يكون هذا المساء. ليت الأنوار تضاء. عندئذٍ؛ ترى ماذا سوف يحدث؟ هل ستأتي الأشجار من الغابـة لترانـي؟ وهل ستطير عصافير الجنة إلى هنا، وتنظر من خلال ألواح النافذة؟ وهل سأقف هنا منتصبةً؛ وأنا مزينـةٌ فـي الشـتاء والصيف على السواء؟".

فكرت في هذا كثيراً. وظلت تفكر حتى آلمها لحاؤهـا من شدة الاشتياق، وآلام اللحاء لدى الأشجار شنيعةٌ مثل آلام الصداع لدينا. وأضيئت الشموع... أواه؛ يا لـه مـن وهـجٍ رائعٍ! وارتجفت الشجرة واهتزت كل أغصـانها؛ فسـقطت شمعةٌ على أحد الغصون فأمسـكت بـه النـار؛ فصـرخت السيدات: "رباه!". أطفأنها في الحال، ولم تجرؤ الشجرة على أن ترتجف مرةً أخرى؛ إذ كانت تخشى أن تفقـد أي زينـةٍ تتحلي بها. وشعرت بالارتباك من كل هـذا المجـد وشـدة الإضاءة، ثم فجأةً فتح البابان المزدوجان على مصـراعيهما، واندفع منهما حشد من الأطفال؛ كما لو كانوا يعتزمـون أن يقفزوا فوقها. وأعقبهم الأشخاص الأكبر سناً في هدوءٍ شديدٍ. ووقف الأشخاص الصغار ساكنين، ولكن للحظةٍ فقـط، ثـم صرخوا في ابتهاجٍ. وظلوا يصرخون حتـى تـردد صـدى صراخهم في الحجرة، وأخذوا يرقصـون حـول الشـجرة، ومزقت أغطية الهدايا واحدةً بعد الأخرى؛ فقالـت الشـجرة لنفسها: "ترى ماذا يفعلون؟ ومـاذا سـوف يحـدث الآن؟". وأخذت الشموع تشتعل حتى تنطفئ على الأغصان، وكانـت كل واحدةٍ تبقى؛ حتى تذوى فتنطفئ. وأعطى الأطفال إذنـاً

بتجريد الشجرة؛ فألقوا بأنفسهم عليها، فصـارت أغصـانها، ولولا أنها كانت مثبتةً إلى السقف بنجمٍ من الذهب لانقلبـت. وأخذ الأطفال يرقصون حولها بلعبهم الجميلة.

ولم يعد أحد يفكر في الشجرة سوى المربية العجوز؛ فقد أتت ونظرت في حذر من بين الأغصان؛ لترى ما إذا كانت هناك تينةٌ أو تفاحةٌ قد تركـت بينهـا بالصـدفة. وصـرخ الأطفال؛ وهم يجذبون رجلاً بديناً نحـو الشـجرة: "قصـة! قصة!". فقال؛ وهو يجلس: "إن الجلـوس ممتـع فـي ظـل أغصانٍ خضراء. وفضلاً عن هذا؛ فإن الشجرة قـد تسـتفيد بسماع قصتى! ولكنني لن أروى لكم إلا حكاية واحدةً. فهـل تودون أن تسمعوا قصة إيفيدى أفيدى أو قصة عن همبتـى دمبتى الذي سقط إلى أسفل الدرج، ومع ذلك تولي العـرش، وفاز بيد الأميرة؟". فصرخ البعض منهم: "إيفيدى أفيـدى!"، وصاح البعض الآخر: "همبتـى دمبتـى!". واشـتد الهـرج والمرج. وظلت شجرة التنوب وحدها ساكنة تفكر وتحـدث نفسها قائلةً: "أينبغى أن أثير ضجةً كما يفعلون؟ أم ينبغى ألا أفعل شيئاً على الإطلاق؟". لأنها بلا شك كانت واحـدة مـن زمرة الصحاب، وقد فعلت كل ما كان مطلوباً منهـا. وروى

الرجل القصير البدين قصة همبتى دمبتى الذي سقط إلى أسفل الدرج، ومع ذلك تولي العرش وفاز بيد الأميرة. وصفق الأطفال بأيديهم جذلاً، وطالبوه بأن يروى لهم قصة أخرى؛ إذ أرادوا أن يسمعوا قصة إيفيدى أفيدى أيضاً، ولكنهم لم يفوزوا بها.

وفي خلال ذلك؛ وقفت شجرة التنوب ساكنةً تماماً؛ وهي تفكر في أن الطيور في الغابة لم تقص قط حكايةً مثل هذه. وقالت شجرة التنوب التي صدقت أنها لابد أن تكون صحيحة؛ لأن رجلاً لطيفاً رواها: "إن همبتى دمبتى سقط إلى أسفل الدرج، ومع ذلك ارتقى العرش وفاز بيد الأميرة! نعم... نعم؛ إن أشياء غريبةً أصبحت تحدثُ في العالم! ومن يدرى، فأنا أيضاً ربما أسقط إلى أسفل الدرج وأفوز بأميرٍ!". وأخذت تفكر باغتباطٍ في أنها سوف تزين مرةً أخرى في اليوم التإلى بشموعٍ ولعبٍ وذهبٍ وفاكهةٍ. وقالت لنفسها: "غداً لن أرتجف. وسوف أتمتع بالأبهة. وغداً سوف أسمع مرةً أخرى قصة همبتى دمبتى، وربما أيضاً قصة إيفيدى أفيدى". وأخذت الشجرة تتأمل هذا طوال الليل.

وفي الصباح؛ جاءت الخادمات، فقالت الشجرة: "هاأنذا؛ أبدأ في أن أنعم بمكانتى من جديدٍ". ولكنهن أخرجنها عنـوةً من الغرفة، وصعدن بها في الدرج، ودخلن غرفـةً علويـةً. وهناك؛ دفعن بها إلى ركن مظلمٍ لا يمكن أن يدخله إلا ضوء خافتٌ. فقالت الشجرة لنفسها: "ترى ما معنى هـذا؟ ومـاذا عليأن أفعل هنا؟ وماذا سأسمع في هذا المكان؟". واسـتندت إلى الجدران، وأخذت تفكر وتفكر؛ فقد كان لديها الكثير مـن الوقت للتفكير في الأمر، ومضى يوم بعد يومٍ، وليلةٌ بعد ليلةٍ؛ ومع ذلك لم يأتِ أحد قط إلى الغرفة. وأخيراً؛ جاء شـخص ما، ولكن هذا لم يكن إلا ليدفع بعض الجذوع القديمـة إلـى الركن؛ فأخفت الشجرة عن الأنظار، ونُسيت تماماً فيما يبدو.

وقالت الشجرة لنفسها: "إننا الآن في الشـتاء؛ والأرض صلبةٌ ومغطاةٌ بالجليد، وهم لا يستطيعون الآن أن يغرسونى. ومن ثم؛ عليأن أبقي هنا في مأوأي هذا إلى أن يجىء الربيع. إن الناس يفكرون تفكيراً جادا. وددت لو أن المكان لم يكـن مظلماً ومقفراً إلى هذه الدرجة". وعندئذٍ؛ صرخ فأر؛ وهـو يتسلل إلى الأمام: "سكيك! سكيك!"، وتبعـه آخـر، وأخـذا يتشممان شجرة التنوب، ثم انزلقا بـين الأغصـان، وأخـذا

يسيران داخلها وخارجها. وقال الفأر الصغير: "إن الجو بارد لدرجةٍ فظيعةٍ! والمكان مريح جدا هنا. ألا ترين ذلك أيتهـا الشجرة العجوز؟". فقالت شجرة التنوب: "أنا لست عجـوزاً، إن هناك أشياء كثيرةً أكبر منى سن" فسأل الفـأران: "كيـف أتيت إلى هنا؟ وماذا تعرفين؟". وكانا فضوليين جدا على غير ما هو مألوفٌ؛ فقالا: "أخبرينا بأجمل مكانٍ بهيجٍ على سـطح الأرض، وهل كنتِ يوماً هناك؟ وهل ذهبتِ إلـى المخـزن الذي يوجد فيه الجبن على الأرفف، وتتدلي من سقفه أفخـاذ الخرفان، وحيث يستطيع المرء أن يرقص فوق شموع الشحم الأبيض، وحيث يروح المرء نحيفاً ويغدو سميناً؟".

قالت الشجرة: "لا أعرف شيئاً عن هذا، ولكنني أعرف الغابة التي تسطع فيها الشمس، وتغرد فيها الطيـور!". ثـم تحدثت عن صباها ومسراته. ولم يسمع الفأران الصـغيران شيئاً مثل هذا من قبل. واستمعا إليها بانتباهٍ، وقالا: "حسـناً؛ يقيناً! ما أكثر ما شاهدتِ! وكم كنتِ سعيدةً!". فقالت شـجرة التنوب في دهشةٍ: "سعيدةٌ!". وفكرت لحظةً في كل ما قالته: "نعم؛ فإجمالاً كانت هذه أوقاتاً بهيجةً!"، ثم روت لهمـا مـا حدث لها في ليلة عيد الميلاد عندما زينت بالكعك والشموع.

فصرخ الفأر الصغير: "أواه! ما أسعدك يا شـجرة التنـوب العجوز!". فاعترضت شجرة التنوب قائلةً: "لسـتُ عجـوزاً على الإطلاق؛ فأنا لم أغادر الغابة إلا في هذا الشتاء. وأنا لا أزال في مقتبل العمر". فقال الفأر الصـغير: "كـم تجيـدين الحديث!".

وفي الليلة التالية؛ عادا وأحضرا معهما أربعـة فئـرانٍ صغيرةٍ أخرى؛ أرادوا أيضاً أن يسمعوا قصة الشجرة، وكلما تحدثت الشجرة عن صباها في الغابة؛ تذكرت أحداثـه فـي وضوحٍ. وقالت: "نعم؛ تلك كانت أياماً بهيجةً! ولكنهـا قـد تعود. قد تعود! فهمبتى دمبتى سقط إلى أسفل الدرج، ولكنـه على الرغم من ذلك فاز بيد الأميرة! ومن يدرى؟ ربما أفوز أنا أيضاً بأمير!". ثم أخذت شجرة التنوب تفكر فـي شـجرة بتولا صغيرةٍ جميلةٍ رقيقةٍ نمت في الغابـة؛ فهـي بالنسـبة لشجرة التنوب بمثابة أميرٍ حقيقى وسيمٍ جدا. وسألت الفئران: "من هو همبتى دمبتى؟". وردا عليها؛ روت شجرة التنـوب الحكاية، وكانت تذكر تماماً كل كلمةٍ فيها، وكانـت الفئـران الصغيرة متأهبةً لأن تقفز فرحاً. وفي الليلة التاليـة؛ جـاءت فئران أخرى. وفي يوم الأحد؛ جاء أيضاً فـأران كبيـران.

ومهما يكن من أمرٍ؛ فإن هذين الفأرين الكبيرين لم يجدا القصة مسليةً على الإطلاق؛ فضايق هذا الفئران الصغيرة التي لم تعجبها القصة أيضاً؛ بعد أن استمعت إلى رأيهما.

وسأل الفأران الكبيران: "ألا تعرفين سوى تلك القصة؟"؛ فأجابت الشجرة: "لا أعرف سوى تلك القصة؛ فقد سمعتها في أسعد ليلةٍ في حياتى؛ على الرغم من إنني وقتذاك كنت لا أعرف مدى ما كنت أنعم به من سعادةٍ". فقالا: "إنها قصة تعيسة! ألا تعرفين قصة عن لحم الخروف والشحم الأبيض؟ أو قصة عن المخزن؟". فقالت الشجرة: "بلى". فاعترض الفأران الكبيران قائلين: "حسناً؛ إذن؛ لقد سمعنا ما فيه الكفاية!". وانطلقا مبتعدين، ولم تأتِ الفئران مرةً أخرى. وتنهدت الشجرة وقالت: "كان لطيفاً أن تبقي تلك الفئران الصغيرة دائبة الحركة حولى، وتستمع إلى ما أقول، وحتى هذا قد مضى أيضاً!. وعلى أية حالٍ؛ فإنني سوف أشعر بالبهجة وأنا أتذكرها؛ عندما يأخذوننى من هذا المكان. ولكن ترى متى يحدث ذلك؟".

ذات صباحٍ؛ جاء أناس وأخذوا يقلبون في غرفة سقط المتاعِ. وأخذت الجذوع بعيداً، وسحبت الشجرة أيضاً من

الركن. وألقوا بها على الأرض، ولكن أحد الخـدم التقطهـا، وحملها إلى الطابق السفلى. ها هي مرةً أخرى ترى ضـوء النهار. وقالت الشجرة: "الآن؛ تبدأُ الحياةُ من جديدٍ!". وأحست بالهواء المنعش، وبأشعة الشمس الدافئـة؛ فهـي الآن فـي الخارج في الفناء. وحدث هذا كله بسرعةٍ كبيرةٍ؛ لدرجـة أن الشجرة نسيت تماماً أن تنظر إلى نفسها، وكان هناك الكثيـر مما يستحق أن تنظر إليه حولها. كان كل شيء ناضراً جـدا ومزهراً؛ فالورود لامعةٌ، ويفوح شذاها وهي مكدسةٌ حـول التكعيبة، وأشجار الزيزفون حافلةٌ بـالزهرات، وعصـافير الجنة تطير غدواً ورواحاً وهي تغرد. وقالت: "سوف أعيش! سوف أعيش!".

وامتلأت بالبهجة، وساورها الأمل. وحاولت أن تنشـر أغصانها، ولكن؛ وا أسفاه!... كانت كلها جافةً وصفراء. وقد ألقى بها على كومٍ من الحشائش ونباتات القـراص، وكـان النجم المصنوع من القماش الذهبى المبهرج الذي ترك علـى تاجها يلمع الآن في ضوء الشمس. وكان بعـض الأطفـال يلعبون في الفناء، وهم نفس الصغار الذين قد رقصوا حـول الشجرة وقت عيد الميلاد. ورأي أحد الصغار النجم الذهبى؛

فجرى لينتزعه. وقال؛ وهو يدوس الأغصان حتى تحطمـت تحت حذائه: "انظروا إلى هذا. إنه لا يزال مثبتاً إلى شـجرة عيد الميلاد العتيقة القبيحة!". وأخذت الشـجرة تنظـر إلـى أزهار الحديقة التي أصبحت الآن مزهـرة، وبـدت نضـرةً جميلةً؛ فتأملت نفسها، وتمنت من أعماق قلبها لو كانت قـد تركت تذبل وحدها في الركن المظلم من غرفة سقط المتاع. وتذكرت حياتها السعيدة في الغابة، وليلة عيد الميلاد الحافلة بالبهجة والمرح، والفئران الصغيرة التي استمعت إليها فـي لهفةٍ عندما روت قصة همبتـى دمبتـى. وقالـت الشـجرة المسكينة: "لقد مضى كل هذا! ليتنى أعود سعيدةً؛ كما كنت! لقد مضى... مضى كل هذا!".

وجاء الخادم وقطع الشجرة إلى قطعٍ صغيرةٍ، وأشـعل فيها النار. فأنت أنيناً شديداً؛ بدا كأنه انفجار خافتٌ. وجـرى الأطفال جميعاً إلى المكان، وأخذوا يتوثبون حوله أمام اللهب. ولكن؛ لدى كل أنةٍ من تلك الأنات الشديدة؛ كانـت شـجرة التنوب تفكر في يومٍ مشرقٍ من أيام الصيف، وفي ليلة عيـد الميلاد، وفي قصة همبتى دمبتى؛ وهي الوحيدة التي كانـت تعرفها وتستطيع أن ترويها. وأخيراً؛ احترقت الشجرة.

وظل الأولاد يلعبون حولها في الفناء. وعلـى صـدر الصغير؛ لمع النجم الذهبي الذي كانت شـجرة التنـوب قـد تقلدته في أسعد ليلةٍ في حياتها. ولكن هذا مضى، ومضـت الشجرة والقصة أيضاً! مضت! لأن كل القصـص لابـد أن تنتهي في وقتٍ ما.

الحقيبةُ الطائرةُ

ذات يومٍ؛ كان هناك تـاجر غنـى جـدا؛ فبوسـعه أن يرصف بقطعٍ من الفضة شارعاً بأسره؛ بل وزقاقـاً أيضـاً. وكان تاجراً بارعاً؛ حتى إنه كان عندما ينفق درهماً يكسـب في مقابله عشرةً... إلى أن مات وانتقل كل ماله بـالميراث إلى ابنه؛ فعاش حياةً مرحةً، وأخذ ينطلق كل مساءٍ إلى حفلٍ تنكرى.

كان يصنع من أوراق النقد طائراتٍ ورقية، ويلهو بلعبة البطات وذكور البط في البركة، فيلقى فيها بقطعٍ من الـذهب بدلاً من الأحجار، وسرعان ما بدد بهذه الطريقة كل مالـه. وأخيراً؛ لم يعد لديه سوى أربعة دراهم، ولم يبق لديـه مـن الملابس سوى زوجٍ من النعال، وقفطانٍ عتيـقٍ. ولـم يعـد أصدقاؤه يهتمون به؛ بعد أن تعذر عليهم أن يسافروا معه إلى الخارج. ومهما يكن من أمرٍ، فإن أحدهم كان دمـث الخلـق أكثر من الباقين، فأرسل إليه حقيبـةً قديمـةً، ومعهـا هـذه النصيحة: "هيا احزم متاعك، وارحل!". وكان هذا كله جميلاً، ولكن لم يكن لديه ما يحزمه، فوضع نفسه داخل الحقيبة.

كانت حقيبةً عجيبةً؛ فعند الضغط على القفـل؛ كانـت تستطيع أن تطير. وضغط بالفعل على القفل، وعجباً! ها هي الحقيبة تطير خلال المدخنة، وترتفع عالياً في وسط السحب، وتحلق مرتفعةً إلى أعلى وأعلى. وعندما كانت الحقيبة تحدث صريراً؛ كان يتملكه فزع شديد؛ لأنهـا إذا تحطمـت إلـى قطعتين؛ فإنه سوف يقوم بحركةٍ هائلةٍ ينقلب فيها رأساً على عقبٍ. وحسبك أن تتخيل هذا! إنه بهذه الوسيلة جاء إلى بلـد الأتراك.

وهناك؛ أخفي الحقيبة تحت كومٍ مـن أوراق الأشـجار الجافة في غابةٍ ما، وسار إلى المدينة التالية. وهناك؛ وجد أن كل واحدٍ من الناس يرتدي مثله قطفاناً ونعلين. والتقى مربية تحمل بين ذراعيها طفلاً صغيراً. فقال: "معذرةً؛ أيتها المربية التركية، أيمكنكِ أن تقولي لي ما هي تلك القلعـة العظيمـة القريبة من المدينة؛ القلعة التي نوافذها عاليةٌ جدا؟". فـردت المربية قائلة: "إنها القلعة التي تقيم فيها ابنة السلطان. لقد تنبأ العرافون بأنها سوف تشفي على يد عاشق. ومن ثم؛ فإنه لا يمكن لأحدٍ أن يزورها؛ إلا عندما يكـون معهـا السـلطان والسلطانة". فقال ابن التاجر: "شكراً لكِ"، وانطلق عائداً إلـى

الغابة، وجلس في حقيبته وطار مرتفعاً إلى سـطح القصـر، وزحف من خلال النافذة إلى حجرة الأميرة.

كانت الأميرة ترقد مستغرقة في النوم علـى الأريكـة؛ رائعة الجمال؛ لدرجة أن ابن التاجر لم يستطع أن يمنع نفسه من تقبيلها. وعند هذا؛ استيقظت، وانتابها فزع شديد؛ إلى أن قال زائرها إنه ولي تركى، وأنه نزل من السـماء ليراهـا؛ فسرها هذا كثيراً. وجلسا جنباً إلى جنبٍ، وأخذ يحدثها عـن عينيها، ووصفهما بأنهما بحران أزرقان داكنان تطفو فيهمـا الأفكار والمشاعر مثل عرائس البحر. وتكلم عـن جبينهـا، فوصفه بأنه جبلٌ ثلجى أبيض، وقال لها أشياء أخرى كثيـرةً مثل هذا. وعندما خطبها أجابت في الحال: "نعـم". وقالـت: "ولكن عليك أن تأتي هنـا يـوم السـبت؛ إذ إن السـلطان والسلطانة يحتسيان معى الشأي عشية ذلك اليـوم. وسـوف يشعران بالفخر؛ عندما يسمعان بإنني سوف أتزوج من ولي تركى! وعليك أن تروى لهما قصةً جميلـةً جـدا؛ لأنهمـا مغرمان بالقصص. وأمى تحب أن تروى بلغةٍ فصيحةٍ؛ وأن يكون لها مغزى أخلاقى! وأبى يحب أن تكون مرحةً؛ لتحمله على الضحك". فقال ابن التاجر: "حسناً جدا؛ إذن؛ فلن آتـى

الكِ بهدية عرسٍ إلا قصةٍ". ثم افترقا، ولكن لـيس قبـل أن تعطيه الأميرة سيفاً مطلياً كله بالذهب. وقد عرف تماماً كيف يفيد من هذه الهدية. وعلى هذا؛ طار مبتعداً، واشترى قفطاناً جديداً، ثم جلس في الغابة ليختلق قصةً؛ لابد أن تكون جاهزةً يوم السبت.

وأخيراً؛ أصبح متأهباً لرواية القصة. وجاء يوم السبت، وحضر السلطان والسلطانة والحاشية كلها لشرب الشأي مـع الأميرة، واستقبلوه بحفاوةٍ عظيمةٍ.

قالت الملكة: "هلا رويت لنا قصةً... قصةً تكون تعليميةً تنطوى على مغزى عميق؟".

وقال الملك: :ولكن دعها تضحكنا".

فرد ابن التاجر قائلاً: "بكل سرورٍ".

وهذه هي القصة التي رواها لهم:

كانت هناك ذات مرةٍ حزمةٌ من أعواد الثقاب، تبـاهي بشدةٍ بأصلها الرفيع؛ فقد كانت تقول إن سلسلة نسبها ترجـع إلى شجرة التنوب فارعة الطول التي كان كل عـودٍ شـظيةً منها، وهي شجرةٌ عتيقةٌ جدا؛ بالغة الضخامة فـي الغابـة. وكانت أعواد الثقاب الآن مستلقيةً على طنف المـدفأة؛ بـين

قداحةٍ وقدرٍ قديمةٍ من الحديد للمرق المتبـل؛ وإلـى هـاتين الاثنتين كثيراً ما كانت تتحدث عن شبابها. وقالت: "آه؛ عندما كنا فوق الأغصان الخضراء... عندما كنا نعيش حقا علـى أغصانٍ خضراء... كنا كل صباحٍ نستمتع بشأي كالمـاس... هو الندى. وطوال اليوم؛ نستمتع بضوء الشمس على الأقـل عندما تشرق. واعتادت كل الطيور الصغيرة أن تروى لنـا قصصاً. ويمكن بسهولةٍ أن تدركوا أيضاً أننا كنا أغنياء؛ لأن الأشجار الأخرى كانـت لا تكتسـى بـالأوراق إلا خـلال الصيف؛ في حين كانت أسرتنا ترتدي ملابس خضراء فـي الصيف والشتاء على السواء. وأخيراً؛ جاء قطاع الخشب ويا لها من ثورةٍ! فتشتت شمل أسرتنا. وحصل كبير الأسرة على منصب الصارى الأوسط في سفينة فخمةٍ، وصار في وسـعه أن يمخر عباب البحر حول العالم عندما يشاء. أما الفـروع الأخرى من أسرتنا؛ فقد تفرقت في جهاتٍ مختلفـةٍ، وكلفنـا بمهمة تنوير عامة الناس. وها أنت الآن تدرك كيف اتفق أن يعيش أفراد طبقتنا في مطبخٍ.

وقالت قدر الحديد التي كانت أعـواد الثقـاب تسـتلقى بالقرب منها للمرق المتبل: "أما أنا فقصتى مختلفـةٌ. فمنـذ

اللحظة التي جئت فيها إلى العالم؛ قام البعض بحكي وصقلي وغليى مراراً وتكراراً. وأنا أحب أن تكون لي علاقةٌ بما هو جيد صلد، ولي في الواقع أهميةٌ من الدرجة الأولي في هـذا البيت. وأمنيتى الكبرى أن أقف نظيفةً لامعةً علـى طنـف المدفأة هذا بعد الغداء، وأن أتجـاذب حـديثاً مفهومـاً مـع أصحابى. ولكن باستثناء دلو الماء الذي يخرج من آنٍ لآخر إلى الساحة؛ فإننا جميعاً نعـيش هنـا حيـاةً هادئـةً جـدا. والفضولي الوحيد بيننا هو سلة السـوق، ولكنهـا تتحـدث بطريقةٍ مزعجةٍ عن الحكومة، وعن الشعب... ولماذا؟ فمنـذ عهدٍ غير بعيدٍ؛ كانت جرةٌ قديمةٌ تقف هنا منتصبةً، وصدمت صدمةً شديدةً بما سمعته؛ لدرجـة أنهـا سـقطت وتمزقـت أشلاؤها. وسلة السوق هذه حرة الفكر، وتلك حقيقةٌ".

قاطعتها القداحة، وضرب الصلب حجر الصوان بحيث انطلق الشرر، وقال: "ها أنتِ تتكلمين كثيراً، فلماذا لا نمضى أمسيةً بهيجةً؟". فقالت أعواد الثقاب؛ تدلي برأيهـا: "أجـل؛ دعونا نقرر من هو صاحب أعلى رتبةٍ بيننا". وقالـت قـدر المرق المتبل: "أوه؛ لا؛ من جهتى أوثـر ألا أتحـدث عـن نفسى. دعونا نستمتع بنوعٍ آخر من التسلية. وسوف أبدأ. هيا

بنا نقول شيئاً مما حدث لنا. وسوف يكون مـن السـهل أن نستغرق في ذلك، وهو مسل جدا. فقرب بحر البلطيق؛ بـين أدغال أشجار الزان الدانماركية...".

فصاحت الأطباق في الحـال: "تلـك بدايـةٌ عظيمـةٌ، وستكون بلا شك من نوع القصص التي تروقنا!".

ـ "أجل؛ هناك قضيت شبابى بين أحضان أسرةٍ هادئـةٍ مطمئنةٍ جدا، وكان الأثاث ينظف حكا، وكانـت الأرضـية تغسل، والستائر النظيفة تعلق كل أسبوعين".

فقالت مكنسة السجاد: "يا لها من طريقةٍ سـاحرةٍ؛ تلـك التي تتوسلين بها لوصف الأشياء! إن أي واحدٍ منا يمكن أن يخمن في الحال أن من تتكلم قضت وقتاً طويلاً فـي رفقـة سيداتٍ؛ فهذه نبرةٌ صافيةٌ تتخلل القصة".

فصاحت دلو الماء: "هذا حقيقى، إن المرء ليحس بهذا!"، وقفزت قفزةً صغيرةً من الفرح؛ فتناثر زذاذٌ. ومضت قـدر المرق المتبل في رواية حكايتها، وكانـت الخاتمـة لا تقـل روعةً عن البداية. وصلصلت كل الأطباق استحساناً، وأخذت مكنسة السجاد بعض المقدونس من التجويف الرملى، وكللت به هام قدر المرق المتبل؛ لأنها عرفت أن هذا سوف يكـدر

صفو آخرين، وقالت لنفسها: "إذا ما توجتهـا اليـوم، فإنهـا سوف تتوجني غداً".

وقال الملقط: "والآن سوف أرقص". ووفقاً لذلك رقـص بالفعل، وأواه! ما أروع رؤيته؛ وهو يدور في حركةٍ سريعةٍ على رجلٍ واحدةٍ، وتفتق غطاء الكرسي في الركن دهشـةً؛ عندما شاهد المنظر. وقال الملقط متسائلاً: "ألا يحق لـي أن أتوج أنا أيضاً؟".

وقالت أعواد الثقاب لنفسها: "هؤلاء غوغاء أخساء!".

طلب من إبريق الشأي أن يغنى، ولكنه قال إنه مصاب ببردٍ. ولا يستطيع أن يغنى إلا عندما يغلى، وهذا بالطبع كان تكلفاً منه وغطرسةً. والحق أنه كان لا يهتم أبداً بأ يغنـى إلا عندما يكون واقفاً على منضدة البهو؛ أمام صحبةٍ من الرفاق. وفي النافذة؛ كان هناك قلم مـن ريـش الطيـور؛ اعتـادت السيدات أن يكتبن به. ولم يكن فيه شيء يستلفت النظـر إلا أنه كان مغموساً في الحبر؛ وإن كان فخوراً بهذا. وقال: "إذا لم يشأ إبريق الشأي أن يغنى؛ فإنه يمكن أن يتـرك وشـأنه؛ فهناك عندليب في قفص بالخارج يمكنه أن يغنى. وليس من

شك في أنه لم يتعلم قط الألحان، ولكنه لن يتحدث بسوءٍ عن أي أحدٍ عشيةَ هذه الليلة!".

وقالت غلاية الشأي التي كانت مطربة المطبخ، وأختـاً غير شقيقةٍ لإبريق الشاى: "أعتقـد أن مـن الخطـأ البـالغ الاستماع لطائرٍ غريبٍ. هل هذا من الوطنية في شىءٍ؟ إنني أعرض الأمر على سلة السوق".

فقالت سلة السوق: "إنني متضايقةٌ. وأنا في قرارة نفسى أشعر بالضيق أكثر مما يمكن أن يظن أحد. أهذه طريقةٌ لائقةٌ لتمضية المساء؟ أليس من الأفضل ترتيب البيـت؟ إن كـل واحدٍ عندئذٍ سوف يوضع في مكانه المناسب. فماذا تقولون؟ سوف أريكم اللعبة؛ فإن ذلك شـيء يسـتحق أن نعلمـه!".

فصاحوا جميعاً: "حسناً؛ هيا بنا إذن نبدأ فيها فوراً!".

عندئذٍ تماماً فتح الباب... إنها الخادمة. ووقفوا جميعـاً ساكنين بلا حراكٍ، ولم يجرؤ واحد منهم على أن يتحـرك. ومع ذلك؛ لم يكن هناك وعاء واحد لا يفكـر فـي الأشـياء العظيمة التي كان في وسعه أن يقوم بها، وفي مدى تفوقـه العظيم على غيره من الأوعية. وأخذ كل منها يفكر: "لو إنني اخترت هذا لأمضينا أمسيةً مرحةً!".

وأخذت الخادمة أعواد الثقاب وقدحتها؛ فاشتعلت. أواه؛ كم بصقت لهباً، وكم توهجت بسرعةٍ!". فقالت لنفسها: "الآن؛ يمكن لأي أحدٍ أن يرى أننا نتبوأ أرفع المناصب... أي ضوءٍ رائعٍ نقدم!". وبينما كانت تتكلم؛ أخذت تحترق حتى تلاشت.

* * *

قالت السلطانة: "هذه قصةٌ عظيمةُ. وإنني لأشعر تمامـاً بإنني في المطبخ أستمع لأعواد الثقاب. أجل؛ لـك أن تظفـر بابنتنا!".

وقال السلطان: "بكل سرورٍ. في يوم الاثنـين سـوف تتزوج من ابنتنا". ومنذ تلك اللحظة؛ أخذا يعـاملان الفتـى كواحدٍ من أفراد الأسرة.

وفي الليلة السابقة للعرس؛ أضيئت المدينـة بأسـرها، وألقى على جموع الشعب كعك، وكعيكاتٌ وحلوى، ووقـف كل الأولاد الصغار في الشوارع على أطراف أصابعهم؛ وهم يهتفون "مرحى!"، ويصفرون من خلال أصابعهم. وكان هذا إجمالاً أمراً رائعاً.

وقال ابن التاجر لنفسه: "حسناً؛ أعتقد أنه ينبغى أن أقوم بدورى أيضاً". وعلى هذا؛ انطلق واشترى صواريخ جوية وأرضيةً، وعجلات كاثرين، وشعلاتٍ رومانيةً، وكل أنواع الألعاب النارية التي يمكن تصورها، ووضعها في حقيبته، وطار في الهواء وأطلقها كلها؛ وهو يطير.

وقفز كل الناس إلى أعلى لينظروا، وكان ذلك في تسرعٍ شديدٍ؛ لدرجة أن نعالهم تطايرت حول آذانهم. فمثل هذا الشهاب لم يشهدوه من قبل. والآن؛ يحق لهم أن يكونوا على يقين من أنه كان حقاً الولي الذي سوف يتزوج من أميرتهم.

وحالما عاد ابن التاجر في حقيبته إلى الغابة، قال لنفسه: "سوف أدخل المدينة، وأسمع ما يقول الناس عنى، وأي نوعٍ من الشخصيات يرون إنني قمت بدوره في الهواء".

وكان من الطبيعى تماماً أن يرغب في معرفة هذا. أواه! أي قصصٍ غريبةٍ رويت له. إن كل واحدٍ تكلم معه؛ كانت له رؤيةٌ مشرقةٌ يراها بطريقته الخاصة، ولكن الجميع اتفقوا على أن هذا كان منظراً جميلاً. وصاح أحدهم قائلاً: "لقد رأيت الولي العظيم بعينى. إن له عينين كنجمتين لامعين، ولحيةً تشبه زبد الماء". وقال آخر: "لقد طار بعيداً في رداءٍ

من النار، وكانت أجمل الملائكة الصغيرة تنظر في حذرٍ من تحت طياته". وسمع أشياء كثيرةً عجيبةً أخرى عـن نفسـه، وكان مقرراً أن يكون زفافه في اليوم التالى.

وانطلق عائداً إلى الغابة؛ وفي نيته أن يدخل حقيبته مرةً أخرى، ولكن وا أسفاه! كانت الحقيبة قد احترقت. فقد تركت فيها شرارةٌ من الألعاب النارية؛ فاشتعلت فيها النار، وها هي ذى الحقيبة قد أصبحت رماداً. ولـم يسـتطع ابـن التـاجر المسكين أن يطير مرةً أخرى، ولم يسـتطع قـط أن يـزور عروسه.

وجلست طوال اليوم على سطح قصرها؛ في انتظـاره. ولا تزال تنتظره. وهو في غضون ذلك يطوف العالم ويروى قصصاً، ولكن ليست بين قصصه؛ حكايةٌ بهيجةٌ مثـل تلـك القصة التي رواها في قصر الأميـرة عـن أعـواد ثقـاب الكبريت.

جندي الصفيح الثابتُ

ذات مرةٍ؛ كان هناك خمسـةٌ وعشـرون جنـديا مـن الصفيح؛ كلهم أشقاء لأنهم جميعاً صنعوا من ملعقةٍ قديمةٍ من الصفيح. وكانوا يحملون غداراتٍ على سواعدهم، ويرتـدون ملابس حمراء وزرقاء. وكانت أول كلماتٍ يسمعونها في هذا العالم هي: "جنود من الصفيح!". والذي نطـق بهـا صـبي صغير، وذلك عندما رفع غطاء الصندوق الذي كانوا يرقدون فيه، وصفق بيديه جذلاً. فقد أهديت له بمناسبة عيد مـيلاده، وبعد ذلك بسطها على المنضدة.

وكان كل جندي يشبه الآخر تماماً؛ ما عدا واحداً كانت له رجلٌ واحدةٌ؛ لأنه كان آخر من صنع؛ عندما لم يبق مـا يكفي من الصفيح. ومهما يكن من أمرٍ، فإنه كان يقف بثباتٍ على رجله الواحدة كما يقف الآخرون على رجلـين. ومـا حدث لهذا الجندي الصفيح ذى الرجل الواحدة هو الذي يبدو وأنه يستحق الحديث عنه.

وعلى المنضدة التي يقف عليها الجنود الصفيح؛ كانـت هناك لعب أخرى؛ أشدها جاذبية قصر من الورق المقـوى.

ومن خلال نوافذه الصغيرة؛ كان المرء يستطيع أن ينعم النظر في الحجرات، وأمام القصر؛ كانت هناك بعض الأشجار الصغيرة تقف منتصبةً ومتكاثفةً حول مرآةٍ صغيرةٍ؛ كان المقصود بها أن تمثل بحيرةً. وكانت هناك بعض البجعات المصنوعة من الشمع فوقها، وتنعكس فيها صور البجعات. وكان كل هذا جميلاً جدا، ولكن أجملها جميعاً كانت سيدةً صغيرةً تقف في المدخل المفتوح للقصر. وكانت هي أيضاً قد قصت من الورق المقوى، ولكنها كانت ترتدي فستاناً من القطن الناعم، وملقى على كتفيها شريطٌ رفيع أزرقُ بلون السماء مثل القباء. وفي وسط هذا القباء؛ وضعت وردةٌ من الترتر اللامع.

كانت السيدة الصغيرة راقصةً، وتمد ذراعيها وترفع إحدى رجليها عالياً في الهواء؛ بحيث لم يستطع الجندي الصفيح أن يراها، وظن أن لها رجلاً واحدةً مثله. وقال لنفسه: "تلك هي الزوجة إلى تصلح لي تماماً، ولكن مرتبتها رفيعةٌ جدا في المجتمع؛ فهي تعيش في قصرٍ، وأنا ليس لدى سوى علبةٍ، وحتى هذه ليست ملكاً خالصاً لي، لأن كل رجالنا الخمسة والعشرين يعيشون فيها، ولهذا فإنه لا مكان

لها فيها. ومع ذلك؛ فإنني يجب أن أتعرف عليها. وعندئذٍ؛ مد جسمه بطوله تماماً خلف علبة سعوطٍ كانت تقـف منتصـبةً على منضدةٍ؛ حتى يتاح له التمتع برؤية السـيدة الصـغيرة الرقيقة التي كانت لا تزال واقفةً على رجلٍ واحـدةٍ؛ دون أن تفقد توازنها.

وعندما أقبل المساء؛ كان كـل الجنـود الآخـرين قـد وضعوا في العلبة، وذهب كل أهل البيـت إلـى الفـراش. وعندئذٍ؛ بدأت اللعب تلهو بألعابها الخاصة وتقوم بزيـاراتٍ، وتشتبك في معارك، وتقيم حفلاتٍ راقصةً. وصلصلت جنود الصفيح في العلبة؛ لأنها كانت تريد أن تلعب أيضـاً، ولكـن الغطاء لم يفتح... ودبرت كسارات البنـدق حـيلاً سـاذجةً، ورقص قلم الإردواز على المنضدة. وحدثت ضجةٌ كبيـرةٌ، فاستيقظ عصفور الكنار، وبدأ يتكلم أيضاً، ولكنـه كـان لا ينطق إلا شعراً. الوحيدان اللذان لم يتحركا من موضـعيهما هما جندي الصفيح والراقصة؛ فقد ظلت واقفةً على أطـراف أصابع قدميها وذراعاها ممدودتان، ووقف هو بثباتٍ علـى رجله الواحدة، وهو لا يرفع عنها عينه أبداً. ودقت السـاعة اثنتى عشرة دقةً؛ فانفتح غطاء علبة السعوط بفرقعةٍ، ولم يكن

فيها سعوطٌ؛ إذ لم تكن إلا مجرد لعبةٍ، وقفز منهـا سـاحر صغير أسود، وقال: "أيها الجندي الصفيح؛ أرجوك أن تغض بصرك". ولكن الجندي الصفيح تظاهر بأنه لا يسمع. فقـال الساحر: "حسناً؛ انتظر حتى الغد!".

استيقظ الأطفال في صباح اليوم التالى، وكان الجنـدي الصفيح موضوعاً على إفريز النافذة. وسواء كان الساحر هو السبب فيما حدث أو الريح، فإن النافذة فتحت فجـأةً وسـقط منها جندي الصفيح من الطابق الثالث إلى الأرض... وكانت سقطةً مريعةً؛ لأنه سقط أولاً علـى رأسـه فـي الشـارع. وأخيراً؛ استقر بقلنسوته وسن غدارته بين حجرين من أحجار الرصيف؛ ورجله مرفوعةٌ في الهواء. ونزلت الخادمة والولد الصغير إلى الطابق السفلي مباشرةً للبحث عنه، ولكن علـى الرغم من أنهما كادا يدوسانه؛ فإنهما لم يرياه. ولو أن جندي الصفيح ناداهما قائلاً: "ها أنذا"؛ لكانا قد وجداه بسهولةٍ، ولكنه قال لنفسه أنه لا يليق به أن يصيح مستنجداً؛ لأنـه يرتـدي ملابسه الرسمية.

وبدأت السماء وقتذاك تمطـر، وسـرعان مـا أخـذت قطرات المطر تهطل بغزارةٍ أشد؛ فنـزل المطـر كالسـيل

المنهمر. وعندما كف المطر عن النزول؛ أقبل عربيان صغيران من المارة بالطريق. وصنعا قارباً من جريدةٍ، ووضعا فيه الجندي فانطلق يسير إلى أسفل مجرى الماء، وأخذ الأولاد يجرون إلى جانبه ويصفقون بأيديهم. وأخذ القارب المصنوع من الورق يتأرجح جيئةً وذهاباً، وكان بين آنٍ وآخر يدور بسرعةٍ كبيرةٍ، لدرجة أن جندي الصفيح أصيب بالدوار تماماً. ومع ذلك؛ فإنه لم تختلج فيه عضلةٌ واحدةٌ، وكان يتطلع أمامه مباشرةً، ويمسك غدارته بيده؛ وهو يقبض عليها بشدةٍ.

وفجأةً؛ حمل القارب إلى أنبوبةٍ طويلةٍ للمجارى؛ وجد الجندي أنها لا تقل ظلاماً عن علبته، فقال لنفسه: "ترى أين أنا ذاهب الآن؟ إن ذلك كله من عمل ذلك الساحر. أواه!... لو أن السيدة الصغيرة كانت تركب معى في القارب؛ لما باليت بأن يكون الظلام ضعف هذا".

وعندئذٍ؛ تماماً انطلق كالسهم جرذ ماءٍ كبير؛ كان يعيش في أنبوبة المجارى خارجاً منها. وسأله الجرذ: "هل لديك جواز سفرٍ؟ أرنى جواز سفرك!". ولكن الجندي الصفيح لازم الصمت وشدد قبضته على غدارته أكثر مما كان يفعل من

قبل. وانطلق غاضباً، وصاح منادياً العصى وأعواد القش: "أوقفوه؛ أوقفوه؛ إنه لم يدفع ضريبة الطريق؛ بل إنه لم يرنى حتى جواز سفره"، ولكن التيار اشتد واشتد، واستطاع الجندي الصفيح أن يلمح بنظرةٍ سريعةٍ ضوء النهار في الموضع الذي ينتهي فيه النفق، ولكنه في الوقت نفسه سمع صوتاً مدوياً كفيلاً بأن يجعل أشجع الرجال يرتجف فرقاً. وفي الموضع الذي كان فيه النفق ينتهى؛ كان ماء المجرى القذر يسقط في قناةٍ كبيرةٍ. وهذا كان شيئاً خطيراً بالنسبة للجندي الصفيح؛ لا يقل خطورةً عن الشلال بالنسبة لنا.

كان الشلال في تلك اللحظة قريباً جدا إلى حد أنه لم يعد في استطاعته أن يقف منتصباً. ومرق القارب كالسهم إلى الأمام، وتماسك الجندي الصفيح المسكين شاداً جسده بقدر الإمكان حتى لا يستطيع أحد أن يتهمه بأنه حتى طرف بعينه. ودار القارب ثلاث أو أربع دوراتٍ، امتلأ بالماء حتى الحافة، ولابد أنه يوشك على الغرق الآن. ووقف الجندي الصفيح في الماء؛ فغاص فيه بجسده حتى عنقه، ولكن القارب أخذ يغوص ويغوص في أعماق الماء، وأخذ الورق يلين ويلين إلى أن غمر الماء رأس الجندى. وأخذ يفكر في

الراقصة الصغيرة الجميلة التي لن يراها ثانيةً أبداً، ورنـت في أذنيه هذه الكلمات:

"سافر أيها الجندي الشجاع!

فالحياة لابد أن تنتهي في القبر".

وتفتقت الورقة إلى اثنتين؛ فسقط الجندي الصفيح مـن خلال الفتق، وابتلعته في الحال سمكةٌ كبيرةٌ. أواه! ما أشد ما يحيط به من ظلامٍ. لقد كان المكان أشد ظلاماً مـن النفـق، وأضيق كثيراً منه أيضاً. ولكن الجندي الصفيح ظل ثابتاً كما كان من قبل، واستلقى هناك بطول جسـده؛ وهـو لا يـزال يصوب غدارته. وأخذت السمكة تسبح جيئةً وذهاباً، وقامـت بأعجب الحركات، ولكنها أخيراً سكنت تماماً. وبعد برهةٍ؛ بدا أن وميضاً من البرق قد خرج مندفعاً من خلالهـا كالسـهم، وسرعان ما أشرق ضوء النهار ساطعاً فـي كـل مكـانٍ، وصرخ أحدهم يقول: "إنني أعلن أن الجندي الصغير هنـا!". ووقعت السمكة في شباك الصـيد، وأخـذت إلـى السـوق، وبيعت، وأحضرت إلى المطبخ. وهنـاك؛ أخـذت الخادمـة تقطعها بسكينٍ كبيرةٍ. وأمسكت بالجندي الصفيح بأصـبعين من وسطه، وأخذته إلى البهو؛ حيث كان كل واحـدٍ يتلهـف

لأن يرى الرجل العجيب الذي سافر في كرش سـمكةٍ؛ وإن كان الجندي الصفيح لم يكن فخوراً بهذا.

ووضعوه فوق المنضدة... أي أشياء غريبةٍ تحدث فـي العالم! لقد كان الجندي الصفيح في نفس الحجرة التـي كـان فيها من قبل. ورأي نفس الأطفـال، ونفـس اللعـب علـى المنضدة، وبينها القصر البديع، والراقصة التي كانت لا تزال واقفةً على رجلٍ واحدةٍ وترفع الرجل الأخـرى عاليـاً فـي الهواء؛ وكانت هي أيضاً تقف بثباتٍ. وقد مس هذا شـغاف قلب الجندي الصفيح، وكان يمكن أن يجد في قلبـه عاطفـةً تدفعه إلى أن يبكي ويذرف دموعاً صفيحيةً، ولكن مثل هـذا الضعف كان لا يليق بجندى؛ فتطلع إليها وتطلعت إليه؛ بيـد أن أحداً منهما لم ينبس ببنت شفةٍ.

وأخذ أحد الأولاد الجندى، وقذف به في الموقد دون أن يبدى سبباً لما فعله، ولكن ليس من شك في أن هذا كان خطأ ارتكبه الساحر في علبة السعوط. كان الجندي الصفيح يقـف حينذاك في وسط وهجٍ من الضوء، وأحس بالحرارة الشديدة، ولكنه لم يعرف ما إذا كان ذلك يرجع إلى الوهج أو إلى لهب الحب، وقد زال منه لونه تماماً. ولا أعرف ما إذا كان ذلـك

نتيجةً لرحلاته، أو بسبب تأثير شعورٍ قوى. وتطلع إلى السيدة الصغيرة وتطلعت إليه؛ فشعر بأنه يذوب. ولكنه وقف ثابتاً وهو يصوب سلاحه؛ كما كان يفعل من قبل... وفتح باب، وهبت لفحة هواءٍ ساخنٍ على الراقصة؛ فطارت تواً كأنها جنيةٌ إلى داخل الموقد؛ حيث كان الجندي الصفيح. وتحولت في الحال إلى وهجٍ، وزالت من الوجود. وذاب الجندي الصفيح، وسقط يقطر، ثم تحول إلى رمادٍ.

وعندما قامت الخادمة بتنظيف الموقد في اليوم التالي؛ وجدت بقاياه في شكل قلبٍ صغيرٍ من الصفيح. وكان كل ما تخلف عن الراقصة هو الوردة المصنوعة من الترتر. وهذه الوردة احترقت تماماً؛ حتى أصبحت سوداء مثل الفحم.

عقْلةُ الإصبع

ذات يومٍ؛ كانت هناك امرأةٌ تتمنى كثيراً أن يكون لها طفلٌ صغير. ولكنها لم تعرف أين تجده؛ فذهبت أخيراً إلى ساحرةٍ، وقالت لها: "أريد أن يكون لي طفلٌ صغير؛ فهل تستطيعين أنتِ؛ يا من أوتيتِ حكمةً بالغةً! أن تقولي لي أين أستطيع أن أجد واحداً؟"، فقالت الساحرة: "في وسعى أن أفعل هذا تواً. وليس هناك ما هو أيسر منه. إليكِ حبة شعيرٍ، ولكنها تختلف عن الحبوب التي تنمو في حقول الفلاحين، والتي يأكلها الطير. ضعيها في أصيصٍ، وانتظرى لترى ما يحدث". فقالت المرأة؛ وهي تعطي الساحرة اثنى عشر درهماً؛ هي الثمن الذي طلبته مقابل حبة الشعير: "أواه؛ أشكركِ شكراً جزيلاً!".

بعد ذلك؛ انطلقت رأساً إلى البيت، وزرعت حبة الشعير؛ فطلعت في الحال زهرةٌ جميلةٌ كبيرةٌ. وكانت تبدو أشبه ما تكون بزهرة خزامى؛ ولكن أوراقها كانت منطبقةً بإحكامٍ؛ كما لو كانت أوراق برعمةٍ. وقالت المرأة؛ وهي تقبل أوراقها الحمراء ذهبية اللون: "يا لها من زهرةٍ جميلةٍ!".

وما إن قبلتها حتى تفتحت الأوراق بفرقعةٍ، ورأت أنها كانت زهرة خزامى؛ مثل تلك التي يمكن أن يراها المرء تقريباً في كل مكانٍ. ولكن عجباً؛ كانت تجلس في قلب النورة بالـذات على سداةٍ خضراء مخمليةٍ فتاةٌ ضـئيلة الجسـم؛ مخلوقـةٌ صغيرةٌ رقيقةٌ حلوةُ الشمائل؛ لا يكاد طولها يصل إلى نصف إصبع الإبهام. وعندما رأتها المرأة أطلقت عليها اسم عقلـة الإصبع؛ لأنها كانت ممعنةً في الصغر.

وصنع مهدها من قشرة جوزةٍ. وهناك، على فراشٍ من البنفسج تحت لحافٍ من ورق الورد كانت عقلة الإصبع تنام نوماً عميقاً هادئاً بالليل. وفي أثناء النهار؛ كانت تسلي نفسها بأن تطفو في طبق مليءٍ بالماء؛ وهي تركب ورقة خزامـى كبيرةً؛ كانت لها بمثابة القارب. وقد وضعت المـرأة طبـق الماء على منضدةٍ، ووضعت إكليلاً من الزهور حول حافته، وكانت الفتاة ضئيلة الجسم تجدف من أحد جانبى الطبق إلـى الجانب الآخر بمجدافين مصنوعين من شعر حصانٍ أبيض. وكان جميلاً أن تراها، وأجمل من ذلك أن تسـمعها؛ وهـي تغنى بصوتٍ صافٍ كرنين جرس فضى صغيرٍ. وليس مـن شك في أن هذا الغناء لم يسمع قط من قبل.

وذات ليلةٍ؛ بينما كانت ترقد نائمةً في فراشها الصـغير الجميل؛ زحفت ضفدعةٌ بريةٌ قبيحةٌ عجـوز خـلال لـوحٍ مكسورٍ في النافذة، وقفزت إلى المنضدة. وقالت لنفسها: "يـا لها من مخلوقةٍ جميلةٍ صغيرةٍ، ويا لها من زوجةٍ فاتنةٍ تصلح لابنى!"، وأخذت قشرة الجوز التي كانت ترقد فيهـا الفتـاة ضئيلة الجسم نائمةً تحت لحافها المصنوع من ورق الـورد، وقفزت بها خلال النافذة. وهكذا؛ حجلت عائدةً إلـى داخـل الحديقة.

وكان هناك مجرى ماء عريض ينسـاب متـدفقاً فـي الحديقة، وكانت الضفدعة العجوز تعـيش مـع ابنهـا فـي مستنقعاتٍ على ضفتيه. وكان الابن أشد قبحاً مـن والدتـه، وعندما رأي الفتاة الصغيرة الجميلة في فراشها الجميل؛ كان كل ما أمنكه هو أن يصيح بصوتٍ غليظٍ: "قيق، قيق، قيق!". فقالت الضفدعة العجوز: "إياك أن تحدث مثل هذا الضجيج، وإلا أيقظتها. وعندئذٍ فإنها قد تطير بعيداً؛ لأنها خفيفةٌ مثـل زغب العوسج. إننا سنضعها على إحدى أوراق زنبق المـاء الذي ينمو في وسط المجرى؛ وسوف تبدو جزيرة بالنسـبة لها؛ فهي ضئيلة الجسم جدا. ولن تسـتطيع أن تفلـت منـه،

وسيكون أمامنا الوقت الكافى؛ لإعداد الغرفة الفخمـة تحـت المستنقع المقرر أن تعيشا فيها بعد أن تتزوجا".

وفي الخارج؛ في وسط الجدول نما هناك عدد من زنابق الماء؛ لها أوراقٌ خضراء عريضةٌ؛ كانت تطفو على سـطح الماء. وبدت أكبر هذه الأوراق أبعـد مـن أي ورقـةٍ مـن الأوراق الباقية. وإلى هناك؛ سحبت الضفدعة العجوز؛ وهي تحمل معها قشرة الجوزة التي كانت لا تزال عقلة الإصـبع ترقد فيها؛ وهي مستغرقةٌ في نومٍ عميق.

وفي وقتٍ مبكرٍ جدا من الصبح؛ اسـتيقظت المخلوقـة الصغيرة المسكينة. وعندما رأت الموضع الذي كانت فيـه؛ بدأت تبكي بكاء مريراً؛ لأن الماء كان يحيط بالورقـة مـن جميع الجهات، ولم تستطع أن تجد سبيلاً للوصول إلى البر. وفي خلال ذلك؛ وفي أسفل المستنقع؛ كانت الضفدعة العجوز منهمكةً إلى أقصى حد في تجميل حجرتها بالحلفاء والأسـل الأصفر؛ لكي تجعلها جميلةً ومريحةً لزوجة ابنها الجديـدةِ. وعندما انتهت من عملها؛ سبحت بابنها الدميم إلـى ورقـة النبات التي وضعت فيها عقلة الإصبع المسكينة، وأرادت أن تحمل الفراش الجميل الذي يمكن أن تضـعه فـي حجـرة

العروسين؛ ليكون معداً للعروس. وانحنت الضفدعة العجوز في الماء للفتاة الصغيرة انحناءةً كبيرةً، وقالت: "هـا هـو ذا ابنى. ومن المقرر أن يكون زوجاً لكِ، وسوف تعيشان معـاً حياةً سعيدةً جدا في البيت الجميل الذي أعددته لكمـا أسـفل المكان في المستنقع؛ بجوار مجرى الماء". فكـان كـل مـا استطاع الابن الدميم أن يقوله لنفسه: "قيق؛ قيق؛ قيق".

وعلى هذا؛ أخذت الضـفدعة العجـوز وابنهـا المهـد الصغير الجميل، وسبحا به بعيداً؛ تـاركين عقلـة الإصـبع جالسةً وهي تبكي وحدها على ورقة الزنبق الخضراء؛ فهي لم تستطع أن تحتمل مجرد التفكير في أن تعيش مع الضفدعة العجوز، وأن يكون ابنها القبيح زوجاً لها. وفي ذلك الوقـت؛ قامت السمكات الصغيرات اللاتى كن يسبحن في الماء ورأين الضفدعة العجوز وسمعن كل كلمةٍ قالتها؛ بـالقفز إلـى أن أصبحت رؤوسهن فوق سطح الماء حتى يمكنهن رؤية الفتاة الصغيرة. وعندما وقعت أنظارهن عليها؛ رأين أنها جميلـة جدا، وشعرن بالأسى الشديد، لأن تضطر فتاةٌ بهذه الدرجـة من الجمال إلى أن تذهب وتعيش مع الضفادع القبيحة. وقلن: "لا؛ لا! إن مثل هذا الشيء يجب ألا يسمح به".

ولهذا؛ تجمعت كل السمكات الصغيرات معاً في المـاء؛ حول ساق الورقة الخضراء التي كانت تجلس عليهـا الفتـاة الصغيرة، وأخذن يقوضن الساق بأسنانهن إلى أن قضـمنها. وعندئذٍ؛ انطلقت ورقة النبات تسير بسرعة أسـفل مجـرى الماء؛ وهي تحمل عقلة الإصبع بعيداً إلى موضعٍ لا يمكن أن تصل إليه الضفدعة. وسارت في الماء مارةً بمـدنٍ عديـدةٍ، وعندما رأتها الطيور في الشجيرات؛ غردت قائلة: "يا لها من فتاةٍ صغيرةٍ جميلةٍ!". وسبحت ورقة النبات فوق الماء؛ وهي تحملها إلى مسافةٍ أبعد وأبعد؛ إلى أن أقبلت أخيراً إلـى بلـدٍ آخر؛ وحول رأسها ظلت فراشةٌ صغيرةٌ بيضـاء ترفـرف بجناحيها باستمرارٍ إلى أن استقرت على الورقة. وقد سـرت كثيراً بمصاحبة عقلة الإصبع التي فرحت هي الأخرى بهـا؛ لأنه لم يكن من الممكن الآن أن تستطيع الضفدعة القبيحة أن تصل إليها أبداً، ولأن البلد الذي كانت تسير خلاله كان جميلاً جدا، وكانت الشمس تسطع فوق الماء إلى أن تـوهج ولمـع مثل الفضة.

خلعت عقلة الإصبع حزاماً، وربطت أحد طرفيه حـول الفراشة، وثبتت الطرف الآخر إلى ورقة النبات التي أخـذت

في هذه اللحظة تنطلق بسرعة أكبر من ذى قبـل؛ إذ كانـت الفراشة بمثابة شراعٍ، وأخذت معها الفتاة الصغيرة. وفي هذه اللحظة؛ طارت مارةً بها خنفساء أوربيةٌ كبيرةٌ. وحـين رأت الفتاة أمسكت بها؛ ناشبةً مخالبها حـول خصـرها النحيـل، وطارت بها بعيداً إلى شجرةٍ. ولكن الورقة الخضراء عامت إلى أسفل النهر، وطارت معها الفراشة؛ لأنها كانت مربوطة إلى الورقة، ولم تستطع أن تفلت منها. أواه؛ كم اشتد الفـزع بعقلة الإصبع؛ عندما طارت الخنفساء بهـا إلـى الشـجرة، وكانت حزينةً من أجل الفراشة الجميلة البيضاء التي كانت قد ربطتها إلى ورقة النبات؛ لأنها إذا لم تستطع أن تحرر نفسها من القيد؛ فإنها سوف تموت جوعاً لا محالة. ولكن الخنفساء لم تعبأ بذلك. وجلست بجوارها على إحدى أوراق الشـجرة، وأعطتها شيئاً من العسل أخذته من زهرةٍ لتأكله، وأخبرتهـا بأنها جميلةٌ جدا؛ وإن كانت ليست جميلةً مثل أي خنفسـاء. وفي خلال فترةٍ قصيرةٍ؛ أقبلت كل الخنافس التي كانت تعيش في الشجرة لزيارتها. وأخذت تتناولها بالسنةٍ حـادةٍ، فقالـت إحدى الخنافس: "عجباً؛ فليس لها إلا رجلان. كم يبدو هـذا قبيحاً!". وقالت أخرى: "وليس لها قرون استشعارٍ. لابد أنهـا

غبية جدا!". وقالت ثالثةٌ: "إن خصرها نحيلٌ جدا! أف! إنها تبدو أشبه ما تكون بمخلوقةٍ من البشر". وقالت كل الخنافس: "ما أقبحها!".

كانت عقلة الإصبع جميلةً حقا، وكانت الخنفساء التي حملتها ترى هذا أيضاً، ولكن عندما قال الجميع إنها قبيحةٌ بدأت تعتقد أن هذا لابد أن يكون حقيقياً. وعلى هذا؛ لم يكن لديها شيء آخر تقوله لعقلة الإصبع، وقالت لها إن بإمكانها أن تذهب إلى حيث يحلو لها. ثم طارت الخنافس بها إلى أسفل الشجرة، ووضعتها على زهرة أقحوانٍ، وبكت عقلة الإصبع لأنها ظنت أنها دميمة جدا، إلى حد أن الخنافس لم تجد شيئاً تقوله لها. وكانت في الواقع من أجمل المخلوقات في العالم؛ غضة الإهاب؛ رقيقةً مثل ورقة وردةٍ.

وطوال فصل الصيف؛ عاشت عقلة الإصبع المسكينة وحدها في الغابة. ونسجت لنفسها فراشاً صغيراً بنصال النجيل، وعلقته تحت ورقة برسيمٍ؛ حتى تكون بمنجاةٍ من المطر. وبالنسبة للطعام، كانت تمتص العسل من الأزهار، وتشرب ماء الندى كل صباحٍ من أوراق النبات. وعلى هذا النحو؛ مر فصلا الصيف والخريف، ثم جاء فصل الشتاء

الطويل البارد؛ فطارت كل لعصافير التي كانت تغـرد لهـا تغريداً رخيماً، ونفضت الأشجار أوراقها وذبلـت الأزهـار. وأصبحت ورقة البرسيم التي عاشت في حماها ملتفةً علـى بعضها ومتغضنة، ولم يبق منها سوى ساقٍ ذابلةٍ.

وأحست عقلة الإصبع المسكينة بـالبرد القـارص؛ لأن ملابسها تمزقت؛ وكانت مخلوقةً صـغيرةً ضـعيفةً رقيقـةً للغاية؛ فأوشكت على أن تموت. وبدأ الثلج يسقط أيضاً، وكل لوحٍ رقيق من الثلج يسقط عليها بمثابة قدر منه يملأ جاروفاً يسقط على أحدٍ منا لأننا طوال القامة. أما هى؛ فكان طولهـا حوإلى بوصةٍ. وعندئذٍ؛ لفت نفسها في روقة نبـاتٍ جافـةٍ، لكنها انشقت في الوسط، ولم تشعر فيها بالدفء، فاقشـعرت من البرد. وكان ذلك بالقرب من الغابة التي فيها حقل قمـحٍ كبير؛ بيد أن القمح قد حصد منذ زمنٍ طويلٍ قبل هذا، ولـم يبق منه سوى القش الصلب الجاف؛ منتصـباً بـارزاً مـن الأرض المتجمدة من البرد. وكانت عقلـة الإصـبع وهـي تمضى خلال الغابة؛ كأنها تجاهد لتمضى خلال غابةٍ أخرى. وأواه؛ كم كان البرد قارصاً!.

وأخيراً؛ جاءت إلى باب بيت فأرةٍ من فئران الحقـول؛ كانت تعيش في جحر تحت القش. وكان بيتاً دافئـاً مريحـاً، وكانت الفأرة سعيدةً جدا؛ فقد كان لديها ملء غرفةٍ بأكملهـا من القمح؛ إلى جانب مطبخٍ وغرفةٍ جميلةٍ للطعام. ووقفـت عقلة الإصبع المسكينة أمام بيت الفأرة؛ كما لو كانت شحاذةً. وتوسلت إلى الفأرة بأن تعطيها حفنةً صغيرةً مـن حبـوب الشعير؛ لأنها تتضور جوعاً؛ إذ لم تجد ما تأكله في اليومين الأخيرين. فقالت فأرة الحقل التي كانت حقًّا عجـوزاً رقيقـة القلب: "يا لكِ من مخلوقةٍ صغيرةٍ مسكينةٍ! تعالي إلى حجرتي الدافئة، وتناولي الغداء معي". وسرت الفأرة سروراً عظيمـاً بلقاء عقلة الإصبع. وعلى هذا؛ قالت: "يمكنكِ إذا شـئتِ أن تمضي الشتاء معي، وسوف تحافظين بكل تأكيدٍ على نظافـة حجراتي، وتروين لي قصصاً؛ فأنا مغرمةٌ بسماع القصص".

فعلت عقلة الإصبع كل ما طلبته منها الفأرة العجـوز، وفي مقابل هذا عوملت أحسن معاملةٍ، وهيئت لهـا وسـائل الراحة. وقالت فأرة الحقل لعقلة الإصبع ذات مرةٍ: "سـوف نستقبل حالاً زائراً. فجاري يزورني مرةً كل أسبوعٍ. وهـو أغنى مني بكثيرٍ، ولديه حجراتٌ فسيحةٌ جميلةٌ، ويرتدي فراء

مخملياً أسود. وإذا استطعتِ أن تتخذيه زوجاً لكِ؛ فإنكِ سوف تكونين حقا في رغدٍ من العيش. وهو مع ذلك كفيفٌ، ويا له من رجلٍ مسكينٍ! ولهذا؛ فإن عليكِ أن تروى له بعضاً مـن أجمل قصصِكِ". ولكن عقلة الإصبع كانت تعرف أن الجـار الذي تحدثت عنه لم يكن إلا خلداً، ولم يكـن فـي نيتهـا أن تزعج نفسها بأمره.

وعلى أية حالٍ؛ فإن الخلد جاء وقام بزيارتـه. وكـان يرتدي سترته المخملية السوداء. وهمست فأرة الحقل العجوز تقول لعقلة الإصبع: "إنه عالم ضليع وغنى جدا. وبيته أكبـر من بيتي عشرين مرةً، ولكنه لم ير قط الشمس أو الأزهـار الجميلة، وهو يتحدث دائماً عنها في استخفافٍ". ووجدت عقلة الإصبع أن عليها أن تغنى له؛ فشدت بأغنية "يـابق الســت، يابق الست؛ هيا طر بعيداً إلى البيت"، وأغنية "بينمـا كنـت أسير؛ طويلاً؛ طويلاً"، وغيرهما من الأغاني الجميلة، فعشقها الخلد في الحال؛ لأنه كان لها صوتٌ رخيم جدا؛ ولكن نظراً لأنه مخلوقٌ فطن؛ لم يفصح بأي شيء عن مشاعره. وكـان الخلد؛ وقبل فترةٍ قصيرةٍ من زيارته؛ قد حفر ممراً طـويلاً تحت الأرض بين البيتين وأعطى فأرة الحقل وعقلة الإصبع

إذناً بالسير في هذا الممر؛ في أي وقت شاءان. ولكنه قال لهما إن هناك عصفوراً ميتاً يرقد في الممر، وطلب منهما ألا تفزعا منه. وقال: "إن العصفور كان صحيح الجسم سالماً، له منقار وريشٌ يغطى جسده كله، ولا يمكن أن يكون قد مات منذ فترةٍ طويلةٍ؛ وقد دفن تماماً في الموضع الذي حفر فيه الممر". ثم أخذ الخلد قطعة من الخشب المتعفن في فمه فلمعت في الظلام مثل بصيص من النار، وانطلق أمامهما ليضيء لهما الطريق خلال الممر الطويل المظلم.

وعندما أقبلوا إلى الموضع الذي كان يرقد فيه العصفور الميت؛ دفع الخلد أنفه العريض خلال السقف لكي يصنع فتحةً. وتسلل ضوء النهار من الفتحة، وسطع على جثة عصفور الجنة الميت. وكان جناحاه الجميلان منطبقين بشدةٍ، ورأسه ومخالبه مختفية تحت ريشه. وليس من شك في أن العصفور المسكين قد مات متأثراً بالبرد. وأحزن الفتاة الصغيرة كثيراً أن تراه؛ لأنها كانت تحب العصافير الصغيرة حبا جما؛ فقد ظلت طوال الصيف تزقزق وتغرد لكي تدخل البهجة إلى قلبها. ولكن الخلد قاسى الفؤاد دفع عصفور الجنة جانباً برجليه المعوقتين، وقال: "إنه لن يغرد بعد الآن. لابد

أن من يولد عصفوراً مخلوقٌ تعس". وحمد الله، وقال: "لـن يكون أحد أطفإلى من العصافير أبداً؛ فالعصافير لا تسـتطيع أن تفعل شيئاً سوى أن تصيح: سق، سق! وهي دائماً تمـوت جوعاً في الشتاء". فصاحت فأرة الحقل: "في الحقيقة؛ يمكنك كمخلوقٍ ذكي حكيمٍ أن تقول هذا. فماذا تفعل لطائرٍ زقزقتـه وتغريده إذا ما أقبل الشتاء؟ هل يمكـن لزقزقتـه... سـق؛ سق... أن تخفف من حدة جوعه، أو تحفظه من أن يتجمـد برداً حتى يموت؟ ومع ذلك؛ يعتقد أنه أصيلٌ طيب النشـأة!". ولم تنبس عقلة الإصبع ببنت شفةٍ، ولكن عندما أدار الآخران ظهريهما للعصفور الميت؛ انحنت إلى أسفل، وسوت جانبـاً الريش الذي كان يغطى الرأس، وقبلت الجفنين المغمضـين. وقالت: "من يدرى؟ لعلك أنت هو الذي كان يغرد لي بصوتٍ رخيمٍ في فصل الصيف. لقد أضفيت عليبهجةً عظيمةً أيهـا الطائر الجميل العزيز!".

وعندئذٍ؛ توقف الخلد أعلى الفتحة التي كان ضوء النهار يأتى منها، وسار إلى البيت مع السيدتين. ولكن في الليل لـم تستطع عقلة الإصبع أن تنام؛ فنهضت من الفراش، ونسجت سجادةً كبيرةً جميلةً من الحشيش الجـاف النـاعم. وعنـدما

انتهت منها؛ جمعت بعض الزغب الناعم الذي وجدته في حجرة جلوس فأرة الحقل، وحملت السجادة والزغب إلى العصفور الميت. وكان الزغب ناعماً ودافئاً مثل الصوف؛ فوضعته حوله في عنايةٍ شديدةٍ، وبسطت فوقه اللحاف حتى يرقد دافئاً في الأرض الباردة. وقالت: "أستودعك الله يا عزيزي العصفور الصغير الجميل. وشكراً لكل الأغاريد الحلوة التي ترنمت بها في فصل الصيف؛ عندما كانت الأشجار خضراء والشمس تسطع وترسل أشعتها الدافئة إلينا". ووضعت رأسها في حزنٍ على صدر العصفور، ولكنها رفعته في الحال تقريباً في دهشةٍ، فقد خيل إليها أن شيئاً ما داخل العصفور كان يخفق بصوتٍ مسموعٍ: "تك، تك". كان هذا هو قلب عصفور الجنة. فعصفور الجنة لم يكن قد مات في الواقع، بل إن جسده تخدر بفعل البرد، وعندما تسلل الدفء إليه مرةً أخرى عادت إليه الحياةُ.

في الخريف؛ تطير كل عصافير الجنة بعيداً إلى بلاد أشد دفئاً. ولكن إذا تخلف أحدها وبقي مدةً طويلةً؛ فإن البرد يجمد جسده ويسقط على الأرض كأنه ميت، ويرقد حيث يسقط، ويغطيه الثلج البارد. وارتجفت عقلة الإصبع من فرط

الخوف؛ لأن العصفور بدا ضخماً جدا؛ بالمقارنـة بمخلوقـةٍ ضئيلةِ الجسمِ مثلها لا يزيد طولها على بوصةٍ، ولكن إشفاقها عليه كان أقوى من خوفها منه. ولما كانـت فتـاةً صـغيرةً شجاعةً؛ فإنها غطت عصفور الجنة المسكين بطبقةٍ أشد كثافةً من الزغب، وهرعت وأحضرت ورقةً من شـجرة بلسـمٍ؛ كانت قد استخدمتها هي نفسها لحافاً، وبسـطتها علـى رأس العصفور. وفي الليلة التالية؛ تسللت مرةً أخرى إلى الممـر لتراه. كان لا يزال حيا، ولكنه كان ضعيفاً جدا واهن القوى، ولم يستطع إلا أن يفتح عينيه ليتطلع لحظةً إلـى ممرضـته الصغيرة الرقيقة الحانية التي وقفت تطل عليه؛ وهي تحمـل في يدها قطعةً متعفنةً من الخشب لأنها لم يكن لديها شـيء آخر تستضيء به.

وهمس عصفور الجنة العليل: "شكراً لكِ؛ أيتهـا الفتـاة الصغيرة الجميلة. إنني الآن بخيرٍ، وأشعر بالدفء، وسـوف أستعيد قوأي قريباً، وأتمكن من أن أطير مرةً أخـرى فـي ضوء الشمس الدافئ"، فقالت: "وا أسفاه! إنك لابـد مـن أن تنتظر بعض الوقت. فالدنيا الآن باردةٌ تماماً فـي الخـلاء، والثلج يتساقط، والماء يتجمد. ولابد أن تبقـي فـي فراشـك

الدافئ وسوف أعنى بك". ثم أحضرت له بعض الماء في ورقة زهرةٍ. وعندما شربها؛ روى لها كيف جرح أحد جناحيه بشوكة شجيرةٍ، فلم يستطع أن يطير بنفس سرعة عصافير الجنة الأخرى، وقص عليها كيف طارت بدونه بعيداً، وكيف سقط مغمى عليه فوق الأرض. ولم يستطع أن يتذكر أكثر من هذا، ولم يعرف كيف اتفق أن يكون في الموضع الذي كان يرقد فيه وقتذاك.

وظل عصفور الجنة طوال الشتاء تحت الأرض، وكانت عقلة الإصبع تقوم بتمريضه بعنايةٍ فائقةٍ وحنانٍ زائدٍ. ولم تقل كلمةً واحدةً عن عصفور الجنة العليل للخلد أو لفأرة الحقل، فما كانا يحبان العصافير. وسرعان ما أقبل الربيع، وأدفأت الشمس الأرض، وودع عصفور الجنة ممرضته الصغيرة الحنون. وفتحت الثقب الموجود في السقف الذي كان الخلد قد صنعه؛ فتدفقت أشعة الشمس الرائعة إلى الممر، ورجاها عصفور الجنة أن تذهب معه بعيداً عن المكان. وقال لها إن في وسعها أن تجلس على ظهره، وأنه سوف يطير بها بعيداً إلى الغابات الخضراء. ولكن الفتاة الصغيرة عرفت

أن فأرة الحقل العجوز سوف تغضب إذا تركتها بهذه الطريقة؛ فقالت له: "لا؛ إنني لا أستطيع أن أجيء معك".

فقال عصفور الجنة: "إذن؛ فوداعاً... وداعاً؛ أيتها العزيزة الصغيرة الجميلة"، وطار بعيداً في ضوء الشمس. وأخذت عقلة الإصبع تحدق وراءه، وترقرقت الدموع في عينيها؛ فقد أحبت حبا جما عصفور الجنة الذي أنقذت حياته. وغرد العصفور؛ وهو يطير بعيداً في الغابات الخضراء، وقال: "يا للفرحِ؛ يا للفرحِ!".

أما عقلة الإصبع المسكينة؛ فقد كانت حزينةً؛ إذ إنها لم تستطع أن تخرج للاستمتاع بأشعة الشمس الدافئة؛ لأن القمح الذي كان الفلاح قد زرعه في الحقل فوق جحر فأرة الحقل كان قد نما، واستوى عالياً على سوقه؛ بحيث بدا للفتاة الصغيرة غابةً شاهقةً مسدودةً. وقالت لها فأرة الحقل ذات يومٍ: "والآن؛ حان الوقت لتتزوجي يا عقلة الإصبع؛ فقد خطبك جاري الخلد. ويا لها من فرصة سعيدةٍ لفتاةٍ مسكينةٍ مثلكِ! وعليكِ البدء فوراً في إعداد ملابس عرسكِ، ويجب أن يكون لديكِ ملابس من الصوف والكتان على السواء؛ لأنه يجب ألا ينقص شيء في الجهاز اللازم لعروس الخلد!".

وكان على عقلة الإصبع أن تعكف على العمل بالمغزل، واستأجرت فأرة الحقل أربعة عناكب لكي تنسج ليلاً ونهاراً. وفي كل مساءٍ؛ كان الخلد يأتى للقيام بزيارته، وكـان دائمـاً يتحدث عن الوقت الذي ينتهي فيه فصل الصيف. وقال إنهما عندئذٍ سوف يتزوجان. وكانت الشمس حتى هذا الوقت ترسل شواظاً من نارٍ؛ فأحرقت الأرض، وجعلتهـا صـلبةً مثـل الحجر. ولكن الفتاة الصغيرة لم تكن سعيدةً على الإطلاق، إذ كانت ترى أن الخلد ثقيل الظل، ولم تكن تحبه. وفي الصباح عندما كانت تشرق الشمس، وفي المسـاء عنـدما تغـرب؛ اعتادت أن تزحف خارجةً إلى الباب. وعندما كانت الـريح تحرك سنابل القمح جانباً؛ فتستطيع أن تلمح السماء الزرقاء؛ اعتادت أن تفكر في مدى جمال الدنيا في الضـوء، وكانـت تتوق لرؤية عزيزها عصفور الجنة مرةً أخرى. ولكنه لم يعد أبداً؛ لأنه كان في ذلك الوقت قد طار بعيداً؛ بعيداً جدا إلـى الغابات الخضراء.

وعندما جاء الخريف؛ كانت عقلة الإصبع قـد أعـدت جهاز عرسها؛ فقالت فأرة الحقل: "حسناً؛ يا عقلة الإصـبع؛ إنكِ في خلال شهرٍ من الآن سوف تتزوجين". ولكن الفتـاة

صرخت، وقالت إنها لن تتزوج من الخلد ثقيل الظل. فقالـت الفأرة: "هراء؛ هراء! لا تكـوني حمقـاء وإلا عضضـتكِ بأسناني البيضاء. إن الخلد سوف يكون زوجاً وسـيماً لـكِ؛ فالملكة نفسها لا ترتدي معطفاً مخملياً جميلاً أسود مثل هذا. وإلى جانب ذلك؛ فإن لديه مطبخاً كـاملاً وخزانـة مـؤنٍ. وينبغي أن تحمدي الله على حسن طالعكِ".

وأخيراً؛ جاء يوم الزفاف. وجاء الخلد ليأخذ عروسـه. وكان على عقلة الإصبع أن تذهب وتعيش معه فـي مكـانٍ سحيقٍ تحت الأرض، وألا ترى الشمس الدافئة مرةً أخـرى؛ لأنه كان لا يحبها. وكانت الفتاة الصغيرة المسـكينة حزينـةً جدا للتفكير في أنها سوف تودع الشمس الجميلة. ولما كانت فأرة الحقل قد سمحت لها بأن تقف عند الباب؛ خرجت لكـي تتطلع إلى الشمس مرةً أخرى، وتقول لها وداعاً. وصـاحت؛ وهي تمد ذراعيها نحوها: "وداعاً؛ أيتها الشـمس المشـرقة العزيزة!"، ثم سارت مبتعدةً قليلاً عن البيت؛ لأن القمح كـان قد حصد، ولم يبق في الحقول سوى القـش. وقالـت مـرةً أخرى؛ وهي تطوق بذراعيها زهرةً صغيرةً حمـراء نبتـت

بجوارها: "وداعاً! بلغي حبي لعصفور الجنة إذا مـا وقعـت عليه أنظارك مرةً أخرى".

وفجأةً؛ سمعت صوت زقزقةٍ: "سق؛ سق"، فتطلعت إلى أعلى. وهناك؛ كان عصفور الجنة نفسه يطير ماراً بالمكان. وحالما وقعت أنظاره على عقلة الإصبع؛ طار إليها في جذلٍ، فروت له قصتها، وكيف أنه تقرر أن تتزوج قسراً من الخلد الغبي، وأن تعيش دائماً تحت الأرض، وألا ترى أبداً الشمس المشرقة مرةً أخرى. وبينما كانت تروي له قصة زواجها؛ لم يتمالك نفسه من البكاء. وقال عصفور الجنـة: "إن الشـتاء البارد يوشك أن يجيء الآن. وأنا سوف أطير بعيداً إلى بلـدٍ دافئ. فهل لكِ أن تأتي معي؟ إن في وسعكِ أن تجلسي على ظهري، وأن تربطي نفسكِ عليه بحزامكِ. وعندئـذٍ؛ سـوف نطير بعيداً عن الخلد الدميم وعن بيته الكئيب، ونطير بعيـداً فوق التلال إلى بلادٍ أشد دفئاً... بلادٍ تسطع فيهـا الشـمس، وتكون أكثر إشراقاً مما هي عليه هنا، وحيث توجد أزهـار جميلةٌ، وحيث نستمتع دائماً بالصيف. هيا طيري معـي الآن يا عزيزتي عقلة الإصبع. لقد أنقذتِ حياتي عندما كنت أرقد متجمداً هناك في النفق المظلم".

قالت الفتاة الصغيرة: "أجل؛ سـآتي معـك". وعندئـذٍ؛ جلست على ظهر العصفور، وقدماها مستندتان على جناحيه الممدودتين، وثبتت حزامها إلى إحدى ريشاته القوية، وحلـق عصفور الجنة عالياً في الهواء، وطار بسرعةٍ فـوق الغابـة والبحيرة، وفوق الجبال المغطاة بالجليد. وكانت عقلة الإصبع حريةً بأن تتجمد، ولكنها زحفـت تحـت الـريش الـدافئ للعصفور، وأخذت تختلس النظر بين الفينة والفينة حتى تلقى نظرةً خاطفةً على البلاد الجميلة التـي كانـا يمـران بهـا. وأخيراً؛ وصلا إلى البلاد الدافئة التي تشرق فيهـا الشـمس بنورٍ ساطعٍ أشد، والتي تبدو فيها السماء أعلى عـن الأرض بما يبلغ الضعف. وهناك؛ إلى جانب الطرق وعلى السـياج؛ تنمو أعناب أرجوانيةٌ وخضراء وبيضاء، وليمـون أصـفر باهتٌ، وبرتقالٌ ذهبي اللون؛ تتدلي من الأشجار في الغابات. وكان الهواء عاطراً بشذا الآس والبلسان، وعلى طول دروب الريف يجري أطفالٌ ذوو حسنٍ وجمالٍ؛ وهـم يلهـون وراء فراشاتٍ كبيرةٍ زاهية الألوان. وكلما طار عصفور الجنة إلى مسافةٍ أبعد؛ بدا كل المكان أكثر جمالاً.

وأخيراً؛ جاءا إلى بحيرةٍ زرقاء جميلـةٍ؛ إلـى جانبهـا انتصبت قلعةٌ من الرخام الأبيض الصافى، تظللهـا أشـجار خضراء فخمةٌ. وكانت بناء قديماً تلتف حول أعمدته العاليـة أوراق الكروم. وكانت في أعلاها أعشاشٌ عديدةٌ لعصـافير الجنة؛ كان أحدها هو عش عصفور الجنة الذي حمل عقلـة الإصبع. وقال عصفور الجنة: "هذا هو بيتى، ولكنه لا يصلح لأن تعيشى فيه هنا... فهل لك أن تختارى لنفسك إحدى تلك الأزهار الجميلة؟ وسوف أضعك عليها. وعندئذ؛ سوف يكون لديك كل شئ يمكن أن تشتهيه ليجعلك سعيدة". فصاحت الفتاة الصغيرة: "سيكون ذلك ممتعاً لى"، وصفقت بيديها جذلاً.

وكان على الأرض عمود من الرخام؛ سقط مـن قبـل وتحطم إلى ثلاث قطعٍ. ونبتت بين القطع أجمـل الأزهـار الكبيرة البيضاء؛ فطار عصـفور الجنـة بعقلـة الإصـبع، ووضعها على إحدى أوراق الأزهار العريضة. ولكـن كـم كانت دهشتها عظيمةً؛ عندما رأت في وسط الزهرة رجـلاً صغيراً ضئيل الجسم؛ له بشرةٌ بيضاء وشفافةٌ مثل الزجـاج. وكان على رأسه تاج جميلٌ من الذهب، وعلى كتفه جناحـان رقيقان. ولم يكن حجم جسمه يزيد كثيراً على حجـم جسـم

الفتاة الصغيرة نفسها. إنه عفريت الزهرة؛ ففي كـل زهـرةٍ يعيش عفريتٌ وعفريتةٌ. وكان هذا هو ملك عفاريت الأزهار.

وهمست عقلة الإصبع تقول لعصفور الجنة: "أوه؛ كـم هو جميلٌ!".

وقد فزع ملك عفاريت الأزهار الصغيرة في مبدأ الأمر من العصفور؛ فهو إذا قورن برجل ضئيل الحجم مثله يعتبر عملاقاً. ولكن عندما رأي عقلة الإصبع فتن بها؛ إذ إنه لم ير قط فتاةً جميلةً مثلها. وأخذ التاج المصنوع من الـذهب مـن فوق رأسه ووضعه على رأسها، وسألها عن اسمها، وطلـب إليها أن تتزوجه، وتصبح ملكة كل الأزهار. وليس من شـك في أن هذا كان ضرباً مختلفاً تماماً من الأزواج؛ لا يشبه ابن الضفدعة البرية أو الخلد بمعطفه المخملي الأسـود، فقالـت للأمير الوسيم خطيبها الجديد: "إني أقبل". وعندئذٍ؛ تفتحت كل الأزهار، وخرج من كل زهرةٍ سيدةٌ وسيد. وكـانوا جميعـاً يتمتعون بالرشاقة، تقر العيون برؤيتهم. وأحضر كل مـنهم هدية لعقلة الإصبع، ولكن الهدية التي أحبتها أكثر من غيرها كانت جناحين أبيضين جميلين لذبابةٍ كبيرةٍ بيضاء. وعنـدما

ثبت هذان الجناحان إلى كتفيها؛ استطاعت أن تطير من زهرةٍ إلى زهرةٍ.

ثم كانت هناك أفراح عظيمةٌ، وطلب إلى عصفور الجنة الذي كان يجلس في عشه أعلى الشجرة أن يغرد أغنية من أغاني الأعراس. فغنى وأجاد بقدر ما استطاع، ولكنه كان في قرارة قلبه حزيناً؛ لأنه كان مغرماً جدا بالفتاة الصغيرة، وكان يراوده أملٌ في ألا يفترق عنها أبداً.

وقا عفريت الزهرة لها: "يجب ألا يطلق عليك بعد ذلك اسم عقلة الإصبع؛ فهو اسم قبيح، وأنتِ جميلةٌ جدا. إننا سوف ندعوكِ الثريا. وغرد عصفور الجنة قائلاً؛ وقلبه ملىء بالحزن وهو يغادر البلاد الدافئة: "وداعاً؛ وداعاً"، وطار مبتعداً إلى بلاد الشمال الباردة. وهناك؛ كان له عشٌ خارج نافذة رجلٍ يستطيع أن يروى حكايات جانٍ. وغنى له عصفور الجنة: "سق؛ سق".

وهكذا قدر لنا أن نسمع القصة كاملةً.

رفيقُ السفر

اغتم چوهانس المسكين غما شديداً؛ لأن والده مريض لا يرجى شفاؤه. ولم يكن هناك في الحجـرة الصـغيرة غيـر الاثنين، وضوء المصباح على المنضدة يتـراقص، ويخفـت شيئاً فشيئاً، وذلك في ساعةٍ متأخرةٍ من الليـل. وقـال الأب المريض: "لقد كنت ابناً باراً يا چوهـانس، ولا شـك أن الله سوف يعينك على الحياة".

وتفرس فيه بعينين حانيتين تنم نظراتهما عن التفكيـر، وزفر زفرةً عميقةً، ثم مات... وإن بدا كما لو أنه قد ذهـب لينام؛ ولكن چوهانس بكى؛ لأنه لم يعد هناك أحد يؤنسه فـي العـالم الفسـيح... لا أب، ولا أم، ولا أخـتٌ، ولا أخٌ. يـا لچوهانس المسكين! لقد ركع بجانب الفراش، وقبل يـد أبيـه الميت، وذرف دموعاً غزيرةً مريرةً! ولكنه أغمض عينيـه أخيراً، واستغرق في النوم؛ مسـتنداً إلـى عمـود السـرير الصلب. ثم رأي حلماً غريباً.

وخيل إليه أن الشمس والقمر قد هبطا إليه، ورأي والده؛ وقد عاد صحيحاً معافى، وسمعه يضحك كما اعتاد أن يفعـل

عندما يكون مبتهجاً، وقدمت له فتاةٌ جميلـةٌ يـدها؛ وعلـى شعرها الطويل اللامع تاج من الذهب، فقال أبوه: "انظر؛ أي عروس فزت بها. إنها أجمل فتـاةٍ علـى ظهـر الأرض". وعندئذٍ؛ استيقظ، فاختفت كل هذه الأشياء الجميلة، وها هو ذا أبوه يرقد جثةً هامدةً باردةً في فراشه، ولـيس هنـاك أحـد بالقرب منه. يا لچوهانس المسكين!.

وفي الأسبوع التالي؛ دفن الميت. وسار الابن عن كثب وراء النعش؛ لأنه لن يرى ثانيةً أباه الذي أحبه حبا جما أبداً؛ ورآهم يهيلون التراب على النعش، ومع ذلـك رأي جـزءاً صغيراً منه لا يزال مكشوفاً؛ بيد أن هذا اختفى؛ عندما أهيل عليه بعد ذلك ملء جاروفٍ من التراب. عندئذٍ؛ شعر كـأن قلبه يتحطم، وسحقه الألم والغم. وردد المشيعون آياتٍ حول القبر، وكان وقع ذلك رائعاً؛ إلى حد جعل الدموع تنثال مـن عينى چوهانس. وبكي وشعر بأنه قد سـرى عـن نفسـه. وأشرقت الشمس بأشعتها البهية على الأشجار الخضراء؛ كما لو كانت تريد أن تقول: "يجب ألا تحزن وتنوح يا چوهـانس ألا ترى كم تبدو زرقة السماء هناك جميلةً! إن أبـاك فـي الجنة، وهو يتضرع إلى الله الـرحيم أن يوفقـك فـي كـل

الأوقات"!، فقال چوهانس: "سوف أكـون صـالحاً دائمـاً. وعندئذٍ؛ سوف ألحق بأبى في الجنة . ويا لفرحتـى عنـدما ألتقى به مرةً أخرى! فما أكثر ما سأقوله لـه، ومـا أكثـر المعلومات التي سوف يقدمها لي عن مباهج النعيم. تمامـاً؛ كما اعتاد أن يلقننى وهو هنا على ظهر الأرض. أواه؛ وأي فرحةٍ ستغمرنى وقتذاك!".

وارتسمت في ذهنه صورة هذا بوضوحٍ حتى ابتسم؛ في الوقت الذي كانت فيه الدموع تسيل علـى خديـه. وظلـت العصافير فوق أشجار الكستناء تغرد قائلة: "سق؛ سق". لقـد كانت جذلةً، على الرغم من حضورها الجنازة، ولكنها كانت تعلم أن المتوفي في الجنة الآن، وأنه سعيد؛ لأنه كان رجـلاً صالحاً هنا على ظهر الأرض؛ ومـن ثـم؛ فإنهـا كانـت مسرورة. ورأي چوهانس كيف كانت تطير مـن الأشـجار الخضراء إلى العالم الفسيح، وعندئذٍ تمنـى أن يطيـر هـو أيضاً. ولكنه اقتطع بضع أزهارٍ ليضعها على قبـر والـده. وعندما أتى بها إلى هناك في المساء؛ وجد أن القبر قد زيـن بالحصى والأزهار وقد قام بهذا العمل غرباء؛ ممـن كـانوا يقدرون الرجل الجليل الذي رحل إلى مقره الأخير.

وفي وقتٍ مبكرٍ من صبح اليوم التالي؛ حزم چوهـانس حاجياته القليلة، ووضع في كيسه كل ما تركه له أبـوه مـن ميراثٍ؛ يتألف من خمسين درهمـاً مـن القطـع الذهبيـة، وقطعتين من الفضة؛ كان يعتزم أن يطوف بها العالم؛ ولكنه أولاً وقبل كل شيء عاد إلى قبر والده، ثم قـال: "وداعـاً!". وفي الخارج؛ في الحقول التي مر بها؛ كانت كـل الأزهـار تبدو ناضرةً جميلةً في ضوء الشمس الدافئة. وقد أومأت إليه برؤوسها في الريح؛ كما لو كانت تقصد أن تقول: "مرحباً بك في الغابة الخضراء! أليست الـدنيا بهيجـةً هنـا؟". ولكـن چوهانس استدار ليلقى آخر نظرةٍ على الحديقة التي اعتاد أن يذهب إليها مع أبيه كل يوم أحدٍ، فلاحـظ وجـود العفريـت الصغير الخاص بها في أحد أركانها، وكان هـذا العفريـت يقف؛ وعلى رأسه قلنسـوته المدببـة الحمـراء الصـغيرة، ويحجب طلعته بذراعه حتى لا تندفع أشـعة الشـمس إلـى عينيه. وأومأ چوهانس برأسه له مودعاً؛ فلوح له العفريـت الصغير بقلنسوته الحمراء، ووضع يده على قلبه، ثم قبل يده، وهو يلوح له بها ليريه أنه شديد الميل إليه، وتمنى له رحلـةً موفقةً.

وأخذ جوهانس يفكر في الأشياء العديدة التي يجب عليه أن يراها في العالم الفسيح؛ وهو حقا واسع ورائع. ومضى يسير إلى مواضع أبعد كثيراً مما وصل إليها من قبل. ولم يكن يعرف الأماكن التي مر بها، ولا الناس الذين قابلهم. وها هو ذا الآن خارج وطنه في بلدٍ غريبٍ.

واضطر في الليلة الأولي أن يرقد على كومةٍ من الحشيش الجاف في الحقول المكشوفة؛ لأنه لم يكن لديه فراشٌ آخر. ولكنه رأي هذا فراشاً بديعاً حقا؛ لدرجة أن الماك نفسه لا يستطيع أن يكون أحسن منه حالاً. فلا شك أن الحقل، وكومة الحشيش الجاف وفوقها السماء الزرقاء؛ كانت بمثابة غرفة نومٍ رائعةٍ جدا. فالحشيش الأخضر المنقط بأزهارٍ صغيرةٍ حمراء وبيضاء؛ كان بمثابة السجادة. أما شجيرات البلسان وسياج الأزهار البرية؛ فكانت كأنها طاقاتٌ من الزهر تزين الغرفة، وكان حوض غسيله أشبه ما يكون بالجدول بمياهه الصافية النقية؛ حيث كانت القصبات تومئ إليه برأسها لتقدم له تحية المساء وتحية الصباح. أما القمر؛ فكأنه مصباح كبير يرسل ضوءه من مكانٍ عالٍ في السقف الأزرق؛ وهو مصباح لا يمكن أن يشعل النار في الستائر.

ولهذا؛ يستطيع أن ينام چوهانس في هدوءٍ؛ وهو مـا حققـه بالفعل؛ ولم يستيقظ إلا عندما أشـرقت الشـمس. وأخـذت العصافير الصغيرة كلها تغرد حوله قائلةً: "صـباح الخيـر! صباح الخير! ألم تنهض بعد؟".

وكانت هناك ساحةٌ بها قبور عديدةٌ؛ بعضها نمت عليـه بغزارةٍ حشائش عاليةٌ جدا. فأخذ يفكر في أن قبر أبيه سوف يصبح تدريجياً هكذا؛ ليبدو مشابهاً لها في النهاية، وأنه لـن يكون هناك ليطهره من الأعشاب ويزينه. وعلى هذا؛ عكف على العمل، وانتزع العشب، واستبدل به الأكاليل التي كانت الريح قد أزالتها، وكان طوال الوقت يقول لنفسه: "من يدرى، ربما يفعل شخص ما نفس الشيء لقبر والـدى؛ إذ إنـي لا أستطيع أن أتعهده وأرعاه".

ووجد چوهانس شحاذاً عجوزاً يتوكـأ علـى عكـازةٍ؛ فأعطاه قطعتيه الفضيتين، ثم مضى في طريقه؛ وهـو أشـد جذلاً وسعادةً مما كان عليه من قبل.

وعند اقتراب المساء؛ هبت عاصفةٌ شديدةٌ؛ جعلته يبادر بالبحث عن ملاذٍ يقيه شرها. وسرعان ما حل الظلام، ولكنه

أخيراً وصل إلى كنيسةٍ صغيرةٍ منعزلةٍ تقف منتصبة على تل صغيرٍ.

وقال؛ وهو يدخلها: "سآوى إلى ركن منها؛ فأنا متعـب جدا، وفي حاجةٍ إلى الراحة". ثم جلس وعقد ذراعيـه معـاً؛ وأخذ يدعو الله. وقبل أن ينهي دعاءه، استغرق فـي النـوم، وأخذ ينعم بالأحلام؛ في الوقت الذي كانـت فيـه العاصـفة الرعدية تزأر مزمجرةً في الخارج.

ولما استيقظ من النوم في منتصف الليل؛ وجد العاصفة الرهيبة قد سكنت، والقمر يسطع بنوره من خـلال النافـذة ليحييه. وفي وسط الساحة؛ كان هناك نعشٌ مفتوح ترقد فيـه جثة رجلٍ في انتظار أن يثوى في اللحد. ولم يكن جوهـانس خائفاً؛ لأنه لم يرتكب ما يؤنبه عليه ضميره. وفضـلاً عـن هذا؛ فإنه كان يعـرف أن الميـت لا يـؤذى أحـداً أبـداً؛ فالأشخاص الأحياء الأشرار وحدهم الذين يـؤذون النـاس. وكان هناك شخصان شريران يقفان بجوار الرجـل الميـت الذي يرقد في انتظار دفنه؛ وقد أراد أن ينفثا عن حقدهما بألا يتركاه يستريح في نعشه، وأن يلقيا بجثمانه المسكين خـارج الساحة.

فسأل چوهانس: "لماذا تريدان أن تفعلا هذا؟ إنـه شـر مستطير؛ دعوه يسترح في سلامٍ". وقال الرجلان البشـعان: "أواه؛ هذا كلام تافه، وهراء لا معنى له. لقد خـدعنا. وهـو يدين لنا بمبلغ من المال لم يستطع أن يدفعه لنا، وها هو الآن قد مات دون أن نتفق على هذا، ولن نسـترد منـه درهمـاً واحداً! ومن ثم؛ فإننا سوف ننتقم منه، ولسوف يرقد خـارج الساحة كالكلب. فقال چوهانس: "ليس لدى شيء أملكه فـي العالم سوى خمسين قطعةً من القطع الذهبية؛ هي كل ما أملك من مالٍ. ومع ذلك؛ فإنني سوف أعطيها راضياً لكما؛ بشرط أن تعدإني حقا بأن تتركا الرجل المتوفي في سلامٍ. وسـوف أدبر شئونى بدون المال؛ فيدأي ورجلأي قويةٌ وسليمةٌ، والله الرحيم سوف يعيننى في أوقات الحاجة!". فقـال الـرجلان الشريران: "إنك إذا ما سددت دينه؛ فبكل تأكيدٍ لن يمد أحـد منا إليه أنملة بالأذى... يمكنك أن تثق بذلك". وأخذا النقـود التي أعطاهما إياها، وضحكا بصوتٍ عـالٍ سـاخرين مـن سذاجته، وانطلقا إلى حال سبيلهما.

وعندئذٍ؛ أعاد الجثة في حرص إلى النعش، وثنى يـدى الرجل الميت، وودعه وواصل طريقه خلال غابـةٍ كبيـرةٍ؛

وعقله مشتتٌ تتنازعه الأفكار. وفي كل مكانٍ حوله؛ أينما كان القمر يسطع بنوره خلال الأشجار؛ كان يرى عدداً من العفاريت الصغيرة الظريفة؛ وهي تلهو، ولم يزعجها وجوده لأنها عرفت أنه إنسان طيب لا يؤذى أحداً؛ ذلك لأن الأشخاص الأشرار وحدهم هم الذين لا يوهبون حق رؤية العفاريت. وكان بعضهم لا يزيد في الطول على عرض إصبع المرء، ويصففون شعرهم الطويل الأصفر مثبتاً بأمشاطٍ من الذهب، ويؤرجحون أنفسهم اثنين اثنين على قطرات الندى الكبيرة التي تلمع على أوراق الأشجار والحشائش الطويلة. وكانت قطرات الندى بين آن وآخر تتدحرج بعيداً؛ فيسقطون بين نصال النبات الطويلة؛ فيثير هذا قدراً كبيراً من الضحك، ويشيع المرح بين القوم ضئيلي الحجم؛ وقد كان هذا منظراً جميلاً. ثم أخذوا يغنون، وتعرف جوهانس في أغانيهم بوضوحٍ على كل الأغاني الجميلة التي كان قد تعلمها؛ وهو بعد صبي صغير. وكانت عناكب مرقطةٌ قد شرعت في بناء جسورٍ وقصورٍ معلقةٍ من سياجٍ إلى آخر؛ كانت عندما تزينها قطرات الندى تلمع مثل الزجاج في ضوء القمر. واستمرت أعمال المجون حتى شروق

الشمس. وعندئذٍ؛ زحف العفاريت الصغار إلى براعم الأزهار، واستولت الريح على جسورهم، وطرحتها في الهواء؛ كأنها نسيج عنكبوتٍ.

وكان جوهانس يوشك أن يتحرك في الغابة؛ عندما صاح رجلٌ يناديه بصوتٍ رنانٍ: "قف؛ يا أيها الرفيق هناك! إلى أين أنت ذاهب؟"، فقال: "إنني أسير في العالم الفسيح؛ فليس لي أب ولا أم، وأنا ولد مسكين؛ وإن كنت على يقين أن الله سوف يعيننى في وقت الحاجة". فقال الغريب: "وأنا كذلك أسير في العالم الفسيح؛ فهل لي أن أصاحبك؟". فقال: "بكل سرور"؛ وعلى هذا سارا معاً. وسرعان ما شعرا بأن كلا منهما يكن مودةً للآخر؛ لأنهما كانا طيبين. إلا أن جوهانس سرعان ما اكتشف أن الغريب أكثر منه حكمةً؛ فقد سافر إلى أرجاء العالم بأسره تقريباً، وكان في وسعه أن يتحدث عن كل شيء موجودٍ فيه.

كانت الشمس عاليةً تتوسط السماء؛ عندما جلسا تحت شجرةٍ ليتناولا طعام إفطارهم؛ في نفس الوقت الذي كانت فيه امرأةٌ عجوز في سبيلها إليهما. وكانت طاعنةً جدا في السن، ويكاد ظهرها يكون مقوساً، وتستند إلى عكازةٍ، وتحمل على

ظهرها حزمةً من حطب جمعته من الغابة. كان مئزرها مثنياً إلى أعلى؛ فرأي چوهانس ثـلاث عصـى مـن السـرخس وغصون الصفصاف تبدو بارزةً عند كل طرف منها.

وعندما دنت تماماً من المسافرين بطلي قصتنا؛ زلـت قدمها فسقطت؛ وهي تطلق صرخةً عاليةً؛ لأن ساقها كسرت؛ فيا للمرأة العجوز المسكينة! واقترح چوهانس في الحـال أن يحملا المرأة العجوز إلى البيت، ولكن الغريب فتح حقيبتـه التي يحملها على ظهره، وأخرج منها علبة، وقـال إن لديـه مرهماً سيجعل في الحال كسر رجلها يلتئم؛ لتعود مرةً أخرى صحيحةً متينةً جدا، وتكون قادرةً على أن تمشى وحدها إلى البيت؛ كما لو أن الحادث لم يقع لها أبداً، وليس عليها مقابـل هذا سوى أن تعطيه العصى الثلاث التي تحملها في مئزرها. فقالت المرأة العجوز؛ وهي تومئ برأسها بطريقـةٍ خاصـةٍ: "إن ذلك سوف يكون أجراً عظيماً"؛ فقد كانـت لا تحـب أن تتخلي عن العصى، ولكن من جهةٍ أخـرى لـم يكـن مـن المستحب أن ترقد هناك؛ وساقها مكسورةٌ. وعلى هذا؛ فإنها أعطته العصى، وفي اللحظة التي دلك فيهـا رجـل المـرأة العجوز بالمرهم نهضت ومشت بصورة أفضل ممـا كانـت

عليه من قبل. تلك كانت آثار المرهم؛ وهو في الحقيقـة لـم يكن من النوع الذي يمكن شراؤه من حانوت بائع العقـاقير. وسأل چوهانس رفيقه في السفر: "ماذا تريد أن تفعـل بهـذه العصى؟"، فقال: "إنها ثلاث مقشاتٍ جميلةٍ جدا، وهي تعجبنى لإنني شخص أحمقُ".

ثم أخذا يتقدمان، وقطعا مسافةً لا بـأس بهـا، وقـال چوهانس وهو يسير: "انظر كيف تبدو السماء ملبدةً بالغيوم. إن هذه سحب كثيفةٌ تثير الذعر". فقال رفيق السفر: "لا؛ إنها ليست سحباً؛ بل هي جبالٌ ضخمةٌ عظيمةٌ؛ من قمتها يمكـن للمرء أن يطل على السحب، ويستنشـق الهـواء المـنعش. وصدقنى؛ فإن الوقوف هناك أمر يشـرح الصـدر. وغـداً؛ سوف نكون بكل تأكيدٍ بعيدين عن هذا المكان؛ فـي العـالم الفسيح".

ولكنهما لم يكونا قريبين جدا من الجبال كما تخيلا؛ فقـد استغرق الأمر منهما يوماً كاملاً قبل أن يصلا إليها؛ حيـث كانت الغابات السوداء ترتفع شامخةً حتى تصل إلـى عنـان السماء، وحيث توجد كتلٌ من الحجر في ضخامة حجم مدينةٍ كبيرةٍ. وبدا أنه من الصعب إلى حد ما الاضـطلاع بمهمـة

عبورها. ومن ثم؛ فإن ﭼوهانس ورفيقه في السفر عرجا إلى داخل خانٍ لكي يستريحا، ويستجمعا قواهما للرحلة القصيرة التي سوف يقومان بها في اليوم التالى. وكان هناك عدد من الأشخاص احتشدوا في الخان؛ لأن رجلاً كان يقدم عرضـاً مسرحيا للعرائس. وكان قد أقام تواً مسرحه الصغير؛ والناس يجلسون حوله ليشاهدوا المسرحية. ولكن في المقدمة تمامـاً جاس قصاب بدين في أحسن مكانٍ؛ بينما جاس بجانبه كلبـه الضخم الذي كان يبدو عضاضاً بصورةٍ غريبةٍ؛ وهو يحملق مثل بقية المتفرجين.

وبدأت المسرحية الآن. وكانت رائعةً جدا؛ فيهـا ملـك وملكةٌ يجلسان على عرش فاخرٍ؛ وعلى رأسيهما تاجان مـن الذهب، ولرداءيهما ذيلان طويلان يتدليان على الأرض؛ لأن وسائلهما كانت تسمح لهما بأن ينعما بمثل هذا البذخ والترف. وكانت أجمل العرائس الصغيرة بعيونها الزجاجية وشواربها الضخمة تقف عند كل الأبواب وتفتحها وتغلقها؛ لكي يـدخل الهواء الطلق. كانت مسرحيةً لطيفةً جدا، ولم تكـن محزنـةً على الإطلاق. ولكن؛ عندما كانت الملكة تنهض وتمر عبـر خشبة المسرح؛ لم يكن هناك أحد يعرف ما كان يـدور فـي

رأس الكلب الضخم. ونظراً لأن القصاب لم يعد يمسك بـه؛ قفز رأساً إلى خشبة المسرح، وأمسك بالملكة من خصـرها النحيل، فانكسرت بصوتٍ مسموعٍ مرةً ثم مرةً. وكان سماع هذا الصوت أمراً مخيفاً تماماً.

وفزع الرجل المسكين الذي يقدم العرض، وحزن لفقـد ملكته؛ لأنها كانت أرشق العرائس في ذخيرته؛ إذ إن الكلـب الضخم نهش رأسها؛ فأطاح بها. ولكن عندما انسـحب بقيـة المتفرجين؛ قال الغريب الذي كان يسافر مع چوهـانس إنـه سوف يصلحها برمتها، وأخرج علبته، وطلي العروسة بنفس المرهم الذي كان قد أبرأ به الساق المكسورة للمرأة العجوز. وفي اللحظة التي فعل فيها هذا؛ غدت الدمية سـليمةً مـرةً أخرى، واستطاعت أن تحرك وحدها جميع أطرافها، ولم تعد في حاجةٍ إلى أن تجذب بأسلاكٍ. وكانت الدمية أشبه ما تكون بإنسانٍ؛ لا ينقصها إلا أن تتكلم. وسر الرجـل الـذي يقـدم العرض سروراً عظيماً؛ لأنه لم يعد في حاجةٍ إلى أن يمسك بهذه الدمية التي تستطيع أن ترقص من تلقاء نفسها؛ وهو أمر لا تستطيع أن تفعله أية دميةٍ من العرائس الأخرى.

وفي ساعةٍ متأخرةٍ من الليل؛ عندما آوى كل الناس في الخان إلى الفراش؛ سمع أحدهم وهو يزفر زفرةً شديدةً مفزعةً من شدة الحزن، وتكرر منه هذا؛ إلى حد أن كل المقيمين بالخان نهضوا ليروا ما حدث. وذهب الرجل الذي يقدم العرض إلى مسرحه الصغير؛ لأن الزفرات كانت تصدر من هناك. وكانت كل العرائس الخشبية مستلقيةً في كومٍ. وكان الملك وحارسه الخاص هما اللذان يتنهدان بطريقةٍ تثير الإشفاق، ويحملقان بعيونهما الزجاجية؛ لأنهما كانا يريدان أن يطلي جسداهما قليلاً بالمرهم مثل الملكة؛ لكي يستطيعا أن يتحركا وحدهما. وركعت الملكة ورفعت تاجها الجميل، وقالت: "خذ هذا؛ على أن تقوم بطلاء زوجي وحاشيتي". وعندئذٍ؛ لم يستطع الرجل المسكين الذي يقدم العرض أن يمنع نفسه من البكاء؛ لأنه كان حقا حزيناً من أجل عرائسه. وفي الحال؛ وعد رفيق چوهانس في السفر بأن يعطيه كل ما قد يكسبه من مالٍ في الليلة التالية من عرضه للعرائس إذا ما قام بطلاء أربعٍ أو خمس من أجمل عرائسه. ولكن رفيق السفر قال إنه لا يطلب شيئاً؛ سوى سيفٍ كبيرٍ كان يحتفظ به مدلي إلى جانبه. وعندما تسلمه دهن ست

عرائس؛ فرقصت في الحال برشاقةٍ عظيمةٍ؛ لدرجة أن كـل الفتيات من الأحياء اللاتى رأينها اندفعن هـن أيضـاً إلـى الرقص كذلك بدون مقاومةٍ. وبدأ الحوذى والطباخ يرقصان، ثم رقص خدم المائدة والوصيفات وكل الغرباء الحاضـرين، وكذلك الجاروف والملقط؛ إلا أن الأخير خر ساقطاً؛ عنـدما قام بأول قفزةٍ. وأمضوا في الحقيقة ليلـةً حافلـةً بالبهجـة والمرح!.

وفي صباح اليوم التالي؛ انطلق چوهانس مع رفيقه فـي السفر قبل أن ينهض أحد، وعبرا غابةً كبيرةً مـن أشـجار التنوب في الطريق إلى الجبال العالية. وصعدا إلى ارتفـاعٍ كبيرٍ؛ لدرجة أن أبراج الكنيسة تحتهما بدت لهما مثل حبـاتٍ صغيرةٍ من التوت الأزرق في الحشيش الأخضر؛ وكان فـي وسعهما أن يريا ما حولهما على بعد أميالٍ؛ وهي أماكن لـم يذهبا إليها أبداً. ولم ير چوهانس قط من قبل في وقتٍ واحـدٍ حسناً بهذه الدرجة لهذا العالم الجميل. ثم أشـرقت الشـمس وأرسلت أشعتها الدافئة من خلال الهواء الطلق القائظ. ودوت أبواق الصيادين مرددةً أصداء جميلةً بين الجبال؛ فترقرقـت عيناه بالدموع، ولم يستطع أن يمنع نفسه من الصياح: "يا الله

يا رحيم! ما أكرمك؛ إذ أنعمت علينا بكل هذه الأشياء الجميلة التي تشاهد في العالم!".

ووقف رفيقه في السفر كذلك؛ ويداه معقودتـان علـى صدره، وأخذ يحدق في الغابة والمدن التي تقع فـي ضـوء الشمس الساطعة. وفي نفس اللحظة؛ سـمعا صـوتاً جمـيلاً صادراً من فوق رأسيهما، وعندما تطلعا إلى أعلى؛ شـاهدا بجعةً كبيرةً بيضاء تحلق في الهواء، وتغرد كما لم يغرد أي طائرٍ من قبل. ولكن صوتها أخذ يخفت ويخفت إلى أن سقط رأسها، وسقطت عند أقدامهما ببطء؛ حيث خـرت البجعـة المسكينة جثةً هامدةً.

فقال رفيق السفر: "إن هذين الجناحين الجميلين الكبيرين لهذا الطائر يساويان بعض المال، ولسوف آخذهما معى. وها أنتذا ترى إنني أحسنت صـنعاً بحصـولي علـى سـيفٍ". وبضربةٍ واحدةٍ قطع الجناحين مـن جثـة البجعـة الميتـة، واحتفظ بهما. وها هما الآن يسافران. وأخذا يقطعان أميـالاً عديدةً عبر الجبال؛ إلى أن وصلا أخيراً مدينةً كبيرةً تضـم مئات الأبراج التي تلمع مثل الفضة في ضوء الشمس. وفـي

وسط المدينة؛ أقيم قصر جميلٌ من الرخام؛ سقفه من الـذهب الأحمر الخالص، وفيه يقطن الملك.

لم يهتم چوهانس بدخول المدينة مع صاحبه في الحـال؛ بل ذهبا إلى خانٍ يقع على الحدود لكي يلبسا ثيابهما؛ لأنهمـا أرادا أن يبدوا نظيفين، وهما يسيران في الشوارع. وأخبرهما صاحب الخان بأن الملك رجلٌ طيب، وأنه لم يؤذ أحداً أبـداً؛ لكن ابنته ونسأل الله أن يحفظنا! أميرةٌ شريرةٌ حقا! وكانـت رائعة الجمال، ولم تكن هناك من تفوقها جمـالاً ورشـاقةً. ولكن؛ ماذا كانت نتيجة ذلك؟ لقد كانت ساحرةً شريرةً وسبباً في أن يفقد العديد من الأمراء الأماجد حياتهم؛ فقد أذنت لكل واحدٍ أن يخطبها وأي شخصٍ يستطيع أن يتقدم إليها؛ سـواء كان أميراً أو شحاذاً؛ فالكل لديها سواء. وكان كل ما عليه أن يفعل هو أن يعرف على سبيل التخمين ثلاثة أشياء تكون قـد فكرت فيها، وتسأله عنها. فإذا نجح يحق له أن يتزوج منها، ويصبح ملكاً على كل البلاد عند وفاة والدها. ولكن إذا عجز عن معرفة الأشياء الثلاثة بالتخمين؛ فإنه يشنق أو يضـرب عنقه ويطاح برأسه. وكان أبوها الملك العجوز يساوره أشـد القلق بسبب هذا كله، ولكنه لم يستطع أن يمنعها من عملهـا؛

نظراً لأنها شريرةٌ جدا، ولأنه كان قد أعلن ذات يومٍ أنه لـن يتدخل أبداً في شئون عاشقيها، وأن لها أن تفعل بهم ما تشاء.

وفي كل مرةٍ كان يجيء أمير ليجرب حظه في عمليـة التخمين لكي يظفر بيد الأميرة؛ كان يفشل بلا شك. ومن ثم؛ كان يشنق أو يقطع رأسه. وكان كل أمير ينوى خطبتها يحذر في حينه بأن من الأسلم له أن ينصرف عن طلـب الـزواج منها. وكان الملك العجوز يصاب بغمٍ شديدٍ؛ لما يتسبب فيـه هذا من حزنٍ وتعاسةٍ، واعتاد أن يمضى كل عامٍ يوماً كاملاً هو وجنوده راكعين يبتهلون إلى الله أن يهدى الأميرة إلى ما فيه الخير، ولكنها لم تعدل عن غيهـا. واعتـادت السـيدات الطاعنات في السن؛ عندما يرتشفن الشأي أن يصبغنه بلـونٍ أسود حالكٍ؛ قبل أن يحتسينه، وكان هذا وسيلتهن في التعبير عن حزنهن، ولم يكن في وسعهن أن يفعلن أكثر من هذا.

قال چوهانس: "يا لها من أميرةٍ فظيعةٍ! إنهـا تسـتحق الضرب بالعصا؛ فسوف يفيدها هذا. ولو كنـت أنـا الملـك العجوز لضربتها منذ فترةٍ طويلةٍ". سمع هـو ورفيقـه الآن الغوغاء يهتفون خارج الخان؛ إذ كانت الأميـرة تمـر بـه، وكانت في الحقيقة رائعة الجمال؛ لدرجة أن كل إنسانٍ كـان

ينسى مدى ما تتسم به من شر؛ فيهتف مثلهم. وكانت تركب بجانبها على جيادٍ سوداء مثل الفحم اثنتا عشرة وصيفةً جميلةً يرتدين ثياباً حريرية بيضاء، ويحملن في أيديهن سنابل من الذهب. وكانت الأميرة نفسها تمتطي جواداً أصيلاً أبيض ناصعاً مثل الثلج؛ محلي بزيناتٍ من الماس والياقوت. وكان لباس ركوبها من الديباج الذهبي، والسوط الذي تحمله في يدها يبدو مثل شعاعة الشمس. وبينما كان التاج الذي على رأسها يشبه نجوماً صغيرةً تلمع في السماوات؛ كان معظمها يتألف من آلاف الأجنحة الرائعة لفراشاتٍ حيكت معاً. ومع ذلك؛ فإنه بالرغم من هذه الفخامة كلها؛ كانت هي نفسها أجمل بكثيرٍ من ملابسها.

وعندما وقعت أنظار چوهانس عليها؛ اشتد احمرار وجهه إلى أن أصبح في لون قطرةٍ من الدم، وانعقد لسانه حتى خرس تماماً؛ لأن الأميرة كانت تشبه بالضبط الفتاة الجميلة ذات التاج الذهبي التي كان رآها في الحلم؛ في الليلة التي توفي فيها والده. وأعتقد أنها أجمل الفتيات جميعاً، ولم يستطع أن يمنع نفسه من التدله في حبها. وقال لنفسه إنها لا يمكن أن تكون ساحرةً شريرةً؛ تأمر بشنق الناس أو بقطع

رؤوسهم؛ عندما يعجزون عن تخمين ما تسألهم عنه. وقـال: "ولكن طالما أن أي شخص؛ ولو كان أفقر شحاذٍ؛ له مطلـق الحرية في أن يخطبها؛ فسوف أتردد على القصر؛ لإنـي لا أستطيع أن أقاوم رغبتى في أن أفعل هذا". ونصحه كل واحدٍ من الناس بألا يحاول القيام بهذا الأمر؛ لأنه سوف يلقى حتفه لا محالة مثل الباقين. وأنذره كذلك رفيقه فـي السـفر بـأن ينصرف عما ينتوى أن يفعل، ولكن چوهانس كان على يقين من أنه سوف ينجح حتماً. ونظف حذاءه، ونفض الغبار عـن سترته بالفرشاة، وغسل يديه ووجهه ورجل بالمشط شـعره الأصفر المجعد الجميل، ثم انطلق وحده إلى المدينة، ومضى قدماً إلى القصر.

قال الملك العجوز؛ عندما طـرق چوهـانس البـاب: "ادخل". ففتح چوهانس الباب، وتقدم الملك العجوز لملاقاتـه؛ وهو يرتدي ثوبه الفضفاض، وفي قدميه نعلاه المطـرزان، وكان يضع تاجه، ويحمل في إحدى يديه صـولجانه، وفـي الأخرى الكرة. وقال وهو يضع الكرة تحت ذراعه؛ لتكـون إحدى يديه طليقة، فيمدها إلى چوهانس: "انتظر قليلاً". ولكن عندما سمع أنه جاء خاطباً ابنته؛ بدأ يبكي بكاء شديداً؛ إلـى

حد أن الكرة والصولجان سـقطا علـى الأرض، واضـطر مرغماً إلى أن يمسح عينيه بأهداب ثوبه الفضفاض. يا له من ملكٍ عجوزٍ مسكينٍ! وقال: "لا تفكر في هذا، وإلا فإنك سوف تلقى مصير كل الآخرين. تعال؛ وسوف ترى".

ثم اقتاده إلى منتزه الأميرة؛ فرأي هناك منظراً فظيعـاً! ففي كل شجرةٍ علق ثلاثةٌ من كل أربعةٍ من أبنـاء الملـوك الذين خطبوا الأميرة، وعجزوا عن تخمين ألغازها. وكانـت كل هذه الهياكل العظمية تقعقع عند هبوب أي نسمةٍ؛ فأفزعت كل العصافير، ولم تجرؤ أبداً على أن تأتي إلـى الحديقـة، وكانت كل الأزهار تستند إلى عظامٍ آدميةٍ، ويمكـن رؤيـة جماجم بشريةٍ تكشر عن أسنانها في أصص للأزهـار. لقـد كانت حديقةً غريبةً بالنسبة لأميرة.

وقال الملك العجوز: "ها أنتذا ترى أن مصيرك سيكون كالآخرين الذين تشاهد أشلاءهم. ومن ثـم؛ فـإن عليـك أن تتخلي عن المحاولة!، فأنت تجعلنى حقا تعساً جدا؛ لأن هـذا هو ما يحدثنى به قلبى"، فقبل چوهانس يد الملـك العجـوز، وأكد له أن كل شيء سوف يكون على ما يرام؛ لأنه مفتـون بالأميرة الجميلة. وبينما كانت الأميرة تمتطى صهوة جوادها

في ساحة القصر وتصحبها كل وصـيفاتها؛ خرجـا إليهـا لتحيتها، وكانت حسناء رائعة الجمال؛ لدرجة أن چوهانس لم يستطيع أن ينظر إليها؛ وهي تمد إليه يدها. وزاد تقديره لهـا أكثر مما كان يفعل من قبل، وراوده إحساس لا شك فيه بأنها لايمكن أن تكون ساحرةً شريرةً؛ كما يقول كـل النـاس... وبعدها؛ انطلقوا إلى حجرةٍ حيث قدم إليهم غلمـان صـغار حلوى وخبز زنجبيلٍ بالجوز. ولكن الملـك العجـوز كـان متوعك المزاج؛ فلم يستطع أن يأكل شيئاً علـى الإطـلاق. وفضلا عن ذلك؛ فإن خبز الزنجبيل بالجوز كان جافا صـلباً بالنسبة إليه. وتم الاتفاق على أن يعود چوهانس إلى القصـر في صباح اليوم التالي؛ عندما يجتمع القضاة والمجلس بأسره؛ ليروا ويسمعوا كيف تتم عملية التخمين. فـإذا قـدر لـه أن ينجح؛ فإن من المقرر أن يعود مرتين أخريين. ولكـن لـم يحدث قط أن استطاع أي شخصٍ أن يحل أية معضـلةٍ فـي أول مرةٍ، وكان في كل حالةٍ يفقد حياته.

ولم يساور چوهانس أي شعورٍ بالقلق بشأن ما سـوف يحدث له؛ بل إنه كان على النقيض من ذلك قرير العـين لا يفكر إلا في الأميرة الجميلة، وكان واثقاً من أن الله سـوف

يعينه في محنته. ومع ذلك؛ فإنه كان لا يعرف كيف يتحقـق هذا، وآثر ألا يثقل على نفسه بالتفكير في الموضوع. وأخـذ يتوثب في مرحٍ على طول الطريق العام؛ وهو عائـد إلـى الخان؛ حيث كان رفيقه في السفر ينتظر عودته.

ولم يستطع چوهانس أن يتوقـف عـن الإفاضـة فـي موضوع الأستقبال الكريم الذي قوبـل بـه مـن الأميـرة، والحديث في إسهابٍ عن جمالها الفائق؛ وكان يتلهف تمامـاً إلى الغد؛ عندما يذهب إلى القصر ليجرب حظه في عمليـة التخمين. ولكن رفيقه في السفر هز رأسه في حزنٍ، وقـال: "إني أتمنى لك كل توفيقٍ! لقد مكثنا معاً فترةً طويلةً، وها أنذا أفقدك حتماً! يا عزيزي چوهانس المسكين! إن في وسعى أن أبكى، ولكنى لن أفسد بهجتك في آخر مساءٍ نقضـيه معـاً. وسوف نلهو ونمرح بحق! وغداً؛ عندما نذهب سوف يكـون في استطاعتى أن أبكى؛ دون أن يقاطعنى أحد". وسمع كـل سكان المدينة في الحال أن هناك خاطباً جديـداً يطلـب يـد الأميرة، فانتشر الذعر بين الناس. وأغلق المسرح، ووضـع صانعو الفطائر الحلوة شرطاً ترمز للحداد حـول حلـواهم، وركع الملك مصلياً. وقد تسبب في هذا الحزن الاقتناع بـأن

جوهانس لن يكون مصيره أفضل من مصير كل الخـاطبين الآخرين. وحوإلى المساء؛ أعد رفيق جوهانس قـدحاً مـن العصير، وقال: "والآن؛ هيا بنا نطرب ونمرح ونشرب نخب صحة الأميرة". ولكن؛ بعد أن تجرع جوهانس قدحين؛ وجـد أن لديه ميلاً للنعاس؛ حتى إنه لم يعد في مقـدوره أن يفـتح عينيه، وسرعان ما استغرق في نومٍ عميقٍ. وعندئذٍ؛ رفعـه رفيقه برفقٍ من مقعده، ووضعه في الفراش. وعنـدما حـل الظلام؛ أخذ الجناحين الكبيرين اللذين كان قد قطعهمـا مـن البجعة الميتة، وثبتهما بإحكامٍ إلى كتفيه، ثم وضع في جيبـه أكبر عصا حصل عليها من المرأة العجوز التي كانـت قـد زلت قدمها وكسرت رجلها، وفتح النافذة، وطار فوق المدينة رأساً إلى القصر؛ حيث كن في ركنٍ علوى من المبنى تحت غرفة نوم الأميرة تماماً.

وكانت المدينة بأسرها هادئةً للغاية. وكانـت السـاعة وقتذاك تدق معلنةً الثانية عشرة إلا ربعـاً؛ عنـدما فتحـت النافذة، وخرجت منها الأميرة؛ وهي ملتفةٌ في رداءٍ أبـيض فضفاض، وكانت مزودةً بجناحين أسودين، وطـارت فـوق المدينة نحو جبلٍ عظيمٍ. ولكن رفيق السفر حرص علـى أن

يخفي نفسه عن الأنظار. وبينما كان يطير وراء الأميرة؛ أخذ يضربها بالعصا إلى أن أصابها بجـرحٍ دامٍ. فـأي رحلـةٍ غريبةٍ؛ كانت هذه خلال الهواء! وأمسكت الـريح بتلابيـب ردائها الذي انتفخ وتضخم من كل الجوانـب مثـل شـراع سفينةٍ، وسطع القمر بنوره من خلاله. وكانت الأميرة تقول؛ مع كل ضربةٍ تتلقاها من العصا: "لا شك أن السماء تمطـر برداً كثيفاً!"، وكان هذا الجو يناسبها.

وأخيراً وصلت إلى الجبل، وطرقته للدخول. وعندئـذٍ؛ صدر صوتٌ شديد مثل قعقعة الرعد عنـدما فـتح الجبـل؛ فدخلت الأميرة إلى باطنه، وتبعها رفيق السفر؛ لأنه لم يكـن في استطاعة أحدٍ أن يراه؛ فقد كان محجوباً عـن الأنظـار. وسارا في ممر طويلٍ عريضٍ؛ تتألق الجدران فيـه بلمعـانٍ شديدٍ من ضوءٍ صادرٍ من أعلى من ألف عنكبـوت بـراقٍ؛ كانت تجري إلى أعلى وإلى أسفل، وتضـيئها مثـل النـار المتأججة. ثم دخلا بعد ذلك إلى قاعةٍ فسيحةٍ مشيدةٍ بقوالـب من الفضة والذهب. وكانت هناك أزهار حمـراء وزرقـاء؛ كبيرةٌ مثل زهور عباد الشمس؛ تتألق في الجدران، ولكن لـم يكن في وسع أحدٍ أن يقطفها؛ لأن السيقان كانت أفاعى دميمةً

سامةً. وكانت الأزهار هي ألسنة اللهب التـي تلفظهـا مـن أفواهها. وكان السقف بأسره مغطى بيراعاتٍ ووطاويط لونها أزرق خفيفٌ؛ تخفق بأجنحتها الرقيقة. وكان المكـان يبـدو فظيعاً مخيفاً.

وفي وسط الأرض؛ كان هناك عرشٌ تحملـه هياكـل عظميةٌ لأربعة جيادٍ؛ كانـت سـروجها مجهـزةً بالعناكـب الحمراء الشرسة. وكان العرش نفسه مـن زجـاجٍ أبـيض كاللبن، والوسائد فئراناً صغيرةً سوداء؛ لا تكف عن عـض ذيول بعضها بعضاً. وفوقه ظلةٌ من نسيج العنكبوت الأحمـر الغامق؛ منقطةٌ بذبابٍ جميلٍ صـغيرٍ أخضـر؛ يلمـع مثـل الأحجار الكريمة. وعلى العرش؛ يجلس ساحر عجوز؛ يضع على رأسه الدميم تاجاً، ويمسك في يـده صـولجاناً. وقبـل الأميرة قبلة على جبينها، وأجلسها بجانبه على عرشه الفاخر. وعندئذ؛ بدأت الموسيقى تعزف؛ فعزفـت جنـادب سـوداء ضخمةٌ على المزمار؛ في حين دقت البومة على جسدها نوبة انصرافٍ؛ إذ لم يكن لديها طبلٌ أفضـل منـه. كـان حفـلاً موسيقياً هزلياً. ورقصت غيلان صغيرةٌ سمراء في قلانسـها أشياء مضللةٌ في أرجاء الحجرة. ولكن؛ لم يستطع أحـد أن

يرى رفيق السفر الذي اتخذ لنفسه موضعاً يقع تماماً خلف العرش؛ حيث يستطيع أن يرى ويسمع كل شيءٍ. وكان رجال الحاشية الذين أقبلوا في تلك اللحظة على جانبٍ كبيرٍ من الرقة والدماثة. ولكن أي خبيرٍ؛ سوف يدرك سريعاً مم صنعوا؛ فهم لم يكونوا أكثر من أيدى مقشاتٍ لها رؤوس من كرنباتٍ؛ بث فيها الساحر الحياة بسحره، وزينها بملابس مطرزةٍ. ومهما يكن من أمرٍ؛ فإنها كانت تؤدى المهمة تماماً؛ إذ إنها لم تكن مطلوبةً إلا للعرض.

وبعد أن رقصت الأميرة قليلاً؛ روت للساحر أنه قد تقدم إليها خاطب جديد، وتشاورت معه بشأن السؤال الذي عليها أن تطرحه عليه في صباح اليوم التالي؛ عندما يأتى إلى القصر. فقال الساحر: "سأقول لكِ ما هو. عليكِ أن تختارى شيئاً سهلاً، وعندئذٍ لن يتوصل إليه أبداً. فكرى في حذائكِ؛ فهو لن يعرف ذلك بالتخمين أبداً. ولسوف تأمرين بقطع رأسه، وإياكِ أن تنسى أن تحضرى لي عينيه غداً ليلاً". فانحنت الأميرة، وقالت إنها لن تنسى أن تحضرهما. وعندئذٍ؛ فتح الساحر الجبل، فطارت عائدةً للقصر. ولكن رفيق السفر تبعها، وأخذ يضربها بالعصا ضرباتٍ مؤلمةً جدا؛ لدرجة أنها

زفرت زفرةً عميقةً متعجبةً من هبوب عاصفة بردٍ مثل هذه، وهرعت بقدر ما تستطيع للوصول إلى غرفة نومهـا؛ عـن طريق النافذة. وعندئذٍ؛ عاد رفيق السفر إلى الخـان، حيـث كان چوهانس لا يزال مستغرقاً في النوم، وانتزع جناحيـه، وذهب إلى الفراش أيضاً؛ لأنه كان متعباً جدا.

استيقظ چوهانس في ساعةٍ مبكرةٍ مـن صـباح اليـوم التالى. ونهض رفيقه في السفر، وقال له إنه رأي حلماً غريباً في تلك الليلة؛ يدور حول الأميرة وحذائها. ومن ثـم؛ حثـه على أن يسأل ما إذا كان الحذاء هو الذي تفكر فيه الأميـرة؛ لأنه علم هذا من الساحر في الجبل. فقال چوهانس: "إنني قـد أطرح ذلك كأي شيء آخر؛ فمن يدري ربمـا ينقلـب إلـى حقيقةٍ؛ لإنني واثقٌ أن الله سوف يعينني". ومع ذلك؛ فـإنني أرى أن أودعك؛ لإنني إذا أخطأت في تخمينـى؛ فلـن أراك مرةً أخرى". وبعد ذلك؛ عانق كل منهما الآخـر، وانطلـق چوهانس إلى المدينة، وسار إلى القصر. وكانت القاعة كلهـا حاشدةً بالناس، وجلس القضاة في مقاعدهم الكبيرة المريحة؛ ورؤوسهم مستندةٌ إلى وسائد محشوةٍ بزغب بط العيدر؛ لأنه كان عليهم أن يفكروا في أشياء كثيرةٍ. ووقف الملك العجوز

يمسح عينيه بمنديلٍ أبيض. والآن، ها هي ذى الأميرة تدخل. كانت تبدو أجمل مما كانت عليه حتى فـي اليـوم السـابق، وحيت الجميع برشاقةٍ ساحرةٍ؛ بيد أنهـا مـدت يـدها إلـى چوهانس، وقالت له: "صباح الخير".

دعى چوهانس لتخمين ما كانت تفكر فيه. تباركت يـا ربى! كم كانت تبدو رقيقةً؛ وهي تنظر إليه! ولكـن؛ مـا إن نطق بالكلمة البسيطة المفردة "حذاء" حتى تحول لون وجهها إلى أبيض بلون الطباشير، وارتجف جسدها كله. ومع ذلـك؛ فإن هذا لم يفدها كثيراً؛ إذ إنه كان في تخمينه على صوابٍ. ولكن يا للعجب! كم كان الملك العجوز مسروراً؛ فقد قطـع زهرة النرجس التي كانت تقر بها عين من يراها! وصـفق كل الحاضرين بأيديهم جذلاً هاتفين له هو وچوهانس الـذي نجح في هذا الامتحان؛ وهو أول محنةٍ يتعرض لها.

وابتهج كذلك كثيراً رفيق السفر؛ عندما سمع ما أسفرت عنه الأمور. ولكن چوهانس عقد يديه، وحمد الله الذي شعر بأنه سوف يعينه خلال المرتين القادمتين. وكـان مقـرراً أن يقوم بمحاولةٍ ثانيةٍ للتخمين في اليوم التالى. ومـرت عشـية اليوم كما مرت العشية السابقة؛ فعندما ذهب چوهانس للنـوم

طار رفيقه في السفر وراء الأميرة إلى الجبـل، وضـربها ضرباً أشد؛ فقد أخذ معه هذه المرة عصوين. ولم يره أحـد، وسمع كل ما قيل. كان على الأميرة أن تفكر فـي قفازهـا، وهذا ما ردده أمام چوهانس كما لو كان حلماً رآه. وهكـذا؛ استطاع أن يصيب في تخمينه مما أثار فرحةً غـامرةً بـين سكان القصر. وقطع رجال الحاشية كلهم أزهار النـرجس؛ كما رأوا الملك يفعل في المرة الأولى. أمـا الأميـرة؛ فقـد استلقت على الأريكة، ولم تنطق بكلمةٍ واحدةٍ. وأصبح الأمر كله الآن يتوقف على ما إذا كان فـي وسـع چوهـانس أن يصيب في تخمينه في المرة الثالثة. فإذا نجح في هذا؛ فـإن من المقرر أن يتزوج من الأميرة الجميلة، وأن يحكم البلاد؛ عندما يموت الملك. ولكن إذا أخطأ في تخمينـه؛ فـإن مـن المقرر أن يفقد حياته، وسوف يحصل الساحر علـى عينيـه الزرقاوين الجميلتين.

وفي العشية؛ صلي چوهانس، وذهـب إلـى الفـراش مبكراً، ثم استغرق في نومٍ هادئ. أما رفيقه؛ فقد ربط جناحيه إلى ظهره، وحمل سيفه إلى جانبه، وأخـذ معـه العصـى الثلاث، وطار نحو القصر.

كانت الدنيا حالكة الظلام في سواد القار، وكانت هنـاك عاصفةٌ شديدةٌ؛ لدرجة أن قوالب القرميد كانت تتطاير مـن أسطح المنازل، وانثنت الأشجار في الحديقة التي كانت فيهـا الهياكل العظمية معلقةً؛ مثلما تنثنى قصـباتٌ عديـدةٌ تحـت الريح. وأضاء السماء برقٌ متشعب، ودوى هـزيم الرعـد كصوت انفجارٍ استمر طوال الليل. وكانت الأميـرة تطيـر؛ وهي شاحبةٌ شحوب الموتى، ولكنها ضحكت هازئةً بالطقس الردىء؛ إذ كانت ترى أنه ليس رديئاً بدرجةٍ كبيرةٍ. وخفـق رداؤها الأبيض في الريح؛ كما يخفق شراع كبير؛ في حـين أخذ رفيق السفر يضربها بالعصى الثلاث إلى أن سال دمها، وأصبحت لا تكاد تستطيع أن تطير بعد ذلك. ومهما يكن من أمرٍ؛ فإنها نجحت في أن تصل إلى الجبـل. وقالـت: "هـذه عاصفة بردٍ شديدةٌ. إنني لم أخرج قط من قبل في طقسٍ مثل هذا". فقال الساحر: "من يدرى؟ ربما يكون هـذا لصـالحكِ كثيراً".

أخبرت الأميرة الساحر بأن الفتى أصاب فـي تخمينـه للمرة الثانية، وإذا ما نجح ثانيةً في صباح اليوم التالي؛ فإنـه يكون عندئذٍ قد فاز، ولن يكون في وسعها أبداً مرةً أخرى أن

تأتي للجبل أو تمارس فنون السحر؛ كما كانت تفعـل حتـى الآن. ومن ثم؛ فإنها كانت حزينةً مكتئبةً. فقال لها: "إنه لـن يستطيع أن يخمن ما تفكرين فيه؛ لإنني سوف أبحـث عـن شيء لن يتوصل إلى معرفته أبداً؛ إلا إذا كان ساحراً يفوقنى مهارةً". وبعد ذلك؛ أمسك بيدى الأميرة ورقصا معاً، وكـل العفاريت الصغيرة التي كانت تنبعـث مـن أجسـادها كـل الأضواء المضللة في الحجرة. وكانت كل العناكب تقفز إلـى أعلى وأسفل الجدران في مرحٍ، وبدا كما لـو أن الأزهـار المضطربة المتألقة تلفظ شرراً. وأخذت البومة تقرع الطبل، والجداجد تصفر، والجنادب تعزف على المزمار. لقد كـان حفلاً راقصاً ماجناً. وحين رقصا ما فيه الكفاية؛ اضـطرت الأميرة إلى أن تعود للبيت؛ خوفاً من أن يتفقدها أحـد فـي القصر. وقال الساحر إنه سيرافقها حتى يكونـا معـاً فتـرةً أطول.

وطارا بعد ذلك بعيداً في الطقس الردىء. وفي الوقـت نفسه؛ حطم رفيق السفر العصى الثلاث على أكتافهما. ولـم يكن الساحر قد خرج من قبل أبداً في عاصفة بردٍ مثل هذه. وعندما وصل إلى القصر، وودع الأميرة؛ همس يقول لهـا:

"فكرى في رأسى"، ولكن رفيق السفر سمعه. وبينمـا كانـت الأميرة تتسلل إلى غرفة نومها من النافذة؛ والساحر يوشـك أن يستدير للعودة؛ أمسك رفيق السفر به من لحيته الطويلـة السوداء، وقطع رأسه الدميم بضربةٍ واحدةٍ من سيفه؛ بحيـث لم تكن لدى الساحر فرصةٌ لأن يراه. وبعد ذلك؛ ألقى بالجثة في البحر؛ لتكون طعاماً للسمك؛ إلا أنه غمس الرأس تمامـاً في المياه، ثم ربطها في منديله الحريرى، وأخذها معه إلـى الخان، وذهب إلى الفراش.

وفي صباح اليوم التالي؛ أعطـى الحزمـة لچوهـانس وأمره بألا يفتحها إلا عندما تسأله الأميرة عما تفكر فيه.

وكان هناك متفرجون عديدون فـي القاعـة الفسـيحة بالقصر؛ لدرجة أنهم كانوا يقفون مثل الفجل المربـوط فـي حزمةٍ. وجلس أعضاء مجلـس الشـورى علـى مقاعـدهم المريحة المزودة بوسائد وثيرةٍ، وكان الملك العجوز يرتـدي ملابس جديدةً، وكان تاجه وصولجانه مصقولين لامعين. وبدا المشهد بأسره مهيباً؛ إلا أن الأميرة كانت شـاحبةً شـحوب الرماد، وكانت ترتدي ثوباً أسود في لون الفحم؛ كما لو كانت في مأتمٍ، وسألت چوهانس: "فيم فكرت؟".

ففتح في الحال المنديل الحريرى، وفـزع هـو نفسـه؛ عندما رأي الرأس الدميم للساحر. وارتعد كـل واحـدٍ مـن الحاضرين؛ لأن النظر إليه كان مرعباً. أما الأميـرة؛ فقـد جلست ساكنة كالتمثال، ولم تستطع أن تنطق بكلمةٍ. وأخيراً؛ نهضت، وقدمت يدها لچوهانس لأنه أصاب في تخمينه. ولم تنظر يميناً ولا يساراً؛ بل تنهدت وقالت: "والآن؛ هـا أنتـذا سيدى! وسوف يحتفل بزفافنا هذا المساء".

قال الملك العجوز: "إن هذا أفضل كثيراً، وهو بالضبط ما أريده"؛ فهلل كل الحاضرين فرحاً وهتفـوا: "مرحـى!"، وعزف الجنود الذين كانوا يقومون باستعراض موسيقاهم في الشوارع، وأخذت الأجراس تدق، وانتزع صـانعو الفطـائر الحلوة شارات الحداد من أذرعهم، وأقيمت الأفراح في كـل مكانٍ. ووضع في وسط السوق ثلاثة ثيرانٍ محشـوةٍ بـالبط وأفراخ الدجاج؛ وكلها مشويةٌ، وكان لكـل شـخص مطلـق الحرية في أن يقطع منها شـريحةً. وتفجـرت النـافورات، وتدفقت منها مشروباتٌ لذيذةٌ، وكان كل من يشتر من حانوت الخباز بسكوتاً هشا بقرشٍ واحدٍ؛ يتسلم ست بسكوتاتٍ كبيرةٍ هديةً له... وكان في البسكوت زبيب.

وفي الليل؛ أضيئت المدينة بأسـرها، وأطلـق الجنـود المدافع، وأطلق الأولاد بنادقهم التي يلعبـون بهـا. وتنـاول الناس قدراً كبيراً من الطعام والشراب، وتزاحمت الجماهير، وأخذت تمرح في القصر. ورقص السادة العظام والسـيدات الجميلات، وكان في وسع المرء أن يسمعهم من بعيدٍ؛ وهـم يترنمون بهذه الأغنية:

"ها هنا فتياتٌ جميلاتٌ عديداتٌ،

يدرن مثل دولاب الغزل،

ويطأن بأقدامهن الأرض بخفةٍ مثل النسيم.

والفتاة الحلوة اللطيفة

لا تزال تدور حول نفسها، وتلـف وتـرقص، وتظفـر طوال الوقت

إلى أن يخلع الكعب من حذائك".

ولكن الأميرة كانت لا تزال ساحرةً، ولـم تسـتطع أن تطيق جوهانس. ورأي رفيقه في السفر هذا؛ فأعطاه ثـلاث ريشات انتزعها من جناحي البجعة، وقـارورةً صـغيرةً لا تحتوى إلا على بضع قطراتٍ من سائل، وأخبره بأن يضـع دنا كبيراً مملوءاً بالماء أمام سرير الأميرة، وعنـدما تكـون

الأميرة على وشك أن تأوى إلى الفراش؛ فإن عليه أن يدفعها دفعةً واهنةً لكي تسقط في الماء، وفيه يجب أن يغمسها ثلاث مراتٍ؛ على أن يحرص أولاً على أن يحرك فيه الريشـات ومحتويات القارورة. وعندئذٍ؛ يزول أثر السحر، وتحبه فـي ولَهٍ.

وفعل چوهانس كل ما اقترحه رفيقه في السفر؛ فأطلقت الأميرة صرخةً مدويةً؛ عندما غمسها في المـاء. وناضـلت للتخلص من يديه؛ في شكل بجعةٍ سوداء بلون الفحم، وعيناها متقدتان بنار الغضب. وفي المرة الثانية التي ظهـرت فيهـا على السطح؛ أصبحت بجعة بيضاء كلها؛ إلا بضع ريشـاتٍ سوداء حول رقبتها. وتضرع چوهانس لله، وجعـل الطـائر يغوص في الماء للمرة الثالثة، وعندئذٍ تحول فجأةً إلى أجمل أميرةٍ. وكانت أجمل كثيراً مما كانت عليه من قبل، وشكرته والدموع تسيل من عينيها؛ بعد أن تخلصت من أثر السـحر الذي كان يكبلها بأغلاله.

وفي صباح اليوم التالي؛ جاء الملك العجوز مـع كـل رجال حاشيته، وظلت التهاني تقدم حتى ساعةٍ متأخرةٍ مـن النهار. وكان آخر من جاء هو رفيق چوهانس فـي السـفر؛

وفي يده عصاه وعلى ظهره حقيبته فعانقه چوهانس بمـودةٍ، وقال له إنه يجب ألا يرحل؛ بل يبقي معه لأنه كان السـبب في كل ما ينعم به من سعادةٍ. ولكن رفيقه في السـفر هـز رأسه، وقال بصوتٍ رقيقٍ ينم عن الود: "لا؛ لقد حان الوقت لأن أرحل. وأنا لم أفعل ما فعلت إلا لأسـدد دينـاً. أتـذكر الرجل الميت الذي كان يريد اثنان من الأشـرار أن يقسـوا عليه؟ لقد أعطيت كل ما تملك حتى يستريح في سـلامٍ فـي قبره. إنني ذلك الرجل الميت!". وفي نفس اللحظة اختفى.

واستمرت أفراح العرس شهراً كاملاً، وأحب چوهـانس الأميرة حبا شديداً، وبادلته الأميرة ذلك الحب. وعاش الملك العجوز ليرى ذلك اليوم السعيد الذي يلاعب فيه أحفاده؛ وهم جالسون على ركبته، وتركهم يلهون بصـولجانه. وأصـبح چوهانس ملكاً على البلاد بأسرها.

شجيرةُ البلسان الأم

يحكي أنه كان هناك ولد صغير؛ أصيب ببردٍ؛ عنـدما بلل قدميه. أما كيف قام بهذا؛ فلم يستطع أحد أن يتصـوره؛ لأن الجو كان لطيفاً وجافاً تماماً. ونزعت أمه عنه ملابسـه، ووضعته في الفراش، وأحضرت إبريق الشأي وهي تعتـزم أن تصنع له قدحاً من شأي البلسان الجيد الساخن. وفي ذلـك الوقت تماماً؛ دخل الرجل العجوز البشوش الذي يقـيم فـي الطابق الأعلى من البيت؛ وكان يعيش بمفرده؛ فيـا للرجـل المسكين! لم تكن له زوجةٌ ولا أولاد من صلبه، ولكنه كـان يحب أطفال جميع جيرانه حبا جما، وكان يعرف الكثير جدا من القصص الخلابة، وحكايات الجان، ويرويها لهم؛ فكانـت رؤيته بينهم تشيع في نفوسهم البهجة والحبور.

وقالت الأم: "والآن؛ هيا اشرب شايك كأي ولد لطيـف. ومن يدرى؟ لعلك تسمع قصةً!". فقال الرجل العجوز؛ وهـو يبتسم ويومئ برأسه: "آه؛ نعم؛ إذا استطاع المرء أن يفكر في شيء جديدٍ فحسب..."، وسأل: "ولكن؛ ترى أين بلل الصغير قدمه؟".

فقالت الأم: "حقا؛ أين؟ ذلك مـا لا يسـتطيع أحـد أن يتوصل إليه...".

وسأل الصبى: "هل لي أن أسمع قصةً؟".

فقال الرجل: "نعم؛ إذا كان في وسعك أن تقول بالضبط كم يبلغ عمق القناة في الشارع الصغير هناك، والذي تسـلكه عند الذهاب إلى مدرستك؛ إنني أريد أن أعرف هذا أولاً".

فرد الولد قائلاً: "إن الماء يصل إلى منتصف حـذائى، ولكن هذا لا يحدث إلا إذا سرت خلال الحفرة العميقة".

فقال الرجل العجوز: "آهٍ؛ إذن؛ فهذا هو الموضع الـذي بللنا فيه قدمينا. والآن؛ فإني أعتقد أنك سوف تطلب منى أن أروى لك حكايةً، ولكنى لا أعرف حقا أية حكايةٍ أخرى".

فقال الولد في إلحاحٍ: "ولكنك تستطيع أن تحصل علـى واحدةٍ في لحظةٍ؛ فأمى تقول إن كل شيء تتطلع إليه بنظـرةٍ سريعةٍ يصبح حكاية جانٍ. وإن كل شيء تلمسه يتحول إلـى قصةٍ".

فقال الرجل العجوز: "نعم؛ ولكن تلك القصص وحكايات الجان لا تصلح لدرجةٍ كبيرةٍ... والنوع اللائق منها يأتى من تلقاء نفسه؛ فهي تقرع جبهتى بخفةٍ، وتصيح: نحن هنا..".

فقال الولد الصغير: "آمل أن تأتي حالاً، وتقرع جبهتك بخفةٍ"؛ فضحكت أمه ووضعت بعض أزهار البلسان في إبريق الشاى، وصبت عليها ماء يغلى. وقال الولد: "هيا الآن أرو لي قصةً. أرو لي قصةً؛ أرجوك".

فقال الرجل: "أجل؛ إذا حدث أن جاءت القصص، ولكنها معجبةٌ بنفسها، ولا تزورنى إلا عندما يحلو لها". وصرخ يقول فجأةً: "سكوتاً... ها هى... انتبهوا جيداً؛ ها هي الآن في إبريق الفنجاني شاي...".

وتطلع الولد الصغير إلى إبريق الشاى؛ فرأي الغطاء يرتفع، وأزهار البلسان تنبثق فجأةً ناضرةً بيضاء، وتنبت أغصاناً طويلةً غليظةً؛ حتى من الفوهة. وأخذت تنتشر على كل الجوانب، وتنمو أضخم وأضخم؛ إلى أن انتصبت أخيراً بجانب السرير أجمل شجيرة بلسانٍ تخلب الألباب؛ وهي شجيرةٌ كاملةٌ؛ بعض أغصانها يمتد فوق الفراش، ويدفع الستائر جانباً.

أواه؛ كم كانت هذه الشجيرة مفعمةً بالنورات، وكم كانت هذه النورات عطرةً. وفي وسط الشجيرة؛ جلست سيدةٌ عجوز؛ ملامحها تدل على أنها رقيقة القلب، وترتدي أغرب

ثوبٍ في العالم؛ فقد كان أخضر مثل أوراق البلسان؛ به وحدةٌ زخرفيةٌ في شكل باقاتٍ من أزهار البلسان الكبيرة البيضـاء؛ تنتشر في كل أجزائه، ولا يستطيع أحد أن يقول على وجـه اليقين؛ أهو حقا فستان أم أوراقٌ خضراء وأزهار حيةٌ.

وسأل الولد الصغير: "ما اسمها؟". فرد الرجل العجـوز قائلاً: "عجباً؛ لقد اعتاد هؤلاء الإغريق والرومان أن يطلقوا عليها اسم جنية الغابات، ولكننا لا نعـرف تلـك الأسـماء الغريبة. ولدى الملاحين في نيوبوث اسم أفضـل كثيـراً؛ إذ يطلقون عليها اسم شجيرة البلسان الأم، وهذا يليق بها تماماً. والآن؛ هيا استمعوا لما أقول؛ وفي خلال ذلك لا تكفوا عـن النظر إلى شجيرة البلسان الجميلة".

وثمة شجرةٌ كبيرةٌ أخرى مثل هذه تنتصب قائمةً وسـط نيوبوث، وقد نمت في ركنٍ من ساحة صغيرةٍ حقيرةٍ. وفـي ظل هذه الشجيرة؛ جلس عصر يـومٍ شخصـان عجـوزان، حولهما ضوء الشمس المجيدة؛ هما مـلاح عجـوز جـدا، وزوجته الطاعنة في السن.

وكانا جـدين، وسـيحتفلان قريبـاً باليوبيـل الـذهبى لزواجهما، وإن كانا لا يستطيعان بالضبط أن يتذكروا في أي

يومٍ سيكون، وجلست فوقهما شجيرة البلسان الأم؛ تبدو عليها علامات السرور؛ تماماً كما تفعل الآن. وقالـت: "آهٍ؛ إننـي أعرف اليوم المحدد لليوبيل الذهبى..."، ولكنهما لم يسمعاها؛ إذ جلسا هناك يتحدثان عن الأيام الماضية. وقال البحار: "ألا تذكرين الأيام التي كنا فيها صغاراً، والتي اعتـدنا فيهـا أن نجرى ونلعب في نفس هذه الساحة التي نجلـس فيهـا الآن، وكيف كنا نغرس شلاتٍ لنقيم حديقةً؟". فردت المرأة العجوز: "إنني أذكر هذا بلا شك... وكنا نروى الشتلات كـل يـومٍ، ولكن واحدةً منها فقط هي التي نبت لها جذور، وتلك كانـت شتلة بلسانٍ، وأنبتت أغصانها الخضراء إلى أن نمت لتصبح هذه الشجرة الكبيرة التي نجلس نحن العجوزين تحتها.

فقال الملاح: "هكذا نبتت... وفي الركن هنـاك، كـان يوجد عادةً دلو ماءٍ؛ كنت أسير فيه قواربى. وكنت أنحتهـا بيدى؛ وكم كانت قوارب مشهورةً. ولكنني سرعان ما أبحرت في سفن أكبر من تلك".

فقالت الزوجة: "أجل؛ ولكننا ذهبنا أولاً إلى المدرسـة؛ لكي نلتحق كطالبى علمٍ، ثم ثبتنا فيها. وإنني لأذكر أننا بكينا، وبعد الظهر؛ ذهبنا؛ ونحن متشـابكا اليـدين إلـى البـرج

المستدير، وتطلعنا منه إلى العالم، ونظرنا إلى كـل جهـات كوبنهاجن والبحر، ثم ذهبنا إلى فرد ركسبرج؛ حيـث كـان الملك والملكة يسيران في القنوات بقاربين فاخرين للنزهـة. ولكن هذين القاربين كانا لا يشبهان السـفن الكبيـرة التـي أبحرت فيها؛ أكثر مما يشبهان قوارب الصغيرة. أواه؛ كـم سافرت سنواتٍ عديدةً في تلك الرحلات البحرية الطويلة".

فقالت: "نعم؛ وكم بكيت حزناً عليك... فقد اعتقدت أنك فارقت الحياة، وأصبحت في عداد الهالكين إلى الأبد؛ ترقـد تحت المياه العميقة. وكم من ليلةٍ؛ نهضت فيها لأتطلع إلـى دوارة الريح؛ لأرى إذا كانت الريح قد غيرت اتجاهها؛ وقـد غيرته مراراً وتكراراً. ومع ذلك؛ فإنك لم تعد. وهناك يـوم لن أنساه أبداً... كان المطر فيه مدراراً، وكان الزبالون قـد أتوا إلى البيت الذي كنت أعمـل فيـه. ونزلـت بصـندوق القمامة، وظللت واقفةً عند الباب. أواه؛ يا لـه مـن طقـس سيىء... وبينما كنت أقف هنـاك؛ أقبـل مـوزع البريـد، وأعطاني خطاباً، وكان هذا الخطاب منك... أي رحلةٍ قطعها هذا الخطاب... لقد فتحتـه، وقرأتـه، وضـحكت، وبكيـت بالتناوب، وكنت في غاية السعادة. وقد أبلغني الخطاب أنـك

في البلاد الدافئة التي تنمو فيها أشجار البن؛ ولابد أنها بـلاد ساحرةٌ. وأبلغنى أيضاً بأشياء عديدةٍ جدا، وخيل إلى أن فـي وسعى أن أرى كل ما تحدثت عنه وكان المطـر لا يـزال يهطل، وينهمر في سيولٍ جارفةٍ، وكنت أقف عنـد البـاب؛ ومعى صندوق القمامة؛ وعند ذلك تماماً؛ جاء أحدهم خلفـي وأمسك بى". فقال: "نعم؛ في الحقيقة؛ أولم تصوبى إليه لكمةً أصابته في الأذن، أولم تطن أذنه بعد ذلك!".

فقالت: "ولكنني لم أكن أعرف أنه أنت... فقد وصـلت حالما تسلمت خطابك، وكنت وسيماً جدا؛ ولكنـك لا تـزال كذلك. وكان في جيبك منديلٌ حريرى أصفر كبيـر، وعلـى رأسك قبعةٌ جديدةٌ. أواه؛ كم كـان الطقـس سـيئاً، وكانـت الشوارع تغمرها المياه تماماً".

وقال البحار: "وبعد ذلك تزوجنا؛ ألا تذكرين هـذا، ثـم رزقنا بولدنا الصغير أول أبنائنا، ثم رزقنا بعده مارى ونيلز وبيتر وهانس كريستيان".

قالت: "آه؛ وما أسعدنا! إذ شب الجميع ليكونوا صالحين مستقيمين مجدين؛ يحبهم كل الناس". وأردف الملاح العجوز يقول: وأولادهم أيضاً؛ إذ إن لديهم أبناء صغاراً الآن... أجل

إنهم أطفال أصحاء ظرفاء؛ هم أحفادنا... وعلى هذا؛ فـإنني أعتقد أن زفافنا قد تم حوإلى هذا الوقت من العام...". فقالت شجيرة البلسان الأم؛ وهي تدس رأسها بين العجوزين: "أجل؛ هذا اليوم بالذات هو اليوم الذي تحتفلان فيه باليوبيل الـذهبى لزواجكما". ولكنهما خالا أنها جارتهما تومئ إليهمـا. ولـم يهتما بها كثيراً؛ بل نظر كل واحدٍ منهما للآخر، وأمسك كل واحدٍ منهما بيد الآخر.

وخرج في هذه اللحظة أولادهما وأحفادهما إلى الساحة، وكانوا يعلمون تماماً أن هذا هو يوم الاحتفال باليوبيل الذهبى للزواج، وقد أتوا هذا الصباح بالذات لتهنئة والديهم. ولكـن العجوزين كانا قد نسيا ذلك تماماً؛ على الرغم من أنه كـان في وسعيهما أن يتذكرا بوضوحٍ الأشياء التي حـدثت منـذ نصف قرنٍ.

وكانت لنورات البلسان رائحةٌ حلوةٌ. وكانـت الشـمس التي توشك على الغروب تسـطع بضـوئها علـى وجهـي الزوجين العجوزين، وسكبت على ملامحهما ضوءاً ورديـا أحمر. ورقص حولهما أصغر أحفادهما؛ وهم يصيحون فـي جذلٍ أن هذا المساء يجب أن يقام فيه احتفالٌ كبير؛ تقدم فيـه

إليهم في وجبة العشاء بطاطس ساخنةٌ. وهزت شجيرة البلسان الأم رأسها لهم، وصاحت بصوتٍ مرتفعٍ كما صاحوا: "مرحى!".

فقال الولد الصغير الراقد في الفراش: "ولكنني لا أقول إن تلك حكايةٌ على الإطلاق". فرد راوية الحكاية العجوز الرءوم بقوله: ألا تراها كذلك؟ حسناً؛ دعنا نسأل شجيرة البلسان الأم عن رأيها فيها".

ردت شجيرة البلسان الأم بقولها: "لا؛ أنت على حق؛ فتلك ليست حكايةً. ولكن؛ إليك الآن حكايةٌ، ولسوف أريك كيف تبرز حكايات الجان من حوادث عاديةٍ؛ تقع كل يومٍ في الحياة، وأنت تعرف أن الأمر لو لم يكن كذلك؛ لما استطاعت شجيرة البلسان الجميلة أن تنبت من إبريق الشاى!". وبعد ذلك؛ أخذت الولد الصغير وانتزعته من الفراش، ووسدت رأسه صدرها، والتفت حولهما أغصان البلسان المحملة بالنورات؛ بحيث بدا أنهما يجلسان في تكعيبةٍ متكاثفة الأوراق؛ يفوح منها شذا عطرٍ، وطارت بهما التكعيبة في الهواء، وكان هذا أمراً بهيجاً للغاية.

وتحولت شجيرة البلسان الأم فجأة إلى فتاةٍ صغيرةٍ رشيقةٍ، وكان ثوبها لا يزال هو نفس الثوب من القماش الأخضر الزاهي المحلي بأزهارٍ بيضاء، والذي كانت ترتديه شجيرة البلسان الأم. وعلى صدرها؛ كانت ترتكز طاقة حقيقيةٌ من زهر البلسان، وكانت عيناها واسعتين زرقاوين. وكانت رؤية مخلوقةٍ على هذه الدرجة من الجمال مصدر بهجةٍ... وتعانقت هي والولد... وفي الحال؛ ظهر أنهما في نفس السن، وأحب كل واحدٍ منهما الآخر، وكانا سعيدين بدرجةٍ لا تصدق...

وخرجا من التكعيبة متشابكي اليدين. وها هما الآن في حديقة الأزهار الجميلة في بيتهما. ووجدا على بقعة الحشيش عصا أبيه التي خيل لهما أن الحياة تدب فيها؛ فحالما ركباها كما يركبان جواداً؛ أصبحت يد العصا المستديرة اللامعة رأساً مضطرمة كالنار؛ تصهل وتحمحم ذهاباً وجيئةً في الريح، وخرجت منها أربع أرجلٍ طويلةٍ رشيقةٍ، وأصبحت جواداً. وكان جوادهما الجديد مخلوقاً رشيقاً نشيطاً جميلاً، وجرى بهما سريعاً حول بقعة الحشيش؛ فابتهجا.

قال الولد: "والآن؛ سنقطع أميالاً عديدةً. هيا بنا نـذهب إلى البيت الريفي القديم العزيز الذي ذهبنا إليـه فـي العـام الماضى. وظلا يطوفان؛ وهما يركبان؛ حول بقعة الحشيش، وظلت الفتاة الصغيرة التي لم تكن؛ كما نعرف؛ سوى شجيرة البلسان الأم؛ تصيح طوال ذلك الوقت: "ها نحـن الآن فـي الريف. ألست ترى هناك كوخاً جميلاً؟ إن شجيرة البلسـان تتدلي أغصانها عليه، والديك يتيه به زهواً؛ وهو يدق بقدميه الأرض بحثاً عن الدجاج. انظر كيف يوسع الخطو... وهـا نحن الآن قريبان من الكنيسة؛ وهي تقف منتصبةً شـامخةً على التل؛ بين أشجار السنديان الكبيـرة؛ وإحـداها مجوفـةٌ تماماً. وها نحن الآن في دكان الحداد؛ والنار فيها تتـوهج، والرجال نصف العراة يتأرجحون بمطارقهم؛ ويتطاير الشرر حولهم في كل اتجاهٍ. هيا بنا نذهب بعيداً؛ بعيداً إلـى البيـت الريفي القديم".

ومرا بكل ما تحدثت عنه الفتاة الصغيرة التـي كانـت تمتطى العصا، ورأي الولد هذا كله. ومع ذلك؛ ظلا يسيران؛ وهما راكبان، ويدوران حول بقعة الحشيش. وبعد ذلك؛ لعب الطفلان في إحدى الطرقات، واختطا لنفسيهما حديقةً صغيرةً

في الرمل، وأخذت الفتاة إحدى نورات البلسان من شـعرها، وغرستها فيها؛ فنمت تماماً؛ كما نما غصن البلسـان الـذي غرسه الملاح العجوز وزوجته في نيوبـوث؛ عنـدما كانـا صغيرين؛ كما قيل من قبل.

وانطلق الطفلان معاً؛ متشابكي اليدين؛ تماماً كما فعـل الطفلان في نيوبوث؛ وإن كانا لم يذهبا إلى البرج المستدير، وحدائق فرد ركسبرج. لا؛ فقد ألقت الفتاة الصغيرة ذراعيها حول خصر الولد الصغير. وبعد ذلك؛ طـارا بعيـداً فـوق الدانمارك بأسرها، وأوغل الربيع في الصيف، والصيف فـي الخريف، وذوى الخريف فـي الشـتاء الشـاحب البـارد، وانعكست في عينى الولد وقلبه ألف صورةٍ، وظلـت الفتـاة الصغيرة تغنى له: "لا تنس هذا أبداً؛ أبداً...".

وكانت رائحة شجيرة البلسان القوية؛ أينما طارا؛ تفـوح حولهما. وكان في وسع الولد الصغير أن يميز الشذا العطـر للورود المزهرة في الحدائق التي مرا بها طائرين. ونقلـت الريح إليه الأريج المنعش لأشجار الـزان، ولكنـه رأي أن رائحة شجيرة البلسان كانت تفوق هـاتين الـرائحتين؛ لأن نوراتها كانت تستكن في قلب فتاته التي تشبه الجنية. وكـان

ينحنى باستمرار وهو يطير لتلك النورات، وهتفت الفتاة الصغيرة؛ حينما كانا يقفان في غابة أشجار الزان؛ حيث ظهرت الأشجار فجأةً في ثوبٍ جميلٍ جديدٍ، وحيث نمت تحت أقدامها نباتات الودراف ذات الرائحة الحلوة. وكانت شقائق النعمان ذات اللون الشاحب تبدو جميلةٍ جدا وسط خضرتها. وقالت: "أواه؛ ليت الدنيا تكون ربيعاً دائماً في غابة أشجار الزان الدانماركية العطرة...".

وقالت ثانيةً: "لا تنس أبداً؛ آه.. أبداً"، وكانا يمران بقلعةٍ قديمةٍ لبارونٍ؛ كانت جدرانها المدهونة بطلاءٍ أحمر ومعاقلها تنعكس في الخندق المائى الذي يحيط بها، وطيور البجع تسبح في الخندق المائى، وتتطلع بنظراتٍ فاحصةٍ إلى الطرق العمومية الظليلة الباردة. وكان هناك مرج من الحنطة الخضراء؛ يتحرك ذهاباً وجيئةً في الحقول، نورات حمراء ذهبيةٌ تنظر خلسةً من الخنادق وأسوجة النباتات المكللة بحشائش الدينار البرية اللعوب المرحة ونباتات اللبلاب البيضاء المزينة بزهورٍ كالناقوس. وكان الوقت مساء، والقمر ساطعاً؛ إذ كان بدراً كاملاً، وكانت المروج عطرةً

برائحة أكوام الدريس. وهتفت الفتاة الصغيرة: "مـا أجمـل الخريف!".

وبدا أن قبة السماء ترتفع عاليةً، وأن زرقتهـا تشـتد. وأصبحت الغابات متوردةً بأغنى الألوان المتنوعة القرمزيـة والخضراء والصفراء. وتواثبت كلاب الصيد مـارةً بهمـا؛ وهي تنبح نباحاً شديداً. وطارت أسراب كاملةٌ مـن الـدجاج البرى؛ وهي تصرخ فوق الأحجار هرمية الشكل التي كانت تلتصق بها ثمار يانعةٌ من التوت الشـوكى. وفـي الطـرف الأقصى؛ كان يقع البحر العميـق الأزرق المـنقط سـطحه بأشرعةٍ بيضاء. واحتشدت؛ في حزنٍ؛ سيداتٌ طاعناتٌ فـي السن، وفتياتٌ صغيراتٌ، وأطفالٌ، وهم يقطفـون حشـائش الدينار، ويضعونها في برميلٍ كبيرٍ. وكـان الصـغار مـن الجماعة يغنون، والسيدات الطاعنات في السن يروين أساطير قديمةً حول الجنيات وأعمال السحر؛ فأي شـيء يمكـن أن يكون باعثاً على البهجة أكثر من هذا؟.

وأعلنت فتاتنا الصغيرة قائلةً: "ما أجمل الشتاء!". أجل؛ لقد كان جميلاً حقا. وانظر! لقد كانت الأشجار تقف منتصبةً حولهما؛ وكلها مغطاةٌ بصقيعٍ أبيض. بـدت مثـل شـعابٍ

مرجانيةً متفرعةٍ، وكان الجليد يتهشم تحت أقدام الطفلين بصوتٍ عالٍ؛ كما لو كانا يرتديان حذاءين جديدين يحدثان صريراً. وانطلقت الشهب الساقطة تنزل واحداً بعد الآخر من السماء. وأضيئت أنوار شجرة عيد الميلاد في الردهة، ونال كل واحدٍ هديةً قدمت إليه؛ وكان كل واحدٍ منهم مبتهجاً. وكان كوخ الفلاح في الريف يشيع فيه المرح بصوت الكمان، وسرعان ما اختفت الفطائر الحلوة حتى إن أفقر طفلٍ كان يحق له أن يردد عبارة: "ما أجمل الشتاء!". أجل؛ لقد كان جميلاً حقا. وكانت فتاتنا الجنية هي التي عرضت كل هذه المناظر الجميلة على الولد الصغير، وكانت رائحة شجر البلسان لا تزال تفوح حوله؛ عندما ظهرت أمام عينيه صورةٌ جديدةٌ: العلم الأحمر يرفرف في النسيم؛ وهو نفس العلم الذي كان يخفق فوق السفينة التي سافر فيها الملاح القديم في نيوبوث.

وساور الولد إحساس بأنه قد كبر الآن وغدا شاباً، وأنه يجب عليه أن ينطلق ليجرب حظه في العالم الفسيح... يجب أن يذهب بعيداً إلى البلاد الدافئة؛ حيث تنمو أشجار البن. ولكن الفتاة الصغيرة أخذت؛ عندما افترقا؛ باقةً من نورات

البلسان من صدرها وأعطته إياها. فاحتفظ بها بعنايةٍ شديدةٍ؛ فقد احتفظ بها بين أوراق كتابه. وعندما كان يسافر إلى بلـدٍ أجنبى؛ كان لا يأخذ الكتاب أبداً؛ بل كان يتركه مفتوحاً؛ عند الموضع الذي توجد فيه الزهرة التي كانت تذكاراً بالنسبة له. وخيل إليه أنه كلما تطلع إليها كثيراً؛ أصبحت أكثر نضـارةً. وكان يخيل إليه وهو يتطلع إليها؛ ليرى الفتاة الجميلة بعينيها الزرقاوين اللامعتين؛ وهي تنظر خلسةً من بـين نـويرات البلسان، ويسمع همستها الخفيفة؛ كان يخيل إليه أنه يتـنفس الهواء اللطيف لغابات الزان الصغيرة الدانماركية، وقال: "ما أجمل الدانمارك في الربيع، وفي الصيف، وفـي الخريـف، وفي الشتاء!"، وطافت بذهنه مئة رؤيـةٍ جميلـةٍ محظـورةٍ للماضى.

ومرت سنواتٌ عديدةٌ... عديدةٌ جدا، وها هو الآن رجلٌ عجوز يجلس مع زوجته العجوز؛ تحت شجرةٍ مزدهرةٍ؛ وكل منهما يمسك بيد الآخر؛ كما كان يفعل الزوجان العجوزان في نيوبوث. وأخذا يتحدثان أيضاً عن الأزمنة القديمـة، وعـن الاحتفال باليوبيل الذهبى لزواجهما. وجلست الفتاة الصـغيرة بعينيها الزرقاوين وزهرات البلسان في شعرها على شـجرةٍ

فوقهما، وأومأت برأسها لهما قائلةً: "اليوم؛ عيـد زواجكمـا الذهبى!". ثم أخذت باقتين من الزهر من شـعرها وقبلتهمـا مرتين. ولدى أول قبلةٍ؛ لمعتا مثل الفضة. وبعد الثانية؛ لمعتا مثل الذهب. وعندما وضعتهما علـى رأسـى العجـوزين؛ أصبحت كل باقةٍ تاجاً من الذهب.

وهكذا؛ جلس الاثنان هناك مثل ملكٍ وملكـةٍ متـوجين تحت شجيرة البلسان العطرة. وبدأ الرجل العجـوز يـروى لزوجته قصة شجيرة البلسان الأم التي رويت له، وهو ولـد صغير. وخيل لهما معاً أن جزءاً كبيراً من القصة يشبه كثيراً قصتهما الحقيقية، وراقهما ذلك الجزء كثيراً جدا. وقالت الفتاة الصغيرة التي على الشجرة: "أجل؛ إنها كذلك... إن الـبعض يدعوننى شجيرة البلسان الأم، والبعض الآخر يدعوننى جنية الغابة، ولكن اسمى الصحيح هو الذاكرة. وهنا؛ أجلـس فـي الشجيرة وهي تنمو وتنمو، وأنا لا أنسى أبداً؛ بل أتذكر كـل الأشياء تماماً، وفي وسعى أن أروى مثـل هـذه القصـص الذائعة. والآن؛ هيا بنا نرى إذا كانـت زهرتكمـا لا تـزال سليمةً...".

وفتح الرجل العجوز كتابه؛ حيث كانت زهرة البلسـان ناضرةً؛ كما لو كانت قد وضعت تواً بين الأوراق؛ وأومـأت الذاكرة برأسها؛ وجلس العجوزان بتاجيهما الـذهبيين تحـت الشجيرة؛ ووجهاهما متوردان بضوء الشمس الأحمـر عنـد المساء. وأغلقا عينيهما ثم... ثم... لماذا تكون هناك نهايـةٌ للحكاية.

كان الولد الصغير يرقد في فراشه، ولم يعرف؛ إحقاقـا للحق؛ أكان يحلم بهذا كله؛ أم أن هذا روى له؟ وكان إبريـق الشأي موجوداً على المنضدة، ولكن لم تكن هنـاك شـجيرة بلسانٍ ناميةٌ منه. وكان صديقه راوى الحكايات على وشـك الخروج من الباب. وبينما كان الولد يفرك عينيه؛ كـان قـد ذهب. وقال الولد الصغير: "كم كان ذلك باعثاً على البهجة... أماه؛ لقد ذهبت إلى البلاد الدافئة". فردت عليـه الأم قائلـةً: "أجل؛ أنا لا يراودنى شك في هذا؛ فبعد أن شربت فنجـانين مترعين من البلسان الساخن الجيد؛ من المحتمل أن تكون قد ذهبت إلى البلاد الدافئة...". وغطته جيداً؛ خشية أن يصـاب بالبرد، وقالت: "لقد استغرقت في نومٍ عميـقٍ هـادئ؛ فـي

الوقت الذي كنت فيه أتجادل معه، وأسأله عما إذا كانت هذه حكايةً من حكايات الجان؛ أو أنها قصةٌ حقيقيةٌ!".

وسأل الولد: "وأين شجيرة البلسان الأم؟".

فقالت أمه: "إنها في إبريق الشاى، وهنـاك يمكـن أن تقيم".

البجع البرى

يحكي أنه كان يقيم هناك بعيداً بعيداً في الأرض التـي تطير إليها عصافير الجنة ملك؛ له أحد عشر ابناً وابنةٌ واحدةٌ تدعى إليز. وكان الأشقاء الأحد عشر أمراء، وكانوا يذهبون إلى المدرسة؛ وعلى صدورهم نجوم، وإلى جوانبهم تتـدلي سيوفٌ، ويكتبون في كراسات خط ذهبيةٍ بأقلامٍ من المـاس، ويحفظون عن ظهر قلب ما يقرأون. وقصارى القول؛ كـان من السهل أن يعرف الناس أنهم أمراء. واعتـادت شـقيقتهم إليز أن تجلس على كرسى زجاجى صغير بلا ظهرٍ، ومعها كتاب مصور ثمنه يساوى نصف مملكـةٍ. أواه؛ لقـد كـان الأطفال سعداء، ولكن لم يقدر لهم أن يظلوا دائماً سعداء؛ فقد تزوج أبوهم الذي كان ملكاً للبلاد من ملكةٍ شريرةٍ؛ لـم تكـن على الإطلاق رقيقةً حانيةً على الأطفال المساكين، وقد تبينوا هذا في أول يومٍ للزواج.

وأقيمت في القصر احتفالاتٌ كبرى، واشترك الأطفـال في استقبال الضيوف، ولكن بدلاً من أن يسمح لهم كما يحدث عادةً بعددٍ من الكعك والتفاح المطبوخ مما يتبقى؛ لم تعطهـم

الملكة سوى بعض الرمل في فنجأي الفنجاني شاي. وقالت لهم أن يتظاهروا ويتوهموا أنه هو ما كانوا يشتهون من طعامٍ. وفي الأسبوع التالي؛ أرسلت إليز الصغيرة لكي يقوم بعض الفلاحين في الريف بتربيتها.

وقبل أن يمضى وقتٌ طويلٌ؛ قالت الملكة أكاذيب عديدةً عن الأمراء المساكين؛ حتى إن الملك قرر ألا تكون له علاقةٌ بهم. فقالت لهم الملكة الشريرة: "اغربوا عن وجوهنا، واسعوا في الأرض، وليكن كل واحدٍ منكم مسئولاً عن نفسه. طيروا بعيداً في شكل طيورٍ كبيرةٍ بكماء". ولكنها لم تستطع أن تجعلهم دميمى الخلقة كما أرادت؛ لأنهم تحولوا إلى إحدى عشرة بجعة بيضاء؛ طارت وهي تطلق صرخةً غريبةً من نوافذ القصر فوق المتنزه.

وفوق الغابة؛ كان الوقت لا يزال مبكراً في الصباح؛ عندما مرت البجعات بكوخ الفلاح الذي كانت تنام فيه إليز وحومت فوق السطح، ومدت أعناقها الطويلة، ورفرفت بأجنحتها، ولكن لم يرها أو يسمعها أحد. وعلى هذا؛ اضطرت إلى أن تطير بعيداً، وتابعت طيرانها حتى وصلت

إلى السحب، وانطلقت في العالم الفسيح بعيداً جداً؛ في الغابة المظلمة التي كانت تمتد حتى شاطئ البحر.

ووقفت إليز الصغيرة في كوخ الفلاح؛ تلهو بورقة شجرٍ خضراء؛ لأنه لم تكن لديها أية لعبةٍ أخرى، وخرقـت ثقبـاً، واختلست النظر من خلاله إلى الشمس. وعندئذٍ؛ خالت أنهـا رأت عيون أشقائها اللامعة. وعندما سطعت الشمس بأشعتها الدافئة على خديها؛ أخذت تفكر في قبلات أشقائها، وكان كل يومٍ يمر لا يختلف عن الآخر. وعندما كانت الـريح تهـب خلال السياج الكثيف لأشجار الورد أمام البيت؛ كانت تهمس للورود قائلةً: "من يكون أجمل منكِ؟". فكانت الـورود تهـز رؤوسها، وتقول: "إليز". وعندما كانت زوجة الفلاح تجلـس أيام الآحاد على باب كوخها؛ تقـرأ فـي كتابهـا الخـاص بالتراتيل؛ كانت الريح تحف بأوراق الأشجار وتقول للكتاب: "من يكون أكثر ورعاً منك"؛ فكان كتاب التراتيل يرد بقوله: "إليز". وما كانت تقول الورود وكتـاب التراتيـل لا يعـدو الحقيقة.

وعندما بلغت الخامسة عشرة من عمرها؛ كـان لزامـاً عليها أن تذهب للبيت. وعندما رأت الملكة مدى ما هي عليه

من جمالٍ؛ أبغضتها أكثر من قبل، وكان بودهـا أن تحولهـا مثل أشقائها... إلى بجعةٍ بريةٍ، ولكنها لم تجرؤ على أن تفعل هذا لأن الملك كان يريد أن يرى ابنته. وفي ساعة مبكرةٍ من صباح أحد الأيام؛ انطلقت الملكة إلى الحمـام المشـيد مـن الرخام والمجهز بوسائد وثيرة وسجاجيد فاخرةٍ، وأخذت معها ثلاث ضفادع بريةٍ وقبلتها، وقالت لإحداها: "عندما تأتي إليز إلى الحمام اجثمى على رأسها؛ لكي تصبح بليـدةً ونعسـانةً مثلكِ". وقالت للثانية: "اجثمى على جبينها ودعيهـا تصـبح دميمة مثلكِ؛ حتى لا يعرفها أبوها مرةً أخـرى". وهمسـت للثالثة: "ضعى نفسك على صدرها لكي يصبح قلبها مفعمـاً بالشر ومصدر عذاب لها"، ثم وضعت الضفادع البرية فـي ماءٍ صافٍ؛ فتحول لونه في الحال إلى أخضر. وبعد أن نادت إليز خلعت لها ملابسها، وأدخلتها الحمام. وبينما كانت تغمس رأسها تحت الماء؛ جثم ضفدع برى على شعرها، وآخر على جبينها، وجثم الثالث على صدرها. ولكن يبدو أن إليز كانت لا تدرى بهذا على الإطلاق. وعندما نهضت شوهدت ثلاثـةٌ من نباتات الخشخاش تسبح فوق الماء، ولو لم تكن الحيوانات سامةً، وتلقت قبلةً من ساحرةٍ؛ لكانت قد تحولت إلـى ورودٍ

لأنها كانت قد جثمت على رأس إليز وقلبها؛ إذ كانت صالحةً جدا؛ ليس للسحر أي سلطانٍ عليها.

وعندما أدركت الملكة هذا؛ دهنت بشـرة الفتـاة كلهـا بعصارة الجوز؛ وسرعان ما أصبح لونها قاتمـاً، ودهنـت وجهها الجميل بمرهمٍ قذرٍ تعافه الـنفس، ولبـدت شـعرها الكثيف الطويل إلى أن غدا من المستحيل التعرف على إليـز الجميلة. وعندما رآها والدها ذعر، وقال إنهـا لا يمكـن أن تكون ابنته، ولم يعرفها أحد سوى كلاب الدرواس الضـخمة وعصافير الجنة؛ وهي ليست إلا حيوانات مسكينة لا تستطيع أن تقول شيئاً.

وبكت إليز المسكينة، وأخذت تفكر في أشـقائها الأحـد عشر الذين كانوا جميعاً بعيدين عنها. وفي حزنٍ شديدٍ تسللت بعيداً، وأخذت تهيم على وجهها طوال النهار عبـر الحقـول والمستنقعات؛ إلى أن أقبلت إلى الغابة الكبيـرة. وكانـت لا تعرف إلى أين تذهب، ولكنها كانت حزينةً جـدا، وتتلهـف كثيراً إلى رؤية أشقائها الذين أرغموا مثلها على أن يهيمـوا في العالم؛ فقررت أن تبحث عنهم وأن تجدهم.

وقبل أن يمضي عليها وقتٌ طويلٌ في الغابة حل الليل، وضلت طريقها وسط الظلام؛ فاستلقت على الطحلب الناعم وأخذت تدعو الله، وأسندت رأسها إلى جذع شجرةٍ. كان كل شيء هادئاً في الغابة، وكان الهواء معتدلاً، وتتلألأ حولها الأضواء الخضراء لمئات اليراعات، وعندما لمست إليز أحد الغصون المتدلية فوقها؛ سقطت عليها حشراتٌ متألقةٌ مثل الشهب الساقطة.

وظلت طوال الليل تحلم بأشقائها. وخيل لها أنهم عادوا جميعاً أطفالاً مرةً أخرى، وأنهم يلعبون معاً، ويكتبون بأقلامٍ من الماس في كراسات خط ذهبيةٍ، ويتطلعون إلى الصور في الكتاب الجميل الذي يبلغ ثمنه نصف مملكةٍ، ولكنهم لم يقوموا؛ كما كانوا يفعلون؛ برسم خطوطٍ مستقيمةٍ ومقوسةٍ على كراسات الخط. لا؛ لقد كتبوا عن الأعمال المجيدة التي قاموا بها، والأشياء الغريبة التي رأوها. وفي الكتاب المصور؛ بدا أيضاً أن كل شيء حي؛ فالطيور تغرد، والرجال والنساء يتقدمون من الصفحات؛ ويتحدثون إلى إليز وإخوتها، ثم قفزوا عائدين إلى أماكنهم؛ عندما أعادت

الصفحات إلى ما كانت عليه؛ حتى لا يختلط الأمـر علـى الصور.

وعندما استيقظت إليز؛ كانت الشمس عاليةً في السماء. ولم يكن في وسعها أن تراها؛ لأن الأشجار الباسـقة كانـت أغصانها ذات الأوراق الكثيفة متشابكة ومفتولـة جـدا مـع بعضها؛ حتى إنه عندما كانت أشعة الشمس تتلاعب؛ كانـت تبدو مثل قناعٍ ذهبيٍ يتحرك ذهاباً وجيئةً. وكان الهواء عطراً والطيور تكاد تجثم على كتفي إليز، وسمعت خريـر المـاء، وعندما ذهبت نحوه؛ وجدت بركةً تكونت من عـدة ينـابيع؛ قاعها حصباء من أجمل الأنواع. وكانت الأشجار تنمو حولها بكثافةٍ، ولكن الغزلان صنعت بوطئها إياها بأقدامها طريقـاً عريضاً. ومن هذا الطريق؛ نزلت إليز إلى حافة الماء، وكان الماء صافياً جدا؛ حتى إنه لو لم تكن الأغصان والشـجيرات حوله تتحرك ذهاباً وجيئةً بفعل الريح؛ لخالت أنها مصـورةٌ على السطح الأملس؛ إذ كانت كل ورقة شجرٍ تنعكس عليـه بوضوحٍ؛ سواء كانت تتلألأ في ضوء الشمس أو توجد فـي الظل. وعندما رأت إليز وجهها في الماء فزعـت؛ إذ كـان يبدو شديد السمرة والدمامة. ولكـن؛ عنـدما بللـت يـدها

الصغيرة، وحكت جبينها وعينها؛ ظهرت البشرة مرة أخرى. وعلى هذا؛ خلعت ثيابها، وخطت إلى الماء العذب، واغتسلت فاستعادت جمالها، ولم تكن هناك في العالم بأسره ابنة ملـكٍ أجمل مما كانت تبدو عليه وقتذاك.

وبعد أن ارتدت ملابسها مرةً أخرى؛ وجدلت شـعرها الطويل في ضفائر؛ انطلقت إلى الينبوع الذي ينبثق منه الماء محدثاً فقاعاتٍ. وأخذت بعض الماء في راحة يدها وشـربته، ثم أخذت تهيم على وجهها في الغابة. كانت لا تعرف إلى أين هي ذاهبةٌ، ولكنها أخذت تفكر في أشقائها، وفي الله الكـريم الذي شعرت أنه لن يتخلي عنها أبداً، وأنه هو الـذي جعـل التفاح البرى ينمو ليطعم به الجائع، والذي دلها على شـجرةٍ انحنت أغصانها تحت ثقل ثمارها. وتناولت وجبة غذائها في ظل هذه الشجرة، ثم سندت الغصون إلى أعلـى، وسـارت تضرب في أشد أعماق الغابة ظلاماً. وكانت ساكنةً جدا حتى إنها استطاعت أن تسمع وقع قدميها، وحفيف كل ورقة شجرٍ صغيرةٍ جافةٍ تسحق تحتهما. ولم يشاهد أي طائر، ولم يكـن هناك شعاع واحد من أشعة الشمس ينفذ مـن خـلال أوراق الأشجار. وكانت جذوع الأشجار تنتصب متلاحمةً؛ حتى إنها

عندما تطلعت أمامها رأساً؛ خيل إليها أنها محاطـةٌ بتكعيبـة متشابكةٍ فوقها تكعيبةٌ متشابكةٌ. أواه؛ لقد كانت إليز في هـذه الغابة في عزلةٍ شديدةٍ؛ لم تعرفها قط من قبل.

وكان الليل شديد الظلام؛ إذ لم تكن هناك يراعةٌ واحـدةٌ ترسل ضوءها من الطحاب. وفـي حـزنٍ؛ اسـتلقت علـى الأرض لتنام، وعندئذٍ خيل لها أن الأغصان فوقها انفتحـت، ورأت ملاكاً يقف فوقها، ويبتسم لها؛ وحولـه ألـف ملـكٍ صغيرٍ. وعندما استيقظت في الصباح؛ لم تستطع أن تقول ما إذا كان هذا حلماً، أو أنه قد حدث فعلاً.

وسارت قليلاً، والتقت امرأةً عجوزاً؛ معها سلةٌ مليئـةٌ بتوت برى. وأعطتها المرأة العجوز بعض التـوت البـرى، وسألتها إليز عما إذا كانت قد رأت أحد عشر أميراً يركبـون الجياد في الغابة. فقالت المرأة العجوز: "لا؛ ولكنـى رأيـت أمس إحدى عشرة بجعةً؛ على رؤوسها تيجان ذهبيةٌ تسـبح أسفل الغدير بالقرب من هنا".

ثم اقتادت إليز إلى مسافةٍ أبعد قليلاً؛ حتى وصلتا إلـى شاطئ منحدرٍ؛ عند سفحه يجري غـدير صـغير. وكانـت الأشجار على كل جانب تمد أغصانها الطويلة المورقة نحـو

الأخرى. وفي الموضع الذي لم يكن من المستطاع أن تلتحم فيه التحاماً طبيعياً؛ انتزعت الجذور نفسها من الأرض؛ حتى تعمل الأغصان على مزج أوراقها؛ وهي تتدلي فوق المـاء. وودعت إليز المرأة العجوز، وأخذت تجول بجانب مجـرى الماء؛ إلى أن أقبلت إلى الموضع الذي يصل فيه إلى البحـر المفتوح.

وكان البحر العظيم الجميل يقع أمام عينى الفتاة، ولكنها لم تشاهد فيه سفينةً ولا قارباً؛ فكيف يتسنى لها أن تواصـل رحلتها؟ ولاحظت كيف جرفت الأمواج الأحجار الصـغيرة التي لا حصر لها على الشاطئ؛ فاتخذت شكلاً مستديراً بفعل الأمواج؛ وحيث الزجاج والحديد والحجر وكل شيء متنـاثر هناك في قالبٍ له قوام. ومع ذلك؛ فإن الماء الذي فعل هـذا؛ كان أرق من يد إليز الناعمة الصغيرة. وقالت: "إن الماء يلف في حركةٍ دائريةٍ بلا كللٍ؛ إلى أن يلين له كل ما هو صلب، وأنا لن أكون أقل منه جلداً. شكراً لكِ أيتها الأمواج المتدفقـة الصافية المتألقة للدرس الذي لقنتنى إياه، إن قلبى يحدثنى أنكِ سوف تحملينني يوماً إلى أشقائى الأعزاء".

وكانت هناك إحدى عشرة بجعةً؛ ريشها أبيض؛ ترقـد على حشيش البحر البليل؛ فجمعتهـا إليـز ووضـعتها مـع بعضها. وكانت تتراكم حولها قطراتٌ من الماء تسـتطيع أن تجزم؛ أهي قطراتٌ من الندى أم من الدموع. كان لا يؤنسها أحد على شاطئ البحر، ولكنها لم تعبأ بهذا؛ إذ كـان البحـر حافلاً بما يثير اهتمامها؛ فقد كان دائم الحركة والتغير، وكان بالنسبة لها جديداً أبداً. ولهذا؛ كان يقدم لها من المتعـة فـي بضع ساعاتٍ أكثر مما استطاعت المياه في داخل الـبلاد أن تقدمه لها في عامٍ كاملٍ. فعندما كانت سحابةٌ سوداء تمر عبر السماء؛ كان البحر يبدو وكأنه يقول: "أنا أيضاً يمكن أن أبدو حالك الظلام". وعندئذٍ؛ تهب الريح، وتقذف الأمواج زبـدها الأبيض، ولكن عندما كانت السحب تتألق بلونٍ أحمر لامـعٍ، وتسكن الرياح؛ يصبح البحر مثل ورقة وردٍ تكون خضـراء حيناً، وبيضاء حيناً آخر. ومع ذلك؛ فإنه مهما كان سـطحه الزجاجي ناعماً أملس؛ تحدث دائماً حركـةٌ ضـئيلةٌ قـرب الشاطئ؛ عندما تعلو الأمواج وتهبط مثل صدر طفلٍ نـائمٍ. ولما غربت الشمس؛ رأت إليز إحدى عشرة بجعـةً؛ علـى رؤوسها تيجان ذهبيةٌ تطير نحو البر؛ الواحدة وراء الأخرى؛

وتبدو مثل شريطٍ طويلٍ أبيض. وصعدت إليز على المنحدر من الشاطئ، واختبأت وراء شجيرةٍ. وهبط البجع بالقرب منها؛ يرفرف بأجنحته الطويلة البيضاء.

وبينما كانت الشمس تغوص تحت الماء؛ سقط ريش البجع، ووقف بجانبها أحد عشر أميراً وسيماً؛ هم أشقاؤها؛ فأطلقت إليز صرخةً مدويةً، إذ عرفتهم على الرغم من أنهم تغيروا كثيراً، وأحست بأنهم لابد أن يكونوا أشقاءها. وعندئذٍ؛ ألقت بنفسها بين أذرعهم، ونادتهم بأسمائهم؛ فغمرت السعادة قلوب الأمراء لرؤية شقيقتهم التي نما جسمها، وأصبحت الآن فارعة الطول رائعة الجمال، وضحكوا وبكوا، وروى كل واحدٍ منهم للآخر ما فعلته بهم امرأة أبيهم من شر. وقال الأكبر: "نحن الإخوة نطير أو نسبح طالما أن الشمس ظاهرةٌ في السماء، ولكن ما إن تغرب حتى نعود للظهور ثانيةً في صورتنا الآدمية. ومن ثم؛ فإننا ملزمون بأن نبحث عن مكان آمن نستريح فيه؛ قبل غروب الشمس؛ لأننا إذا كنا نطير وسط السحب في ذلك الوقت؛ فسوف نسقط في البحر حالما نسترد صورتنا الآدمية، ونحن لا نقيم هنا. وأرض جميلةٌ مثل هذه؛ تقع على الجانب الآخر من البحر، ولكنها ليست

بعيدة جدا. وللوصول إليها؛ لابد من أن نعبر المياه العميقـة، وليست هناك جزيرةٌ في الوسط نستريح عليها أثنـاء الليـل. وهناك صخرةُ صغيرةٌ وحيدةٌ ترتفع فوق الأمواج؛ نجد فيهـا مكاناً كافياً لأن نقف عليه جنباً إلى جنبٍ؛ وهنـاك نمضـى الليل، ونحن في صورتنا الآدمية. وعندما يهيج البحر ينـدفع الزبد إلينا، ولكننا نحمد الله على وجود هذه الصخرة؛ فلولاها ما استطعنا أن نزور وطننا أبداً، ولا يتاح لنا أن نقوم بهـذه الزيارة لوطننا؛ إلا مرةً واحدةً كل عامٍ؛ إذ إننا نحتـاج إلـى يومين من أطول الأيام للقيام برحلتنا، ولا نستطيع أن نبقـي هنا سوى أحد عشر يوماً؛ نحلق خلالها فوق الغابة الكبيـرة؛ فنستطيع أن نرى القصر الذي ولدنا فيه، والذي يقـيم فيـه والدنا، ونرى المكان الذي دفنت فيه أمنا، وهنا تبدو الأشجار والشجيرات كأنها تمت لنا بصلة القرابة. ولا تـزال الجيـاد البرية تتسابق عبر السهول؛ كما اعتادت أن تفعل فـي أيـام طفولتنا. ولا يزال صانع الفحم النباتى يترنم بنفس الأغنيـة القديمة التي اعتدنا أن نرقص على ألحانها في صبانا. وهـذا وطننا الذي تجذبنا إليه عرى الحب الوثيقة، وها نحـن قـد وجدناكِ يا شقيقتنا الصغيرة العزيزة. وأمامنا يومان؛ نبقـي

فيهما هنا، وبعدهما علينا أن نطير عبر البحـر إلـى أرضٍ جميلةٍ حقا، ولكنها ليست وطننا. فكيف يتسنى لنا أن نأخـذكِ معنا؛ وليس لدينا سفينةٌ ولا قارب".

وقالت الشقيقة: "كيف لي أن أبطل عمل هذا السـحر؟".

ومضوا يتحدثون على هذا النحو طوال الليل تقريبـاً، ولـم يناموا إلا بضع ساعاتٍ. واستيقظت إليز على صوت حفيف أجنحةٍ، ورأت طيور البجع ترفرف فوقها؛ فقد تغير أشقاؤها مرةً أخرى إلى بجعٍ. وظلت هذه الطيور بعض الوقت تحلق حولها في دوائر أخذت تتسع وتتسع؛ إلى أن طارت أخيـراً بعيداً عنها. وبقي أحدها؛ وكان أصغر أشقائها، ووضع رأسه في حجرها، وأخذت تربت على جناحيه الأبيضـين، وظـلا طوال النهار معاً.

وحوإلى المساء؛ عاد الآخرون. وعندما غربت الشمس؛ وقفوا مرةً أخرى على الأرض الصلبة في صورهم الطبيعية. وقالوا: "غداً سوف نطير بعيداً، وربما لا نعود إلا بعد عـامٍ، ولكننا لا نستطيع أن نترككِ هنا؛ فهل لـديكِ الشـجاعة لأن تمضى معنا؟ إن لنا أذرعاً قويةً نستطيع أن نحملكِ بها خلال الغابة. أليست لنا أجنحةٌ قويةٌ تكفي لأن نطير عبر البحـر؟".

فقالت إليز: "نعم؛ خذوني معكم". وأمضوا الليل بأسره ينسجون حصيرةً من لحاء شجر الصفصاف اللدن والأسل الصلب. وكانت الحصيرة التي نسجوها سميكةً ومتينةً؛ فاستلقت عليها إليز.

وعندما أشرقت الشمس وتحول الأشقاء مرةً أخرى إلى طيور بجعٍ بريةٍ؛ أمسكوا بمناقيرهم الحصيرة، وحلقوا عالياً وسط السحب؛ ومعهم شقيقتهم العزيزة، وكانت لا تزال نائمةً. وعندما سقطت أشعة الشمس على وجهها؛ حلق أحد طيور البجع فوق رأسها وظللها بجناحيه العريضين.

وكانوا بعيدين عن البر؛ عندما استيقظت إليز. وظنت أنها تحلم؛ إذ بدا لها الأمر غريباً جدا أن تشعر بأنها محمولةٌ عالياً في الهواء فوق البحر. وكان بجانبها عنقود من التوت البرى الجميل، وحزمةٌ من الدرنات الحلوة؛ كان شقيقها الأصغر قد جمعها لها، ووضعها هناك؛ فشكرته بابتسامةٍ؛ لأنها عرفت أنه البجعة التي طارت فوق رأسها، وظللتها بجناحيها. وحلقت الطيور عالياً جدا؛ حتى إن أول سفينةٍ رأوها تحتهم؛ بدت كأنها طائر نورس أبيض يحوم فوق الماء. ورأت إليز خلفها سحابةً كبيرةً بدت لها مثل الجبل؛

ارتسمت عليها ظلالٌ ضخمةٌ لها واطيور البجع الأحد عشر، وكانت على وجه الإجمال تشكل صورةً أجمل من أي صورةٍ رأتها من قبل. ومهما يكن من أمر؛ فإن الشمس سرعان مـا ارتفعت، وتركت السحابة خلفها، فاختفت الصورة الظلية.

واستمرت طيور البجع طوال النهار تطير كسهمٍ منطلقٍ في الهواء؛ بيد أنها كانت تمضى بسرعةٍ أبطأ من المعتـاد؛ لأنهم كانوا يحملون معهم شقيقتهم. وهناك؛ بدا أن عاصـفةً تنذر بالهبوب، وأن الليل يقترب؛ فأخذت إليز ترقب الشـمس في قلق... لقد كانت تغرب. ومع ذلك؛ فإن أحداً لم يسـتطع أن يرى الصخرة الوحيدة. وتبينت أن طيور البجـع كانـت تطوى وتبسط أجنحتها بسرعةٍ أكبر وأكبر. وا أسفاه؛ إذا لـم يصل أشقاؤها إلى الصخرة في الوقت المناسب؛ فسوف يكون ذلك بسبب غلطتها هى؛ إذ إنهم سوف يصبحون بشراً؛ عندما تغرب الشمس، ولابد أن يسقطوا في البحـر، ثـم يغرقـوا. وتضرعت إلى الله بحرارةٍ شديدةٍ، ومع ذلـك؛ لـم تظهـر الصخرة للأنظار. واقتربت السحابة السوداء، وأنذرت هبات الريح بعاصفةٍ قادمةٍ؛ في حين أنطلقت موجةٌ منذرةٌ بومضاتٍ

متتاليةٍ من البرق قادمةٍ من كتلةٍ من السحب؛ بدا أنها تتحرك إلى الأمام مثل طلقات الرصاص.

وكانت الشمس وقتذاك على حافة البحر. وأخذ قلب إليز يدق بسرعةٍ، ومرقت طيور البجع إلى أسفل بسرعةٍ كبيـرةٍ؛ حتى خيل لها أنها سوف تسقط لا محالة، ولكن فـي خـلال لحظة أخرى؛ بدأت تحلق عالياً مرةً ثانيةً. وكانت الشمس قد غاص نصفها تحت الماء، وها هـي الآن تـرى الصـخرة الصغيرة تحتها؛ وقد بدت مثل رأس كلاب البحر عندما يرفعها تماماً فوق الماء. وأخذت الشمس تغوص بسـرعةٍ، وبـدت كأنها لا تزيد في الحجم عن نجمٍ؛ عندما لمست قدمها الأرض الصلبة، وما هي إلا لحظةٌ حتى توارت كلها عن الأنظـار؛ كأنها آخر شرارةٍ في قطعةٍ مشتعلةٍ من الورق. ووقف حولها أشقاؤها؛ وأذرعهم متشابكةٌ؛ فهناك مكان يتسع لهـا ولهـم. وكان البحر يلاطم الصخرة بوحشيةً، ويقذفها بشـؤبوبٍ مـن الزبد. وبدت السماء متوهجةً بالومضات المسـتمرة، وأخـذ هزيم الرعد يتوالى، ولكن الشقيقة والأشقاء ظلـوا يمسـكون بأيدى بعضهم بعضاً، وترنموا بأنشودةٍ دينيةٍ؛ فأضفت عليهم تلك الأنشودة السلوى، وبثت فيهم الشجاعة.

وعندما انبلج الفجر؛ كان الهواء نقياً وسـاكناً. وحالمـا أشرقت الشمس؛ طار البجع بعيداً مع إليز من فوق الصخرة؛ والبحر لا يزال هائجاً. ومن السحب بدا الزبد الأبيض الـذي يعلو قمم الأمواج الداكنة الخضراء؛ كأنه ملايين من البجـع تسبح فوق المياه.

وعندما تقدم النهار؛ رأت إليز أمامها سلسلة من الجبال سابحةً في الهواء؛ على قممها كتلٌ من الثلج المتـألق، وفـي وسطها انتصبت قلعةٌ طولها ميلٌ على الأقل، وفيها صـفوفٌ من الأعمدة الواحد منها فوق الآخر. في حين؛ نمت حولهـا أشجار نخيلٍ وأزهار بديعة المنظر وكبيرةٌ في حجم دواليـب الطاحون. واستفسرت عما إذا كانت هذه هي الأرض التـي يطيرون إليها؛ فهزت طيور البجع رؤوسها؛ لأن ما رأته هو القلعة الجميلة من السحاب للجنية مرجانا؛ وهي تتغير دائماً، ولا يستطيع مخلوق من بشر أن يدخلها.

وبينما كانت إليز توجه أنظارها إلـى القلعـة؛ اختفـت الجبال والأشجار والقلعة جميعاً، وانتصب مكانها عشـرون مبنى مهيب المنظر؛ له أبراج عاليةٌ ونوافذ بـارزةٌ. وخيـل إليها أنها سمعت أرغناً يعزف، ولكنه لم يكن إلا خرير مـاء

البحر. وعندما اقتربوا من هذه المبانى؛ تحولت هي أيضاً إلى أسطولٍ كبيرٍ من السفن تسير تحتهم. وتطلعت إلـى أسـفل؛ فتبينت أنه لم يكن إلا ضباب البحر؛ وهو يمر بسرعةٍ فـوق الماء. وظلت هذه المناظر الغريبة تسبح أمام عينيها؛ إلى أن رأت أخيراً الأرض الحقيقية التي كانوا ذاهبين إليها بجبالهـا الزرقاء، وغاباتها الحافلة بأشجار الأرز، ومدنها وقلاعهـا. وقبل غروب الشمس بوقتٍ طويلٍ؛ جلست إليز بين الجبـال؛ أمام كهفٍ كبيرٍ؛ تنمو حوله نباتاتٌ متسلقةٌ نضـرةٌ رقيقـةٌ؛ بحيث بدت الأرض كأنها مكسوةٌ بسجاجيد مطـرزةٍ زاهيـة الألوان.

وقال لها شقيقها الأصغر؛ وهو يريها الغرفة التي تقرر أن تنام فيها: "والآن؛ سوف نرى ما تحلمين به الليلة". فقالت: "أواه؛ إن في وسعى أن أحلم كيف يمكن أن تتخلصـوا مـن السحر"؛ إذ كانت لا تستطيع أن تفكر في أي شـيء آخـر. وأخذت تصلي بحرارةٍ، وتسـأل الله العـون. ولـيس ذلـك فحسب، بل إنها استمرت تصلي حتى في الأحلام، وخيل لها أنها تحلق عالياً في الهواء؛ نحو قلعة الجنية مرجانا. وتقدمت الجنية لملاقاتها؛ وهي تتألق نوراً وجمالاً. ومع ذلك؛ فقد خيل

إليها أنها تبدو مثل المرأة العجوز التي أعطتها حبـاتٍ مـن التوت البرى في الغابة، وأخبرتها بطيور البجع؛ ذات التيجان الذهبية، وقالت لها: "تستطيعين أن تخلصى أشقاءك، ولكـن هل لديكِ ما يكفي من الشجاعة والصبر؟ حقا؛ إن الماء أكثر ليناً من يديكِ الرقيقتين، ومع ذلك فإنه يشكل الأحجار الصلبة وفق إرادته؛ بيد أنه لا يمكن أن يحس بالألم الذي تحس بـه أناملك الرقيقة؛ فهو لا قلب له، ولا يستطيع أن يحتمل معاناة القلق والحزن اللذين لابد أن تكابديهما. هل تـرين نباتـات القراص اللاذعة التي في يدى؟ إن هناك منها الكثير؛ حـول الكهف الذي تنامين فيه. وإن ما ينمو منها هنـاك، أو علـى القبور في ساحة الكنيسة؛ هي وحدها النباتات التي لها فائدةٌ؛ فلا تنسى هذا، وعليكِ أن تقطفيها؛ ولو لدغت يدك. وعليـكِ أن تدوسى عليها بقدميكِ، وأن تحصلي منها علـى غـزلٍ. وبهذا عليكِ أن تنسجى أحد عشر قميصاً لها أكمام طويلـةٌ. وعندما يتم صنعها كلها؛ بادرى بإلقائها على طيـور البجـع البرية الأحد عشر، وبذلك يزول أثر السحر. ولكن لاحظى؛ عليكِ ألا تنبسى بكلمةٍ واحدةٍ من اللحظة التي تبـدئين فيهـا عملكِ؛ حتى يتم إنجازه؛ ولو استغرق منكِ سـنواتٍ. فـأول

مقطعٍ هجائي يفلت من شفتيكِ؛ سوف يغمد كخنجرٍ في قلوب أشقائكِ. إن حياتهم تتوقف على ضبط لسانكِ؛ فلاحظي هـذا جيداً". وفي نفس اللحظة؛ مست الجنية يـدي إليـز بنبـات القراص؛ فجعلتهما يلتهبان كما لو مستهما نـار؛ فاسـتيقظت إليز.

كان نور النهار يغمر ما حولها؛ وبالقرب منهـا نبـات قراصٍ مثل الذي رأته في الحلم؛ فركعـت علـى ركبتيهـا، وحمدت الله، ثم انطلقت خارجةً من الكهف؛ لتبـدأ عملهـا؛ فقطفت بيديها الرقيقتين نباتات القراص اللاذعـة الدميمـة؛ فأصابت يديها وذراعيها بقروحٍ كبيرةٍ؛ ولكنها تحملت الألم؛ وهي راضيةٌ؛ إذ كان يراودها الأمل في تخلـيص أشـقائها الأعزاء. ثم داست على نباتات القراص بقدميها الحـافيتين، وأخذت تفتل الغزل الأخضر. وعند الغروب؛ أقبل أشـقاؤها، وأفزعهم صمت إليزا، وظنوا أنه من أثر عملٍ جديـدٍ مـن أعمال السحر من زوجة أبيهم الشريرة. ولكـن عنـدما رأوا يديها المتقرحتين؛ عرفوا ما كانت تفعله شـقيقتهم لأجلهـم؛ فبكي الشقيق الأصغر، وعندما سقطت دموعه على يديها؛ لم تعد إليز تحس بالألم، واختفت القروح.

وأمضت طوال الليل في عملها؛ لأنها لم تستطع أن تخلد للراحة قبل أن تخلص أشقاءها. وفي اليوم التـالي؛ جلسـت بمفردها لا يؤنسها أحد لأن طيور البجع طارت بعيداً، ولكن الوقت لم يمر عليها قط بمثل هذه السرعة. كانت قد جهـزت قميصاً، وبدأت الآن في إعداد القميص الثانى.

وفجأة؛ تردد بين الجبال صوت بوقٍ للصـيد؛ جعلهـا تجفل من الفزع. واقترب الصوت وسمعت الكـلاب تنـبح. وفي فزعٍ شديدٍ؛ فرت إلى داخل الكهف، وربطت في حزمةٍ نباتات القراص التي كانت قد جمعتها وشـذبتها، وجلسـت عليها.

وما إن فعلت هذا؛ حتى قفز من الشجيرات كلب كبيـر، واعقبه مباشرةً كلبان آخران، وأخذا ينبحان بصـوتٍ عـالٍ، وركضا بعيداً، ثم عادا. ولم يمـض وقـتٌ؛ حتـى وقـف الصيادون أمام الكهف. وكان أجمل رجلٍ بينهم هو ملك ذلك البلد الذي اقترب من إليز لأنه لم ير قط فتاةً أجمل منها.

وقال: "كيف جئتِ إلى هنا؛ أيتهـا الطفلـة الجميلـة؟". فهزت إليز رأسها؛ إذ لم تجرؤ على أن تـتكلم؛ لأن كلمـةً

واحدةً قد تكلفها حياة أشقائها. وأخفت يديها تحت مئزرهـا؛ لئلا يرى الملك مدى ما تقاسيه.

وقال: "تعالى معى؛ إذ يجب ألا تبقي هنـا! وإذا كنـتِ تتحلين بالأخلاق الحميدة؛ كما تتحلين بالجمال؛ فسوف ألبسكِ ثياباً من القطيفة والحرير، وأضع تاجاً مـن الـذهب علـى رأسكِ، وسوف تقيمين في قصرى!". وعلى هذا؛ رفعها على ظهر جواده، وأخذت تبكي وتعصر يديها، ولكن الملك قـال لها: "إنما أبغى سعادتكِ؛ وسوف تشكرينني يوماً على هـذا". وامتطى صهوة الجواد، ومضى عبر الجبال والوديان؛ وهـو يحملها أمامه على ظهر جواده؛ في حين أعقبـه الصـيادون الآخرون. وعندما غربت الشمس؛ كانـت عاصـمة الملـك بكنائسها وقبابها ماثلة أمامهم؛ فاقتاد الملك إليز إلـى داخـل القصر الذي كانت فيه نافوراتٌ بقاعدةٍ عاليةٍ مـن الرخـام تقذف بمياهها باستمرارٍ، وكانت تغطى الجدران والسقف فيه أجمل اللوحات. ولكن إليز لم تهتم بكل هذه الأبهة والـرواء. وأخذت تبكي وتنوح في صمتٍ؛ حتى عندما ألبستها بعـض الخادمات ثياباً ملكية، ووضعن في شـعرها لآلـئ ثمينـة، ووضعن يديها المقرحتين في قفازين ناعمين.

ولما وقفت أمامهم؛ وهي ترتدي ملابسها الفاخرة؛ كـان جمالها فاتناً يبهر البصر؛ حتى إن الحاشية جميعـاً انحنـوا أمامها انحناءةً كبيرةً، واختارها الملك لتكون عروسـاً لـه. ولكن رئيس الأساقفة هز رأسه، وهمـس قـائلاً: "إن سـيدة الغابة الجميلة ليست إلا ساحرة أعمت عيونهم، وفتنت قلـب الملك". ولكن الملك لم يستمع إليه، وأمر بعزف الموسـيقى، وقدمت أشهي أطباق الطعام وأغلاها. ورقصت أجمل الفتيات حول العروس، واقتادوها خلال حدائق عطرةٍ إلـى قاعـاتٍ فخمةٍ، ولكن لم تفتر شفتاها عن ابتسامةٍ واحدةٍ، ولم تلمع في عينيها نظرةٌ مشرقةٌ، وبدت صورةً للحزن الشديد.

وفتح الملك بعد ذلك حجرةً صغيرةً تقـع بعـد غرفـة نومها، وكانت الأرضية مغطاةً بسجاجيد ثمينـةٍ خضـراء، وتبدو بالضبط مثل الكهف الذي وجدت فيه. وكانـت فيهـا حزمة الغزل الذي قد فتلته من نباتات القـراص، وبجانـب الحجرة كان القميص الذي صنعته معلقاً. وكان أحد الصيادين قد أحضر كل هذا؛ وهو يعتقد أنه لابد أن يكون فيـه شـيء عجيب. وقال الملك: "هنا يمكنكِ أن تحلمى بموطنكِ، وها هو العمل الذي كنتِ تقومين به هنـاك. ووسـط كـل أبهتـكِ

الحاضرة؛ قد يكون من الممتع أن تتخيلي نفسكِ هناك مـرةً أخرى". وعندما رأت إليز ما هو حبيب إلى قلبها؛ ابتسـمت، وعاد الدم إلى وجنتيها. وكانت لا تزال تفكر في أن أشقاءها يمكن أن يتخلصوا من فعل السحر؛ فقبلت يد الملك؛ فضـمها إلى صدره، وأمر بأن تقرع الأجراس في كل المدينة لإعلان زواجهما؛ إذ كان من المقرر أن تصبح فتاة الغابـة البكمـاء ملكة على البلاد.

وهمس رئيس الأساقفة في أذن الملك بكلمـات خبيثـةٍ، ولكنه لم يعرها التفاتاً. وتزوج هو وإليز؛ واضـطر رئـيس الأساقفة نفسه إلى أن يضع التاج على رأسها. وفـي غمـرة غضبه؛ ضغط الحافة الضيقة على جبينها بقوةٍ حتى يؤلمهـا. ولكن كان يرين على قلبها هم ثقيلٌ من أجل أشـقائها؛ فلـم تحس بأي ألمٍ جسمانى. وكانت لا تزال تلازم الصـمت؛ لأن كلمةً واحدةً كفيلةٌ بأن تقضى على أشقائها. ولكن عينيها كانتا تشعان بالحب الصادر من القلب للملك الـذي كـان كريمـاً ووسيماً للغايةٍ، والذي فعل الكثير لكي يجعلها سعيدةً. لقد أخذ حبها له يزداد يوماً بعد يومٍ. أوه؛ كم كانت تود أن تكاشـفه بأحزانها، ولكن كان لزاماً عليها أن تلازم الصمت؛ إذ إنهـا

لن تستطيع أن تتكلم حتى تنتهي من عملها وعلى هذا؛ كانت في كل ليلةٍ تتسلل بعيداً، وتذهب إلى الحجرة الصغيرة التـي أعدت على غرار الكهف. وهناك؛ كانت تعمل فـي حياكـة قمصانها، ولكن ما إن شرعت في عمل السابع؛ حتى كان كل غزلها قد نفد. وكانت تعرف أن نباتات القراص تنمـو فـي ساحة الكنيسة، ولكن كان عليها أن تجمعها بنفسها، ولم تكن تعرف كيف تحصل عليها.

وقالت لنفسها؛ وهي تفكر: "ما أهون الألم الذي أحس به في أصابعى إذا ما قورن بما يقاسى منـه قلبـى. لابـد أن أجازف بالذهاب إلى ساحة الكنيسة؛ فالله اللطيـف لا يـزال يرعانى!". وكانت خائفة كأنها توشك أن تقوم بعمـلٍ غيـر مشروعٍ؛ عندما نزلت إلى الحديقة في ليلةٍ مقمرةٍ. وسـارت خلال الممرات الطويلة في الطريق الوحيد المـؤدى لسـاحة الكنيسة. ورأت عدداً من السـاحرات العجـائز الـدميمات؛ يجلسن على شاهد قبرٍ من أعرض شواهد القبـور، وخلعـن ثيابهن الرثة؛ كما لو كن يعتزمن الاستحمام، وأخذن يحفـرن بأصابعهن النحيلة الطويلة في الحشيش الغـض الأخضـر، واجتذبن أجداث الموتى والتهمن لحمها. واضطرت إليز إلى

أن تمر بالقرب منهن، فحدجتها الساحرات بنظراتٍ ثابتةٍ من عيونهن الخبيثة، ولكنها تلـت صـلاتها، وجمعـت نباتـات القراص اللاذعة وأخذتها، وعادت بها داخل القصـر، ولـم يرها إلا شخص واحد هو رئيس الأساقفة؛ فقد كـان يظـل ساهراً في الوقت الذي ينام فيـه الآخـرون. وهنـا؛ راوده إحساس أكيد بأن كل شيء تقوم به الملكة لم يكن سليماً خالياً من الخطأ، ولابد أنها ساحرةٌ؛ كسبت بسحرها قلوب الملـك والناس جميعاً.

لقد أبلغ الملك بما رآه، وما يخشاه. وعنـدما صـدرت كلمات القذف من شفتيه هزت تماثيل القديسين رؤوسها؛ كما لو كانت تريد أن تقول: "هذا غير صحيحٍ؛ إليز بريئةٌ". ولكن رئيس الأساقفة؛ فسر هذا النذير بطريقةٍ أخرى؛ فقد رأي أنه دليل إثباتٍ ضدها، وأن التماثيل المقدسة إنما هزت رؤوسها؛ عندما علمت بخطيئتها.

وسالت دمعتان كبيرتان على خدى الملك، وعـاد إلـى البيت والشك يخامره، وتظاهر بالنوم في الليل؛ على الـرغم من أن النوم لم يطرق جفنيه أبداً. ولاحـظ أن إليـز كانـت

تنهض من فراشها كل ليلةٍ. وفي كل مرةٍ؛ كان يتعقبها سراً؛ فيراها تدخل حجرتها الصغيرة.

وكان وجهه يزداد قتامةً كل يومٍ. ولاحظت إليز هـذا؛ وإن لم تعرف السبب. واشتد بها الألم إلى جانب مـا كـان يقاسيه قلبها من أجل معاناة أشقائها، وسالت دموعها المفعمة بالحزن والأسى على الزى الملكي والشعار الأرجواني الذي يبدو مثل الماسات المتألقة، وكان كل من يرى العظمة التـي تحيط بها؛ يود لو كان في موضعها. وكانت في هذا الوقـت قد انتهت تقريباً من عملها، ولم يكن ينقصها سـوى قمـيصٍ واحدٍ. ولسوء الحظ؛ كان الغزل أيضاً ناقصاً؛ إذ لم يبق لديها نبات قراص واحد.

ومرةً أخرى؛ كان عليها أن تذهب هذه المرة فقط إلـى ساحة الكنيسة، وتجمع كمياتٍ صغيرةً منه. وارتعدت فرقـاً؛ عندما فكرت في سيرها وهي منفـردةٌ، وفـي السـاحرات المرعبات. ولكن عزمها كان قوياً لا يتزعزع؛ مثـل ثقتهـا بالله. وانطلقت إليز، وسار وراءها الملك ورئيس الأسـاقفة، وشاهداها تختفي عند باب ساحة الكنيسة. وعندما اقتربا منها؛ شاهدا الساحرات جالساتٍ على شواهد القبور؛ كما شاهدتهن

إليز؛ فاستدار الملك مبتعداً؛ لأنه اعتقد أنها؛ وهي التي كانت تسند رأسها على صدره في تلك الليلة بالذات؛ كانت بيـنهن. وقال: "فليحكم عليها الناس".

وحكم عليها الناس بأن تحرق؛ فجرت من قصر الملـك الفاخر، وزج بها في سجنٍ مظلمٍ رطبٍ؛ كانت الرياح تصفر فيه؛ من خلال نوافذه المحاطة بقضبانٍ. وبدلاً مـن القطيفـة والحرير أعطوها حزمة نباتات القراص التـي كانـت قـد جمعتها. وكان عليها أن تضع رأسها على تلك الحزمة، وأن تستخدم القمصان التي كانت قد نسجتها كحشيةٍ ولحافٍ. ولكن لم يكن في وسعهم أن يقدموا لها شيئاً ترحب به أكثـر مـن هذا؛ فواصلت عملها وأخذت في الوقت نفسه تصلي وتـدعو الله بحرارةٍ. وأخذ الأولاد يتفوهون بأغـانٍ فاضـحةٍ تـدور حولها؛ أمام سجنها، ولم يواسها شخص واحد بكلمـة حـب واحدةٍ.

وعندما أوشك المساء أن يحل؛ سمعت حفيـف أجنحـة بجعٍ عند الشبكة الحديدية. لقد كان هذا هو شقيقها الأصـغر الذي عثر عليها أخيراً؛ فنشجت بصوتٍ عالٍ من الفرح؛ على الرغم من معرفتها بأنها ربما لن تعيش إلا ليلةً واحدةً، ولكن

ها هي توشك أن تفرغ من عملها، وها هم أشقاؤها قريبـون منها.

وأقبل رئيس الأساقفة؛ ليمضى معها الساعة الأخيـرة؛ كما كان قد وعد الملك، ولكنها هزت رأسها، وتوسلت إليـه بالنظرات والإشارات أن ينصرف. ذلك؛ لأنها في هذه الليلة يجب أن تفرغ من عملها؛ وإلا فإن كل ما قاسته وما كابدتـه من ألمٍ وقلقٍ، ولياليها التي لم تذق فيها طعم النـوم؛ سـوف تضيع سدى. وانصرف رئيس الأساقفة؛ وهو يسبها بكلمـاتٍ غاضبةٍ كثيرةٍ. ولكن إليز المسكينة كانت تعرف أنها بريئـةٌ تماماً؛ فواصلت عملها. وجرت حولها فئران صغيرةٌ بهمـةٍ ونشاطٍ، وجرت إلى قدميها نباتـات القـراص محاولـةً أن تساعدها، وجثم عندليب على القضبان الحديدية، وأخذ يغـرد طوال الليل في مرحٍ بقـدرٍ اسـتطاعته؛ حتـى لا تخونهـا شجاعتها.

وقبل شروق الشمس بساعةٍ؛ وقف الأشقاء الأحد عشـر أمام بوابات القصر، وتوسلوا أن يمثلوا أمام الملك. ولكن قيل لهم أن هذا لا يمكن أن يحدث؛ إذ كان الوقت لا يزال لـيلاً؛ والملك نائم؛ وهم لا يجرؤون على إيقاظه. وعبثـاً توسـلوا

وهددوا، وجاء الحرس. وأخيراً؛ خرج الملك نفسه؛ ليستفسر عن الأمر. وفي تلك اللحظة؛ أشرقت الشمس، ولم يعد أحـد يرى الأشقاء، وطارت فوق القصر إحـدى عشـرة بجعـةً بيضاء. وتدفق الناس من أبواب المدينة؛ ليـروا السـاحرة؛ وهي تحرق. وجر جواد تعس عربة النقل التي كانت تجلـس فيها إليز؛ وكانت ترتدي ثوباً خشناً من الخـيش، وشـعرها الطويل الجميل يتدلي مسـترخياً علـى كتفيهـا، ووجنتاهـا شاحبتان شحوب الموتى، ولكن شفتيها كانتا تتحركـان فـي رقةٍ، وأصابعها تنسج الغزل الأخضر؛ لأنها حتى وهي في طريقها إلى موتها الغاشم لم تتخـل عـن عملهـا. وكانـت القمصان العشرة ملقاةً تحت قدميها. وكانت في ذلك الوقـت منهمكةً في إتمام صنع القميص الحادى عشر. وأخذ الجمهور يسبها؛ قائلاً: "انظروا إلى الساحرة، وكيف تتمتم!"... "إنها لا تحمل في يدها سفراً تقرأ فيه"... "لا؛ ها هي تجلس؛ ومعهـا حصيلة شعوذتها"... "انتزعوها منها، ومزقوها إلـى ألـف قطعةٍ!"...

وتجمهروا جميعاً حولها، وكانوا على وشك أن يختطفوا منها القمصان؛ عندما أقبلت إحدى عشرة بجعةً بيضاء؛ تحلق

طائرةً نحو عربة النقل، وجثمت كلها حولها، وأخذت ترفرف بأجنحتها؛ فتفرق الجمع في فزعٍ. وهمس البعض يقولون؛ إذ إنهم لم يجسروا على أن يقولوا ذلك بصوتٍ مرتفعٍ: "إن هذا نذير من السماء! إنها بلا شك بريئةٌ!".

وأمسك الجلاد بيدها؛ ليخرجها من عربة النقل، ولكنهـا سارعت بإلقاء الأحد عشر قميصاً على البجع؛ فظهر مكانها أحد عشر أميراً وسيماً. وكان لأصغرهم ذراع واحدةٌ وجناح بدلاً من الذراع الأخرى؛ لأن أحد كمى قميصه لم يكـن قـد اكتمل صنعه تماماً.

وقالت: "الآن يمكنني أن أتكلم... أنا بريئـةٌ". فـانحنى أمامها الناس الذين كانوا قد شهدوا ما حدث. ومهما يكن من أمرٍ؛ فإنها ألقت بنفسها؛ وهي خائرة القوى وكأنها جثةٌ هامدةٌ في أحضان أشقائها؛ فقد أنهك قواها تماماً الخوف والحـزن. وقال شقيقها الأكبر: "أجل؛ إنهـا بريئـةٌ"، وروى قصـتهم العجيبة. وبينما كان يتكلم؛ انتشر حولها شذا كأنه صادر من ملايين الورود؛ لأن كل قطعةٍ من الخشـب فـي المحرقـة الجنازية نبتت لها جذور، وانبثقت منها أغصان، وأحاط بإليز سياج من الورود الحمراء المزهرة. وفـوق كـل الـورود

الأخرى؛ تفتحت زهرةٌ لونها أبيض يبهر البصر؛ تتألق مثـل نجمٍ فقطفها الملك، ووضعها على صدر إليز. وعندئذٍ؛ أفاقت؛ وهي مطمئنةٌ قريرة العين. وبدأت كل الأجراس تـدق مـن تلقاء نفسها، وحلقت الطيور إلى هذا الموضع فـي أسـرابٍ حاشدةٍ، وكان موكب العودة إلى القصر بهيجاً؛ لا يضـارعه موكب لأي ملكٍ.

الراعى

يحكي أنه كان هناك أمير فقير؛ لـه مملكـةٌ. وكانـت مملكته صغيرةً، ولكنها كانت كبيـرةً؛ لدرجـةٍ تكفـي لأن يتزوج. وقد أراد أن يتزوج.

وكان اسمه معروفاً في كل ناحيةٍ، وكانت هنـاك مئـة أميرةٍ؛ كل واحدةٍ منهن على استعدادٍ لأن ترد عليه؛ إذا مـا سألها هل تقبل أن تكون زوجاً له بقولها: "نعم"، و"شكراً لك"، و"بكل سرورٍ". ولكنه أراد أن يتزوج ابنة الإمبراطور.

واتفق أن نبتت على قبر والد الأمير شجرة وردٍ جميلـةٌ جدا، وكانت لا تزهر إلا مرةً واحدةً كـل خمـس سـنواتٍ وحتى عندئذٍ؛ كانت لا تحمل إلا وردةً واحدةً. ولكن يا لهـا من وردةٍ! لقد كانت حلوةً جدا؛ حتى إن كل من يشم شـذاها؛ ينسى همومه وأحزانه.

وفضلاً عن ذلك؛ كان للأمير عندليب يستطيع أن يغـرد؛ كما لو كانت كل الألحان الحلوة تسكن في حنجرته الصـغيرة. وعلى هذا؛ وضع الوردة والعنـدليب فـي علبتـين فضـيتين للمجوهرات؛ وبعث بهما إلـى الأميـرة. وأمـر الإمبراطـور

بإحضارها إلى قاعةٍ فسيحةٍ؛ حيث كانت الأميرة منهمكةً في جولةٍ تفتيشيةٍ مع وصيفات الشرف. وعندما رأت علبتى المجوهرات اللتين تحويان الهدايا صفقت بيديها جذلاً، وقالت: "أوه؛ آمل أن تكون قطةً صغيرةً"، ولكنها أخرجت شجرة الورد بزهرتها الجميلة؛ فقالت كل سيدات الحاشية: "أواه؛ ما أجمل صنعها!". وما إن لمستها الأميرة حتى أوشكت أن تطلق صرخةً، وقالت: "تبا لها يا أبتاه؛ إنها ليست صناعيةً على الإطلاق؛ بل هي طبيعيةٌ!". وقالت كل سيدات الحاشية "أف! تبا لها؛ إنها وردةٌ طبيعيةٌ". فقال الإمبراطور: "دعونا نر ما في العلبة الأخرى؛ قبل أن نستسلم للغضب". وعلى هذا؛ برز العندليب، وغرد تغريداً أدخل البهجة على القلوب؛ حتى إن أحداً لم يستطع لأول وهلةٍ أن يتكلم عنه بأي سوءٍ. وصاحت السيدات بالفرنسية: "رائع! ساحر"؛ لأنهن جميعاً اعتدن أن يثرثرن باللغة الفرنسية، وكانت كل واحدةٍ منهن أسوأ من رفيقتها.

وقال فارس عجوز: "كم يذكرني الطائر بالعلبة الموسيقية التي يملكها إمبراطورنا السعيد! أجل! هذه هي نفس الأنغام، ونفس أسلوب صياغة الجمل الموسيقية". فقال الإمبراطور: "نعم! نعم!" وبكي متأثراً بالذكرى. وقالت

الأميرة: "آمل ألا يكون طائراً حقيقياً"؛ فقال مـن أتـوا بـه: "أجل؛ إنه طائر حقيقي"؛ فقالت الأميـرة: "حسـناً؛ أطلقـوا سراحه"، ورفضت أن تقابل الأمير.

ومهما يكن من أمرٍ؛ فإن هذا لم يثبط عزيمتـه؛ فـدهن وجهه بطلاءٍ أسمر وأسود، وجذب قلنسـوته علـى عينيـه، وطرق الباب. وقال: "يوم سعيد يا سيدي الإمبراطور. هـل يمكن أن تأخذنى في خدمتك بالقصر؟". فقال الإمبراطـور: "ولم لا؛ نعم يمكن؛ فأنا أريد شخصاً يرعى حظـائرى؛ لأن لدينا منها عدداً كبيراً جدا". وعلى هذا؛ عين الأميـر راعيـاً لحظائر الإمبراطور. وكانت له حجرةٌ صغيرةٌ قذرةٌ؛ بالقرب من الحظائر، وهناك جلس وعمل طوال اليوم. وعندما حـل المساء؛ صنع قِدراً للمطبخ بأجراس تحيط بها كلها. وعنـدما كانت القدر تغلى؛ تدق هذه الأجراس؛ بطريقةٍ ساحرةٍ جـدا، وتعزف النغم القديم.

"آه! يا عزيزتي أوجستين؛
كل شيء ضاع؛ ضاع؛ ضاع!".

ولكن أغرب ما كان يحدث أن كل من يدفع إصبعه في بخار قدر المطبخ؛ يشم رائحة كل أطباق الطعام الذي كـان يطهي على كل موقدٍ في المدينة.

وحدث أن سارت الأميرة في ذلك الطريـق. وعنـدما سمعت النغم؛ وقفت ساكنةً لا تحير حراكاً، وبدا أن هذا قـد سرها كثيراً؛ لأنها كانت القطعـة الوحيـدة التـي تعزفهـا؛ وتعزفها بإصبعٍ واحدةٍ. وقالت الأميرة: "عجبـاً؛ هـا هـي قطعتى المفضلة! لابد أن الراعى هذا مـتعلم جـدا! اذهبـى واسأليه عن ثمن هذه الآلة الموسيقية".

وعلى هذا؛ هرعت إحدى السيدات إلى الداخل، ولكنهـا خلعت نعلين خشبيين.

وقالت: "ماذا تطلب مقابل قدر المطبخ؟".

فقال راعى الخنازير: "عشر قبلاتٍ من الأميرة".

وقالت الأميرة؛ عندما سمعت هذا: "إنه شخص وقح!".

وواصلت سيرها، ولكن ما إن مضت في سيرها قلـيلاً؛ حتى دقت الأجراس بأنغامٍ جميلةٍ جدا، اضطرت معها إلى أن تتوقف.

وقالت الأميرة: "قفن واسألنه إذا كان يقبل الحصول على عشر قبلاتٍ من سيدات حاشيتى".

فقال الراعى: "لا؛ وشكراً لكن. إما عشر قـبلاتٍ مـن الأميرة؛ أو أن أحتفظ لنفسى بقدر المطبخ".

فقالت الأميرة: "ذلك يجب ألا يكون أيضاً! ولكـن هـل لكن أن تقفن جميعاً أمامى حتى لا يرانا أحد؟". وعلى هـذا؛ اتخذت سيدات الحاشية لأنفسهن مكانـاً أمامهـا، وبسـطن ثيابهن، وحظى الراعى بعشر قبلاتٍ، ونالت الأميـرة قـدر المطبخ.

كان هذا أمراً بهيجاً، وظلت القدر تغلي طوال المسـاء وطوال اليوم التالى، وعرفن تماماً ما كان يطهي علـى كـل نارٍ توقد في أرجاء المدينة؛ في بيت أي أحـد منهـا؛ مـن الوزير إلى الإسكاف؛ فرقصت سيدات الحاشـية؛ وصـفقن بأيديهن جذلاً.

وكان الراعى لا يترك يوماً يمر؛ دون أن يصنع شـيئاً. ففي ذات يومٍ؛ صنع جلجلاً عندما يؤرجح تعزف كل أنغـام الفالس والرقصات التي سمعها الناس من قبل. فقالت الأميرة حينما كانت تمر: "آه؛ ذلك رائع! إنني لم أسمع ألحاناً أجمـل

من هذه. اذهبى واسأليه عن ثمن هذه الآلة الموسيقية، ولكن تذكرى أنه لن يظفر بأية قبلات أخرى".

قالت السيدة التي ذهبت لتسأله: "إنه يريد الحصول على مئة قبلةٍ من الأميرة!".

فقالت الأميرة: "أعتقد أنـه مجنـون!". ومضـت فـي طريقها. ولكن ما إن سارت قليلاً؛ حتى توقفت مرةً أخـرى، وقالت: "على المرء أن يشجع الفنون الجميلـة. وأنـا ابنـة الإمبراطور... قولي له إنه سوف ينال؛ كما حدث من قبـل عشر قبلاتٍ منى، ويمكنه أن يأخذ باقى القبلات من سـيدات الحاشية". فقلن: "أوه؛ ولكننا لا نحب هذا علـى الإطـلاق"؛ فقالت الأميرة: "ماذا يدعوكن للتذمر من هذا؟ إذا كـان فـي وسعى أن أقبله؛ فإن هذا في وسعكن بلا شك!".

وعلى هذا؛ اضطرت السيدات إلى أن يذهبن إليه مـرةً أخرى؛ فقال: "مئة قبلةٍ مـن الأميـرة؛ وإلا فـإني أحـتفظ بالجلجل". فقالت الأميرة: "إذن؛ فهيا؛ قفن حولنـا!". فوقفـت حولها السيدات في أثناء التقبيل.

قال الإمبراطور الذي اتفق أن خرج وقتذاك إلى الشرفة: "ترى ما هو السبب في وجود مثل هذا الجمع الحاشد قـرب

الحظائر؟"، وفرك عينيه ثم لبس نظارته وقال: "إنهن سيدات الحاشية. يجب أن أنزل وأرى ما يفعلن!".

وكانت السيدات منهمكاتٍ جدا في عد القـبلات؛ حتـى إنهن لم ينتبهن إلى وجود الإمبراطور، وشـب الإمبراطـور على أطراف أصابع قدميه. وقال عندما رأي ما يجرى: "مـا معنى هذا كله؟".

وصفع الأميرة؛ عندما كان الراعى يأخذ القبلة السادسة والثمانين. وقال؛ وهو يتميز غيظاً: "هيا؛ اغربا عن وجهى!".

طردت الأميرة والراعى معاً خارج المدينـة، وبكـت الأميرة، وعنفت الراعى، وهطل المطر مدراراً.

وقالت الأميرة: "وا أسفاه! يا لي من مخلوقـةٍ تعسـةٍ! ليتنى تزوجت الأمير الشاب الوسيم. أواه! كم أنا تعسةٌ".

فمضى الراعى إلى ما وراء شجرةٍ، وغسـل القـذارة وأزالها عن وجهه، وخلع ثيابه القديمة الرثة، وظهـر فجـأةً وهو يرتدي كل ثيابه الخليقة بأميرٍ. وكان يبدو مهيباً جليـل الشأن؛ حتى إن الأميرة لم تستطع أن تمنع نفسها من الانحناء أمامه.

وقال: "لقد أتيت لأعرب لكِ عن احتقاري. إنكِ لا تستحقين أن تتزوجي بأميرٍ جديرٍ بالاحترام والتبجيل! فأنتِ لم تستطيعي أن تعرفي قدر الوردة والعندليب، ولكنك لم تترددي في أن تقبلي راعياً من أجل لعبةٍ تافهةٍ، وها أنتِ تعاملين بما تستحقين". ثم عاد إلى مملكته الصغيرة، وأغلق باب قصره في وجهها.

والآن؛ فإن لها أن تغني:

"آه؛ يا عزيزتي أوجستين؛

كل شيء ضاع؛ ضاع!".

الأسرةُ السعيدةُ

أكبر أوراق خضراء؛ تستطيع أن تجدها في الريف؛ هي أوراق شجر الأرقطيون. وإذا أخذت فتاةٌ صـغيرةٌ إحـداها، وأمسكتها أمام إزارها؛ فإنها تصلح أن تكون قميصاً لها. وإذا وضعتها على رأسها؛ فإنها تكون بمثابة مظلـةٍ تقيهـا مـن المطر؛ إذ إن هذه الأوراق عريضةٌ جدا.

ولا توجد أبداً ورقةٌ لشجرة الأرقطيون تنمـو وحـدها؛ فكلما تنمو واحدةٌ منها؛ تنمو أيضاً جاليةٌ بأسرها؛ فهي أوراقٌ تحب العشرة. وهي جميلةٌ أيضاً، ولكن كل جمالها في أنهـا غذاء للحلزونات.

فهذه الحلزونات الكبيرة البيضاء التي اعتـاد عظمـاء الناس في الأزمنة القديمة أن يعدوا منها لحماً مقليـاً؛ كانـت تقتات بأوراق أشجار الأرقطيون؛ وكانت تلتهمها بشـراهةٍ؛ وهي تقول طوال الوقت: "هم؛ ما ألذ طعمها، وما أبدعـه!". فقد كانت ترى أن الطعام لذيذٌ، وكانت تعـيش علـى أوراق

شجرة الأرقطيون؛ وتتصور أن هذه الأوراق قد زرعت من أجلها.

وكان هناك منزلٌ ريفي قديم الطراز، وكانت الحلزونات لا تطهي أو تؤكل فيه؛ وذلك لأن العادة لم تنقرض فحسب؛ بل لأن آخر ملاك المنزل الريفي قد ماتوا أيضاً، ولم يعد يعيش فيه أحد على الإطلاق. ولكن أوراق شجر الأرقطيون أخذت تنمو قرب هذا البيت، ولم تنقرض، وظلت تنمو وتزدهر وتتكاثر. ونظراً لأنه لم يكن هناك من يستأصلها؛ فإنها انتشرت في كل الممرات، وكل أحواض النباتات؛ إلى أن أصبحت الحديقة أخيراً غابةً غير مطروقةٍ لأوراق أشجار الأرقطيون.

حقا؛ كانت لا تزال ترى هنا وهناك أشجار تفاحٍ أو شجرة برقوقٍ وحيدةٌ. وخلافاً لذلك؛ لم يكن في وسع أحدٍ أن يخطر له أن هذا المكان كان حديقةً ذات يومٍ؛ ففي كل الجوانب ترى أوراق لشجر الأرقطيون، ولا شيء غير أوراق شجر الأرقطيون. وكان يقيم بينها حلزونان؛ هما آخر ما بقي من جنسهما.

ولم يكن في وسعهما هما أيضاً أن يقولا كم عاماً بلغـا من العمر، ولكن في وسعهما أن يذكرا تمامـاً أن أسـرتهما كانت في يومٍ من الأيام تضم أفراداً عديدين، وأنهما ينتميـان إلى جاليةٍ من بلاد أجنبى، وأن الغابة الصغيرة كلها قد زرعت من أجلهما وأجلِهم. ولم يذهبا قط إلى ما وراء غابة أشـجار الأرقطيون الصغيرة؛ لكنهما عرفا أن هناك مكاناً آخر فـي العالم يسمى المنزل الريفى، وأن هناك حلزونات تطهي ثـم تصبح سوداء، وتوضع على أطباق من الفضة.

ولكنهما لم يستطيعا أن يتكهنا بما حدث بعد ذلك؛ كمـا أنهما لم يستطيعا أن يتصورا على الإطـلاق كيـف يكـون شعورهما الحلزونى؛ عندما يطهيان ويوضعان على أطبـاق من الفضة؛ وإن كانا على يقينٍ من أنه شعور بهيج جدا، وأنه تكريم وتقدير عظيمان جدا. ولم تستطع الخنفساء الأوروبية، ولا الضفدع البرى، ولا دودة الأرض التـي سـألوها عـن الموضوع أن تقدم لهما معلوماتٍ صحيحةً؛ لأن أحداً من هذه الحشرات لم يسبق طهيه أو وضعه في طبقٍ من الفضة.

وكانا على ثقةٍ تامةٍ من أنه لم يحدث أن أسبغ علـى أي مخلوقٍ في العالم مثل هذا الشرف الرفيع الذي أسـبغ علـى

هذين الحلزونين الأبيضين العجوزين... وقـد نمـت غابـة أشجار الأرقطيون من أجلهما فحسب، وأقيم القصر الريفـي وراءها؛ لا لشيء سوى أن يؤخذا يومـاً هنـاك، ويطهيـا ويوضعا على أطباقٍ من الفضة.

وكانا يعيشان في ذلك الوقت حياةً يعانيـان فيهـا مـن الوحدة. ومع ذلك؛ فإنها كانت حياةً سعيدةً جدا. ونظراً لأنهما لم ينجبا أطفالاً؛ فإنهما كانا يكنان حبا لحلزونٍ عادى صغيرٍ؛ فربياه كما لو كان ابنهما. ولسوء الحـظ؛ نظـراً لأن هـذا الحلزون الصغير كان من نوعٍ مختلفٍ؛ لم يستطع أن ينمـو إلى حجمٍ أكبر؛ بحيث يصبح مثل اللذين ربياه. ومهما يكـن من أمرٍ؛ فإن الحلزونة الأم العجوز أصرت على أنها تستطيع أن تلاحظ أنه ينمو بسرعةٍ، وقالت إنها ترجو من الحلـزون الأب أن يلمس قوقعة الحلزون؛ طالما أنه لم يستطع أن يراها كما رأتها هى، وأن يتحسسـها. وتحسـس الحلـزون الأب القوقعة، واعترف بأن الأم على حق.

وذات يومٍ؛ هطل سيلٌ منهمر من المطر؛ فقال الحلزون الأب: "ليس أمامنا إلا أن ننتصنت. ترى ما هذا النقر والطبل على أوراق أشجار الأرقطيون؟"؛ فردت الحلزونة قائلةً: "إن

قطرات المطر هي التي تحدث هذا الطبل. انظر؛ إنهـا الآن تسيل مباشرةً على الساق. وإن هي إلا لحظات؛ حتى تراهـا مبللة تماماً. وأنا جذلةٌ قريرة العين؛ لأن لنا بيتاً لطيفاً، ولأن الحلزون الصغير آمن في بيته أيضاً. وليس من شك في أنـه لا يمكن أن ننكر أن ما تم عمله لنا أكثر مما تم عمله لكـل المخلوقات مجتمعةً، ومن السهل أن يرى النـاس أننـا فـي الدرجة الأولي من الأهمية في العالم؛ إذ إن لنا بيوتاً مهيأةً لنا منذ مولدنا، وغابة شجر الأرقطيون الصغيرة إنما زرعت من أجلنا... وإنني لأود مع ذلك أن أعرف إلى أي مسافةٍ تمتـد، وماذا يقع وراءها...".

فقال الحلزون الأب: "ليس وراءها شيء... وإذا كانـت هناك أية أماكن أخرى؛ فما أهميتها؟ فلا يوجد مكان أفضـل من هذا، ونحن لا يعوزنا شيء".

فقالت الحلزونة الأم: "من جهتى؛ أنا لا أستطيع أن أقول هذا؛ فأنا نفسى أود أن أذهب إلى المنزل الريفـى، وأن يـتم طهيى هناك، وأوضع في طبقٍ من الفضة. إن كل أجـدادنا ذهبوا إلى هناك، ونأمل فقط في أن هذا لابد أن يكون شـرفاً عظيماً".

فقال الحلزون الأب: "إن المنزل الريفي على الأرجح قد تقوض وانهارت أجزاؤه؛ وإلا فإن غابة شـجر الأرقطيـون الصغيرة كانت قد نمت عليها حتى لا تسـتطيع المخلوقـات البشرية أن تخرج للبحث عنا. ومهما يكن من أمرٍ؛ فإنـه لا حاجة بنا إلى مثل هذه العجلة. ومع ذلك؛ فأنتِ فـي عجلـةٍ شديدةٍ تندفعين وراء أي شيءٍ، وها هو الحلـزون الصـغير أيضاً؛ إنه بدأ يقتدى بكِ. عجباً؛ لقد زحف إلى أعلى السـاق في أقل من ثلاثة أيامٍ، وإن رأسى يلف حقـا حتـى أصـاب بالدوار؛ وأنا أتطلع إليه...".

فقالت الحلزونة الأم: "إياك أن تعنفـه؛ فهـو يزحـف ببراعةٍ فائقةٍ... وسوف يكون مناط فخارنا الشديد، ومصـدر حبورٍ تقر به أعيننا؛ فأي شيء آخـر يتعـين علينـا نحـن العجوزين أن نعيش له؟ إن هناك شيئاً واحداً ينبغى أن نفكر فيه الآن؛ كيف يتسنى لنا أن نحصل له على زوجةٍ؟ ألا تعتقد أنه ربما يكون هناك بعيداً في غابة شجر الأرقطيون بضـعة أفرادٍ باقين من أسرتنا؟".

فرد الحلزون الآخر بقولـه: "حلـزون أسـود... بـلا ريب... فهناك منهم الكثير. حلزوناتٌ سوداء بـلا قواقـع،

ولكنها وضيعةٌ جدا ودنيئةٌ للغاية... إني سـأقول لـكِ مـا نستطيع أن نفعله؛ إننا نستطيع أن نفوض النمل في البحـث عنها من أجلنا. فهو يجري دائماً إلى الوراء وإلى الأمام؛ كما لو كان عليه أن يقوم بكل العمل في العالم. وليس من شك في أن النمل سوف يجد لا محالة زوجةً لابننا الحازون الصغير".

فصاحت خمس أو ست نملاتٍ؛ تصادف مرورها وقتـذاك: "إننا نعرف على وجه اليقين أين توجد أجمل مخلوقةٍ صغيرةٍ يمكن تصورها، ولكنها ربما لا تختار أن تصيخ السمع إلـى طلب الزواج؛ لأنها ملكةٌ".

فرد عليها الحازونان العجوزان بقولهما: "ماذا يهمنا في ذلك؟ هل لها بيتٌ؟ إن ذلك أكثر وفاء بالغرض".

فرددت النملات؛ كلٌ منهن وقلـن: "بيـتٌ... إن لهـا قصراً... أروع قصر للنمل؛ فيه سبعمئة ممر".

فقالت الحازونة الأم: آهٍ؛ شكراً؛ لكن؛ إذا تصـورتن أن ابننا سوف يعيش في قريةٍ للنمل فأنتن مخطئاتٌ خطأ عظيماً. وهذا كل ما لدى. وإذا لم يكن لديكن اقتراح تعرضنه أفضل من ذلك؛ فإننا نستطيع أن نعهد بالمهمة إلى إحدى البعوضات البيضاء؛ فهي تستطيع أن ترفرف بأجنحتها في المطر، وفي

ضوء الشمس؛ وهي تعرف كل ركـن فـي غابـة شـجر الأرقطيون الصغير معرفةً وثيقةً".

فأعلنت البعوضات البيضاء قائلةً؛ عندما طلـب منهـا إبداء رأيها في هذا الموضوع: "آهٍ؛ نعم؛ إننا نعرف زوجـةً تصلح له... فعلى بعد مئة خطوةٍ بمقاييس البشر؛ تجلس على شجيرة كزبرةٍ إفرنجيةٍ حازونةٌ صغيرةٌ؛ لهـا بيـتٌ. وهـذه المخلوقة المسكينة تعيش في عزلةٍ؛ كما يعـيش أي ناسـكٍ زاهدٍ، وبلغت من العمر ما يؤهلها لأن تتزوج... ولا صعوبة أمامنا سوى مسافة المئة خطوةٍ بمقاييس البشر".

فقال الحازونان العجوزان: "حسناً؛ إذن؛ فلتأت إليه؛ فهذا أكثر ملاءمة. ولديه غابة شجر الأرقطيون الصغيرة، ولـيس لديها سوى شجيرة الكزبرة الإفرنجية".

وعلى هذا؛ رفرفت البعوضات البيضاء بأجنحتها بعيداً؛ لتقدم العرض إلى الآنسة الحازونة... ورفضت ثمانية أيـامٍ؛ قبل أن تعاود ظهورها؛ وقد ثبت لها أنها تنحدر من سـلالةٍ كريمةٍ.

وأقيمت الاحتفالات بمناسبة العرس... فسـطعت سـت يراعاتٍ بنورٍ براقٍ؛ بقدر ما اسـتطاعت بالإضـافة لـذلك؛

جرى الأمر كله في هدوءٍ شديدٍ؛ لأن أيا من الحلزونين العجوزين كان لا يستطيع أن يتحمل اللهو والصخب. وكان الحلزون الأب في الحقيقة متأثراً جدا؛ حتى إنه لم يستطع أن يقول كلمةً واحدةً. أما الحلزونة الأم؛ فقد ألقت خطاباً بليغاً مؤثراً، وأعطت الحلزونين الفتيين غابة شجر الأرقطيون الصغيرة بأسرها؛ كميراث لهما. وأعلنت كما سبق أن أعلنت دائماً أنها خير مكانٍ؛ إن لم تكن المكان الوحيد الأفضل في العالم. وفضلاً عن ذلك؛ فإنها وعدت بأنهما إذا عاشا معاً في صفاءٍ وإخلاصٍ، وأنجبا العديد من الأبناء والبنات في الغابة الصغيرة؛ فإنهما وأولادهما سوف يؤخذون في آخر الأمر إلى المنزل الريفى؛ ليتم طهيهم إلى أن يسود لونهم، ثم يوضعون على أطباقٍ من الفضة.

وبعد أن انتهى هذا الخطاب؛ زحف الحلزونان العجوزان عائدين إلى بيتهما، ولم يخرجا منه أبداً مرةً أخرى. وهناك ناما، وحكم الحلزونان الفتيان غابة شجر الأرقطيون الصغيرة، وأنجبا ذريةً كبيرةً.

ولكن؛ لم يسعدهما الحظ أبداً؛ بأن يطهيا أو يوضعا في أطباقٍ من الفضة. وعلى هذا؛ فقد ظنا أن المنزل الريفي قد

انهار وسقطت أجزاؤه، وأن كل المخلوقات البشرية قد ماتت لا محالة، ولم يناقضهما أحد قط في هذا الرأى. ومن ثم؛ فإنه لابد أن يكون صحيحاً. ومن أجلهما؛ كانت قطرات المطـر تسقط على أوراق الأرقطيـون، وتحـدث صـوت الطبـل الموسيقى. ولأجلهما؛ أشرقت الشـمس علـى أوراق شـجر الأرقطيون؛ فأضفت عليها لوناً أخضر براقاً. وكانا سـعيدين للغاية، وأسرة الحلزونات كلها سعيدةً جدا.

ملابس الإمبراطور الجديدةُ

منذُ سنواتٍ عديدةٍ؛ كان هناك إمبراطور له ولع شـديد بالملابس الجديدة؛ إلى حد أنه كان ينفق كل ماله على اللبس والهندام. وكان على الأقل يكلف نفسه عناء الاهتمام بجنوده، ولا يهتم بأن يذهب إلى المسرح، أو يقـوم بالصـيد؛ إلا إذا وجد في ذلك فرصةً تتيح له أن يسـتعرض فيهـا ملابسـه الجديدة. وكانت لديه بدلةٌ مختلفةٌ يرتديها في كل ساعةٍ مـن ساعات اليوم. وإذا كان الناس قد اعتادوا أن يقولوا عـن أي ملكٍ أو إمبراطور: "إنه يجلس في مجلس الشورى"؛ فإنه كان يقال عنه دائماً: "إن الإمبراطور يجلس في خزانة ملابسه".

ومر الوقت؛ والناس في فرحٍ؛ بالمدينة الكبيـرة التـي كانت عاصمةً لملكه. وكان الأجانب الوافدون يصلون كل يومٍ إلى البلاط. وفي ذات يومٍ؛ حضر محتالان وصـفا نفسـيهما بأنهما نساجان. وأعلنا أنهما يعرفان كيف ينسـجان أقمشـةً تمتاز بأجمل الألوان والزخارف، ولكن الملابس التي تصـنع من هذه الأقمشة لها ميزةٌ خاصةٌ؛ هي أنه لا يراها كل مـن كان غبياً، أو غير لائق للوظيفة التي يشغلها.

قال الإمبراطور لنفسه: "تلك حقا ملابس رائعةٌ! فلو أن لدى مثل هذه البدلة؛ فإني سوف أكتشف في الحال الرجـال الذين لا يليقون لمناصبهم في مملكتى، وسيكون في وسعى أن أميز العاقل من الأحمق الطائش. إن هذا القمـاش يجـب أن ينسج لي في الحال". وأمر بإعطاء النساجين مبالغ كبيرةً من المال؛ لكي يشرعا في عملهما فـوراً. وعلـى هـذا؛ بـدأ المحتالان في العمل على نولين، وتظاهرا أنهمـا منهمكـان جدا؛ وإن كانا في الحقيقة ليس لديهما شيء على الإطلاق في النولين. وطلبا أفخر حريرٍ، وأجود وأنقـى خـيطٍ ذهبـى، ووضعاهما في حقيبتهما، ثم واصلا عملهما المزعوم علـى النولين الفارغين حتى ساعةٍ متـأخرةٍ مـن الليـل. وقـال الإمبراطور لنفسه؛ بعد فترةٍ من الزمن: "إنني أود أن أعرف ما أحرزه النساجان من تقدم في نسج القماش". وعلـى أيـة حالٍ؛ فإنه كان عصبي المزاج نوعاً ما؛ كنتيجةٍ لإدراكـه أن أي شخصٍ غبى أو لا يليق لأن يشغل منصبه، لا يستطيع أن يرى القماش. وقال لنفسه: "ليس من شك في إنني لن أتعرض شخصياً لأي خطرٍ. ومع ذلك؛ فإنني أفضل أن أرسل شخصاً

آخر يأتيني بأخبارٍ عن النساجين وعملهمـا؛ دون أن أتكبـد مشقة التورط في الأمر".

وقد سمعت المدينة بأسرها بالمزية العجيبـة للقمـاش، وكان كل الناس في لهفةٍ لأن يعرفوا ما عليه جيـرانهم مـن تفاهةٍ وغباءٍ. وتوصل الإمبراطور أخيراً إلى قرارٍ، وقـال: "لسوف أرسل وزيري العجوز المخلص للنساجين؛ فهو خير من يستطيع أن يرى كيف يبدو القماش؛ لأنه مرهف الحس، ولا يمكن أن يكون هناك أحد أصلح منه لمنصبه". ومن ثـم؛ فلقد انطلق الوزير العجوز المخلص إلى القاعة، حيث كـان المحتالان يعملان بكل قوتهما فـي النسـيج علـى النـولين الفارغين. وقال الرجل العجوز لنفسه؛ وهـو يفـتح عينيـه بأقصى ما في وسعه: "ما معنى هذا؟ إنني لا أستطيع أن أرى حتى قطعةً صغيرةً من الخيط على النولين!". ومهما يكن من أمرٍ؛ فإنه لم يتكلم بصوتٍ عالٍ.

وطلب منه المحتالان باحترامٍ شديدٍ أن يتكرم بأن يقترب منهما، ثم سألاه عما إذا كان التصميم قد راقـه، وعمـا إذا كانت الألوان ليست جميلةً جدا. وكانا يشيران فـي الوقـت نفسه إلى الإطارين الفارغين؛ فأخذ الوزير العجوز المسكين

يتطلع ويتطلع؛ فلم يستطع أن يرى شيئاً على النولين؛ إذ لـم يكن هناك شيء. فقال لنفسه: "عجباً؛ أيمكن أن أكون غبيـاً؟ إنني لم أكن أتصور قط إنني هكذا، ويجب ألا يعرف أحد هذا الآن. وهل يمكن أن أكون غير صالح لمنصبي؟ لن يجـديني في شيء أن أقول إنني لم أستطع أن أرى القماش". وقال أحد المحتالين؛ وهو لا يزال يتظاهر بأنه يعمل: "حسناً؛ يا سيدي الوزير! إنك لا تقول لنا ما إذا كان القماش يروقـك". فقـال الوزير العجوز؛ وهو ينظر إلى النول من خـلال نظارتـه: "أوه؛ إنه جميلٌ جدا! إن النموذج والألـوان رائعـةٌ. أجـل؛ وسوف أقول للإمبراطور بلا ترددٍ إنها في رأيي جميلةٌ جدا". فقال النصابان: "يسرنا أنها تروقك"، وذكرا أسـماء الألـوان المختلفة، ووصفا عينة القماش المزعوم. وأصـغى الـوزير العجوز إليهما بانتباهٍ شديدٍ؛ حتى يمكنه أن يردد على مسامع الإمبراطور ما قالاه. ثم طلب المحتالان مزيداً من الحريـر والذهب، وقالا إنهما مطلوبان لتكملة ما بدآه. وبكـل تأكيـدٍ؛ وضعا ما أخذاه في حقيبتهما، وظلا كما كانا من قبل منهمكين في العمل على نوليهما الفارغين.

وأرسل الإمبراطور موظفاً آخر من حاشيته؛ ليرى مدى ما أحرزه الرجلان من تقدمٍ؛ لكي يعرف ما إذا كان القمـاش سيكون جاهزاً قريباً. وحدث له نفس ما حدث للأول. فقد أخذ يتطلع ويتطلع، ولكنه لم يستطع أن يرى شيئاً على الإطـلاق سوى النولين الفارغين. وسأله المحتـالان: "ألـيس قماشـاً جميلاً؟ لقد قال الوزير إنه يرى أنه جميلٌ". ثم شـرعا كمـا فعلا من قبل في الإشارة إلى مواطن الجمـال فيـه، وفـي الحديث عن الزخارف والألوان التي لم تكن هنـاك. فقـال الموظف لنفسه: "أنا لست غبياً بلا شك، ولابد إنني لا أصلح لمنصبي. وهذا يبدو أمراً لا يقبله العقل. ومهما يكن من أمرٍ؛ فإن هذا لن يعرفه أحد". وهكذا؛ أثنى على القماش الذي لـم يستطع أن يراه، وقال إنه مسرور من الألـوان والزخـارف على السواء، وقال للإمبراطور عندما قدم لـه تقريـره: "إن القماش في الحقيقة يا مولاي رائع".

وأخذت المدينة بأسرها تتحدث عن القماش الفاخر الذي أمر الإمبراطور بأن ينسـج لـه علـى حسـابه. وارتـأي الإمبراطور الآن أن يرى القماش؛ وهو لا يزال على النول. فانطلق بصحبة نخبةٍ من الموظفين؛ منهم الرجلان الموثـوق

بهما اللذان كانا قد أعجبا بالقماش، وذهـب إلـى النسـاجين الماكرين اللذين عندما علما باقتراب الإمبراطـور واصـلا العمل، وانهمكا فيه أكثر مما كانا يفعلان من قبل؛ على الرغم من أنهما لم يدخلا خيطاً واحداً فى النولين.

وقال الموظفان اللذان كانا هناك قبل ذلك: "أليس رائعـاً روعةً مطلقةً؟ وذلك إذا راق جلالتكم أن تنظـروا إليـه! أي تصميمٍ باهرٍ! وأية ألوانٍ رائعةٍ!". وفي الوقت نفسه؛ أشـارا إلى النولين الفارغين؛ لأنهما ظنا أن كل واحدٍ غيرهما كـان في وسعه أن يرى القماش.

فقال الإمبراطور لنفسه: "كيف هذا؟ إنني لا أستطيع أن أرى أي شيءٍ! اللعنة؛ إن هذا مريع، هل أنا لا أصـلح لأن أكون إمبراطوراً؟ هذا أسوأ شيء يمكن أن يحدث لى". وقال بصوتٍ عالٍ: "يا إلهى؛ القماش جذاب ساحر، وهو يحظـى برضاي التام". وابتسم في تلطفٍ زائدٍ؛ وأخذ يتطلع عن كثبٍ إلى النولين الفارغين، لأنه لن يقول مطلقاً إنه لم يسـتطع أن يرى ما رآه الموظفان من رجال حاشيته اللذان أثنيـا عليـه كثيراً. وتطلعت كل البطانة، وأخذت تتطلع، ولكنها لم تستطع أن ترى أكثر مما رآه الآخرون. ومع ذلك؛ فـإنهم جميعـاً

راحوا يقولون: "أوه؛ ما أجمله!". وأشاروا على جلالته بـأن يأمر بصنع بعض الملابس الجديدة من هذا القماش الفـاخر؛ من أجل الموكب القادم. وترددت في جميع النواحى الكلمات: "رائع! جذاب! فاخر!"، وبدا كل شخصٍ مسـروراً للغايـة. وأعرب الإمبراطور عن رضاه؛ بأن جعل المحتالين فارسين، ومنحهما لقب السيدين نساجى الإمبراطور.

وسهر المحتالان طوال الليل قبل يوم الموكب. وأشـعلا ست عشرة شمعةً؛ حتى يستطيع كل امرئ أن يرى مدى ما يبذلان من جهدٍ شاق في العمل، للانتهاء من بدلة الإمبراطور الجديدة، وتظاهرا بأنهما يلفان القماش؛ وهما يرفعانـه مـن النولين؛ وقطعا الهواء بمقص كبيرٍ، وخاطا القماش بـإبرتين ليس فيهما أي خيطٍ. وصاحا أخيراً: "انظروا! هـا هـي ذى ملابس الإمبراطور الجديدة جاهزةٌ!".

جاء الإمبراطور ومعه كـل عظمـاء حاشـيته إلـى النساجين. فرفع المحتالان ذراعيهما؛ كأنهما يمسكان بشىءٍ، وقالا: "ها هي ذى سراويل جلالتك! وهذا هو القباء! وها هو المعطف! البدلة كلها خفيفةٌ مثل نسيج العنكبوت. ويمكنك أن تشعر بأنك لا ترتدي شيئاً على الإطلاق عندما تلبسها! وهذه

على أية حالٍ هي أعظم ميزةٍ لهذا القماش النفيس". فقال كل رجال الحاشية؛ على الرغم من أن أحداً منهم لم يستطع أن يرى أي شيءٍ؛ لأنه لم يكن هناك شيء يرى: "أجل؛ يقيناً!". وقال النصابان: "إذا تفضلتم جلالتكم بخلع ملابسكم؛ فإننا سوف نعد البدلة الجديدة لتوائمك أمام المرآة الكبيرة".

وبناء على ذلك؛ خلع الإمبراطور ملابسه، وتظاهر المحتالان بأنهما يلبسانه بدلته الجديدة قطعةً قطعةً، وكان الإمبراطور يدور بجسمه من جانبٍ لجانب أمام المرآة. وصاح كل امرئ: "ما أروع جلالته في ملابسه الجديدة، وكم هي على قده تماماً! يا له من تصميمٍ، ويا لها من ألوانٍ! هذه هي حقا ملابس تليق بالملك!". وأعلن رئيس الاحتفالات قائلاً: "إن الخدم ينتظرون في الخارج بالمظلة التي من المقرر أن تظل جلالتكم في الموكب". فقال الإمبراطور: "إنني مستعد تماماً". وسأل؛ وهو يدور بجسمه مرةً أخرى أمام المرآة؛ كأنه يتفحص بعنايةٍ بدلته الجميلة: "هل ملابسى الجديدة موائمةٌ تماماً؟". وتحسس السادة النبلاء القائمون على الخدمة في غرفة النوم الأرض؛ كأنهم يرفعون أطراف الرداء، وساروا كما لو كانوا يرفعون حاشية ثوبٍ؛ لأنهم

خافوا أن يظهروا أنهم لم يروا شيئاً، وبهذا يكونوا أغبياء أو غير صالحين لمناصبهم.

وعلى هذا؛ سار الإمبراطور في وسط الموكب تحت مظلته العالية مخترقاً شوارع عاصمته. وصاح كل الناس الواقفين على جانبيها، ومن هم في النوافذ: "أوه؛ ما أجمل الملابس الجديدة لإمبراطورنا! وأي حاشيةٍ طويلةٍ للرداء! وأي روعةٍ يتدلي بها القباء".

وخلاصة القول؛ لم يسمح أحد لنفسه بأن يقول إنه لم يستطع أن يرى تلك الملابس التي أعجب بها الناس كثيراً؛ لأنه إذا فعل هذا؛ فسوف يعلن أنه إما غبى أو غير صالح لمنصبه.

وليس من شك في أنه لم يكن لأي بدلةٍ من بدلات الإمبراطور السابقة تأثير مثل هذا. وقال طفلٌ صغير: "ولكن الإمبراطور لا يرتدي شيئاً على الإطلاق!"؛ فهتف أبوه يقول: "استمعوا لصوت البراءة!". وما قاله الطفل؛ انتقل همساً من واحدٍ لآخر، وصاح الناس أخيراً: "ولكنه لا يرتدي شيئاً على الإطلاق!". واغتاظ الإمبراطور لأنه شعر أن الناس على حق، ولكنه رأي أن يستمر الموكب في سيره، وبذل السادة

النبلاء القائمون على الخدمة في غرفة النوم جهـوداً جبـارةً أعظم من قبل؛ ليتظاهروا بأنهم يرفعون ذيل الثـوب؛ علـى الرغم من أنه لم يكن هناك في الحقيقة ذيل ثوبٍ يمسكون به.

الضفْدع البرى

كانت البئر عميقةً جدا، ولهذا السبب كان لابد أن يكون الحبل الذي يستخدم في جذب الدلو المملوء بالماء طويلاً جدا. وعندما كان الدلو يجذب فوق حافتها كان من الصعب جـدا إدارة المحور، وكانت الشمس لا تنفذ أبداً لمسافةٍ بعيدةٍ؛ تكفي لأن تنعكس في الماء؛ مهما كان الماء صافياً. ولكن فـي أي موضعٍ كانت أشعتها تمسه؛ تصبح الأحجار مغطـاةً بغشـاءٍ أخضر.

وكانت هناك عائلةٌ من الضفادع البرية تعيش في البئر، وكانوا وافدين؛ وقد وصلوا هناك فعلاً في أول الأمـر؛ مـع أمهم الضفدعة البرية العجوز التي لا تزال على قيد الحيـاة. وتعرفت الضفادع الخضراء؛ التي كانت قد استقرت هنـاك قبلهم بزمنٍ طويلٍ وكانت تسبح حولهم في الماء؛ على أبنـاء عشيرتها، ودعتهم الضيوف الكرام. ومهما يكن من أمرٍ؛ فإن الضفادع البرية قررت أن تبقى؛ فقد وجدت أن العـيش فـي اليابس وتلك هي الطريقة التي وصفت بها الأحجار الرطبة؛ أمر بهيج جدا في الحقيقة.

وذات يومٍ؛ انطلقت الضفدعة البرية الأم فـي رحلـةٍ، واتفق أن كانت في الدلو؛ وهو يجذب إلى أعلى، ولكن بهـر بصرها الضوء المفاجئ؛ فسـقطت خارجـه. واصـطدمت بالماء؛ فتناثر محدثاً صوتاً مريعاً. بعد ذلك؛ اضطرت إلـى الرقاد لمدة ثلاثة أيام لإصابتها بكدماتٍ في ظهرها. وعلـى الرغم من أنها لم تستطع أن تقول للآخرين أي شـيء عـن العالم الخارجي؛ فإنها عرفت مع ذلك؛ وقالـت هـذا لكـل الآخرين؛ أن البئر لم تكن العالم كلـه. حقـا؛ إن الضـفدعة البرية الأم كان في وسعها أن تخبرهم بكل نوعٍ من الأشياء، ولكنها كانت لا ترد على أي سؤالٍ توجهه إليها الضـفادع. وعلى ذلك؛ آثرت الضفادع ألا تسـألها، وقالـت الضـفادع الخضراء الصغيرة: "كم هي سمينةٌ وفظيعةٌ! وكم هي دميمةٌ وكريهةٌ! وسوف يكون صغارها على شاكلتها تماماً!".

فردت الضفدعة البرية الأم: "هذا محتمل تماماً، ولكـن لأحدهم جوهرةً في رأسه، وليت لي واحدةً". واستمعت إليهـا الضفادع الخضراء برهةً؛ وعيونها جاحظةٌ من فرط الدهشة. ولكن؛ نظراً لأنها لم تحب أن تسمع ما كانت تقوله الضفدعة

البرية الأم؛ فإنها أدارت ظهورها لها، وغاصت إلـى قـاع البئر.

ومن جهةٍ أخرى؛ فإن الضفادع البرية الصغيرة مـدت أرجلها الخلفية؛ بدافع الغطرسة المحضة؛ إذ ظن كل واحـدٍ منها أن له تلك الجوهرة. وعلى هـذا؛ وقفـت ورؤوسـها مرفوعةٌ لا تحير حراكاً. ومهما يكن من أمرٍ؛ فإنهـا بـدأت أخيراً في الاستفسار عما تعتز بـه كثيـراً؛ فقـد أرادت أن تعرف ما هي الجوهرة. فقالت الضـفدعة البريـة الأم: "إن الجوهرة هي شيء جميلٌ جدا وثمين جدا؛ وأنا لا أستطيع أن أصفها. إنها شيء تلبسونه لتبتهجوا بـه، ويحسـدكم عليـه الآخرون، ولكن لا توجهوا لي أسئلةً أخرى؛ لإنـي لـن أرد عليكم". وقال أصغر الضفادع البرية الذي كان دميماً بقدر ما يمكن أن تتصور: "أنا واثق إنني ليس لدى هذه الجوهرة. ولم يكن لي دون سائر الضفادع شيء جميلٌ مثل هذا. وعلى أية حالٍ؛ إذا كان هذا يضايق الآخرين؛ فإنه لا يمكن أن يسرنى. لا؛ إن كل ما أريده هو أن أستطيع يوماً أن أصعد إلى حافـة البئر، وألقى نظرةً على الخارج. ولابد أن هذا أمر عجيب".

فانتهرته الضفدعة البرية الأم قائلةً: "عليـك أن تمكـث حيث أنت؛ فإنك تعرف على الأقل كيف يبدو المكـان هنـا. احترس من الدلو؛ وإلا فإنه سوف يسحقك!، وإذا نجحت في الوصول إلى داخله؛ فإنك قد تسقط خارجه، وليس كل أحـدٍ يسعده الحظ بأن يبقي بعد سقطةٍ مثل هـذه دون أن تكسـر أطرافه الأربعة".

فصاح الضفدع البرى الصغير: "قاق"؛ وهي كلمةٌ بلغـة الضفادع تعنى شيئاً مثل كلمة أوه بلغتنـا. وأحـس برغبـةٍ عارمةٍ في أن يجلس على حافـة البئـر، وأن يتطلـع إلـى الخارج. وكان يتلهف إلى الخضرة في أعلى المكان هنـاك. وفي صباح اليوم التالي؛ عندما كان الدلو المملـوء يجـذب لأعلى، وتوقف لحظةً أمام الحجر الذي كان يجلـس عليـه الضفدع البرى الصغير؛ ارتجف ثم قفز إلى الدلو؛ فسقط إلى القاع. وعندما أفرغ الدلو عند القمة؛ اكتسحه الماء خارجـه. فصاح ولد كان واقفاً بجوار البئـر؛ عنـدما رأي الضـفدع البرى: "أف! يا له من مسخٍ مريعٍ! إن هذا هو أقبح مخلـوقٍ شاهدته في حياتى!"، وقذفه بنعله الخشبى. وكـان يمكـن أن يسحق الضفدع البرى الصغير سحقاً تاما؛ لـو لـم يختبـئ

بسرعةٍ وراء بعض نباتات القراص التي كانت تقف جـذعاً وراء جذعٍ، ثم تطلع إلى أعلى؛ إلى السماء. كانت الشـمس تشرق على أوراق الأشجار، وتسطع خلالها. وخيل له نفـس ما يخيل لنا؛ عندما نجد أنفسنا فجأةً في غابةٍ ضخمةٍ تسـطع فيها الشمس على أغصان الأشجار وأوراقها.

وقال الضفدع البرى الصغير لنفسه: "ما أجمل المكـان هنا منه هناك؛ في أسفل البئر! وإنني لأود أن أبقي هنا طوال حياتى!". واستلقى هناك ساعةً، ثم ساعتين. وخطر له سؤالٌ؛ فقال: "إنني لأعجب؛ ماذا يمكن أن يوجد هناك في الخـارج؟ وطالما إنني وصلت إلى هذا المكان البعيد؛ فإنني يجـب أن أحاول، وأن أصل مع ذلك إلى مكان أبعد". ووثب خارجاً من أشجار القراص بأسرع ما أمكنه، ووجد نفسه في هذه اللحظة واقفاً على أحد الطرق. وكان الشمس تسطع بنورها عليـه، وترسب عليه الغبار؛ وهو يعبر الطريق العام.

وقال الضفدع البرى: "أنا هنا حقا في اليابس. لعل فـي هذا؛ في الحقيقة؛ الكثير من النفع لأنه يجعلنى أحك جسـدى. وقفز إلى الخندق، وكانت نباتات البنسيه والإسبير تنمو هناك، وكان إلى جانب الخندق تماماً سياج مـن نباتـات البلسـان

وشجيرات القراص مع نبات من اللبلاب الأبـيض يتسـلق زاحفاً أعلاه. وكان هناك فيض غزير من الألوان فـي كـل مكانٍ. وطارت فراشةٌ مارةً بالضفدع البرى؛ فظن أنها زهرةٌ انطلقت من عقالها لتلقى نظرةً أفضل على العالم، ولم يجـد هذا غريباً على الإطلاق. وقال الضفدع البرى لنفسه: "ليتنى أستطيع أن أطير مثل ذلك! قاق! أواه! ما أجمل هذا!". ولبث في الخندق ثمانية أيام وثماني ليالٍ، ولم يعوزه الطعام.

وفي اليوم التاسع؛ قال لنفسه: "والآن؛ بلا إمهالٍ؛ عليأن أمضى قدماً!". ولكن؛ ماذا يمكن أن يكون هناك أجمل مـن هذا؟ لعل هناك ضفدعاً بريا صغيراً آخر، أو بعض الضفادع الخضراء. ففي الليلة الماضية؛ سمع أصواتاً في الهواء؛ خيل إليه أنها تدل على أنه قد يكون هناك بعض أبناء العم قريبـاً منه. وقال: "ما أجمل أن يكون المرء حيا! وأن يخرج مـن البئر، ويستلقى بين نباتات القراص، ويزحف على الطريـق الترابى، ويخلد للراحة في الخندق الرطب. ولكنني يجـب أن أمضى قدماً، وسوف أحاول أن أجد الضفادع أو ضفدعاً بريا صغيراً؛ فأنا أفتقدها. ولهذا؛ يبدو لي أن الطبيعة في حد ذاتها كافيةٌ". وشرع في الحال يقوم برحلته.

وسار خلال الحقل، ووصل إلـى بركـةٍ تحـيط بهـا قصباتٌ. وتطلع إلى القصبات بنظراتٍ مستقصـيةٍ، ووجـد ضفادع في ذلك المكان. وسألته: "ألا ترى أن المكـان هنـا رطب بليلٌ جدا؟ ولكن؛ مرحباً وأهلاً بك. هل أنت ضفدع أم ضفدعةٌ؟، ولكن هذا لا يهم؛ فترحابنا بك لا يختلف".

وفي تلك الليلة؛ دعى الضفدع البرى الصغير إلى حفـل موسيقى للأسرة، ولم يقدم فيه أي طعامٍ؛ بل قدم شراب فقـط وقدر كبير منه؛ فقد كان لهم الحرية المطلقة أن يشربوا مـاء البركة بأسره إذا ما استطاعوا. فقال الضفدع البرى لنفسـه: "والآن؛ سوف أمضى في سبيلي مرةً أخرى". فثمة شيء ما؛ ظل يستحثه طوال الوقت على أن يجد مكاناً أفضـل. ورأي النجوم كبيرةً لامعةً، ورأي القمر بازغاً، والشمس تشرق في السماء، وترتفع إلى أعلى وأعلى. وقال: "أنا لا أزال في بئرٍ ربما تكون بئراً أكبر، ولكنها بئر لا تختلف عن غيرها. يجب أن أصعد لأعلى! فأنا أشعر بالقلق، وتراودنى رغبةٌ غريبةٌ".

وعندما كان القمر بدراً؛ قال المخلوق المسكين لنفسـه: "ربما يكون هذا دلواً ُأنزل إلى، وفيه يجب أن أقفز؛ إذا كنت أريد أن أصعد. ومن يدرى؟ فربما تكون الشمس أيضاً دلـواً

كبيراً؟ ما أكبرها؛ وكم تسطع بالضوء! إننا جميعاً يمكـن أن نجد فيها مكاناً لنا. وما عليـإلا أن أنتظـر سـنوح فرصـةٍ مناسبةٍ. أواه؛ ما أشد صفاء ذهنى! إنني لا أعتقد أن جوهرةً يمكن أن تسطع بنورٍ أكثر إشراقاً، ولكنني حتى مع ذلك لـم أحصل على واحدةٍ. وأنا لست حزيناً من أجل ذلك. فلأصعد لأعلى، وأقترب من ذلك الضوء الباهر المتألق الذي يشيع فيه الفرح، وأنا أشعر بلهفةٍ وبقلقٍ في نفس الوقت. وإنها لخطوةٌ صعبةٌ؛ تلك التي أوشك أن أقدم عليها. ولكنها خطـوةٌ لابـد منها؛ فهيا إلى الأمام؛ رأساً إلى الطريق".

وسار بضع خطواتٍ بالطريقة التي تسير بها الضفادع، وها هو ذا على الطريق. وكان أناس يعيشون هناك، وهنـاك حدائق أزهارٍ وخضر، وأخلد للراحة خارج إحـدى حـدائق الخضر، وقال: "ما أكثر الأشكال المتنوعة التي لم أرها قـط من قبل، وما أكبر العالم وما أجمله! وعلى المرء أن ينظـر حوله، وألا يبقي في موضعٍ واحدٍ طوال الوقت". وقفز إلـى حديقة الخضر، وقال: "ما أشد خضرة كل شيء هنـا! ومـا أجملها من حديقةٍ!". فقالت دودةٌ خضراء تجلس على ورقـة كرنبٍ: "إنني أعرف أنها كذلك، وورقتى هي أكبـر الأوراق

جميعاً؛ فهي تغطى نصف العالم، ولكنى أستطيع أن أعمـل؛ بدون النصف الآخر".

ثم سمع قأقأة دجاجات؛ أقبلت وجرت حـول الحديقـة. وكانت الدجاجة الأولي بعيدة النظر، فما إن رأت الدودة على الورقة؛ حتى نقرتها فسقطت على الأرض واستلقت هنـاك؛ وهي تتلوى ألماً. وتطلعت إليها الدجاجة بإحدى عينيها أولاً، ثم بالعين الأخرى؛ لأنها لم تكن تعرف ماذا يعنـى التلـوى ألماً. وقالت الدجاجة لنفسها: "أنا واثقةٌ أنها لا تصلح لشىء". ورفعت رأسها لتنقر دودةً أخرى؛ ففـزع الضـفدع البـرى الصغير فزعاً شديداً؛ لدرجة أنه زحف رأساً إلى الدجاجـة. فقالت الدجاجة لنفسها: "آه؛ إن لها شـركاء فـي الجريمـة! حسناً؛ حسناً؛ يا له من مخلوقٍ!". واستدارت مبتعدةً؛ وهـي تقول: "أنا لست مهتمةً بهذه الجزلة الخضراء الصغيرة؛ فهي تدغدغ الحلق فقط على أي حالٍ". وكانت الدجاجات الأخرى تشاطرها نفس الرأى؛ فانصرفت بعيداً.

قالت الدودة الخضراء: "ها نحن أولاً قد تخلصنا منهـا! من حسن الحظ إني أتمتع ببديهةٍ حاضرةٍ. ولكن؛ إني لي أن أعود إلى ورقة كرنبتى؟ أين هى؟". فأقبـل إليهـا الضـفدع

البرى الصغير، وأعرب لها عن تعاطفه معها، وقـال إنـه سعيد؛ لأنها طردته بعيداً بدمامتها. فسألته الدودة قائلةً: "ماذا تعنى بحق السماء؟ لقد كنت أنا نفسى التي تخلصـت منهـا. ورؤيتك حقا تنفر الناظرين إليك، وأنا على أية حالٍ لي الحق التام في أن أبقي في مكانى. وأنا أسـتطيع بالفعـل أن أشـم رائحة كرنبةٍ. ها هي ورقتى؛ وليس هناك ما هو أجمل مـن الشيء الذي تمتلكه. ولكن عليأن أصعد لأعلى". فقال الضفدع البرى: "نعم؛ إلى أعلى... ها هي تراودها نفس الأحاسـيس التي أشعر بها. ومع ذلك؛ فإن مزاجها ليس معتـدلاً اليـوم؛ لابد أنها الصدمة؛ ونحن كلنا نريد أن نصعد لأعلى"، وتطلع لأعلى بقدر ما استطاع.

وكان هناك لقاقٌ يجلس في عشه على سطح بيت فلاحٍ، وكان يحدث صوتاً شديداً بفتح منقاره وإغلاقه. وكانت زوجة اللقاق تحدث أيضاً ذلك الصوت بمنقارهـا. فقـال الضـفدع البرى: "ما أعلى المكان الذي يعيش فيه! ترى من يستطيع أن يصل إلى علو مثل ذلك؟". وكان هنـاك طالبـان صـغيران يعيشان في المزرعـة؛ أحـدهما شـاعر، والثـاني عـالم بالطبيعيات. وكان الأول يغنى، ويكتب في جذلٍ عـن كـل

شيء خلقه الله، وترك رؤيةً منعكسةً في قلبه. أمـا الآخـر؛ فكان يعامل خلق الله كما يعامل كميـةً حسـابيةً؛ بـالطرح والضرب؛ إذ يريد أن يصل إلى قرارة كل شيءٍ، وأن يـدلي بحديثٍ معقولٍ.

كان الاثنان مرحين دمثى الخلق...

قال عالم الطبيعيات: "انظر؛ ذلك أنموذج جميـلٌ مـن الضفادع البرية؛ يجلس هناك. لابد أن أضعه في الكحول".

فقال الشاعر: "أوه؛ ولكن لديك اثنان فعلاً. دعه يبقـى، ويستمتع بالحياة".

فقال الآخر: "ولكنه دميم لدرجةٍ تفزع الألباب".

فقال الشاعر: "لو أننا وجدنا الجوهرة في رأسه؛ فـإنني بكل تأكيدٍ سوف أساعدك في تشريحه".

فصاح صديقه قائلاً: "جوهرة... إنك تعرف قدراً كبيراً من العلوم الطبيعية".

فقال: "ولكن؛ ألا تعتقد أن هذا جميلٌ؛ أعنى هذا الاعتقاد الإنساني بأن الضفدع البرى أقبح الحيوانات كلها كثيراً مـا تكون له في رأسه أنفس الجواهر. أليس هذا بالضبط هو نفس الشيء مع الناس؟ وفضلاً عن ذلك؛ فإن اثنين مـن أعظـم

الحكماء في الأزمنة القديمة: هما إيسوب وسقراط كانا يملكان جوهرةً مثل هذه؛ على الرغم من أنهما كانا يفتقـران إلـى الجاذبية الطبيعية". وكان ذلك هو كل مـا سـمعه الضـفدع البرى، ولم يكد يفهم من ذلك النصف. وخـرج الصـديقان، ونجا من أن يحفظ في الكحول.

وقال الضفدع البرى لنفسه: "إنهما تحـدثا أيضـاً عـن جوهرةٍ... ما أسعدنى ألا تكون لدى واحدةٌ؛ وإلا فـإن مـن المحتمل جدا أن يحدث لي ما يكدر صفوى". وفي ذلك الوقت تماماً؛ أمكن سماع صوت منقار اللقلق؛ وهو يصـفق علـى سطح البيت الريفى. كان طائر اللقلق الأب يلقى محاضـرةً على أسرته التي كانت تختلس نظراتٍ إلـى الشـابين فـي الحديقة الواقعة أسفل عشها.

وقال طائر اللقلق: "إن الناس هـم أعظـم المخلوقـات غروراً. هلا استمعتم إلى مناقيرهم؛ وهي تتحرك من تسـع إلى اثنتى عشرة مرةً؟ ومع ذلك؛ فـإنهم لا يسـتطيعون أن يصفقوا بها بطريقةٍ صائبةٍ. وكم هم فخورون بطلاقة لسانهم ولغتهم... ويا لها من لغةٍ غريبةٍ! فبعد رحلة طيـرانٍ ليـومٍ واحدٍ من هنا؛ لا يستطيعون أن يفهموا بعضهم بعضاً. أمـا

نحن؛ فإننا نستطيع أن نجعل الآخرين في كل مكانٍ يفهموننا بلغتنا؛ حتى في مصر. وهم لا يستطيعون أيضاً أن يطيروا. وكل ما في وسعهم؛ هو أن يسافروا بوسـاطة الآلـة التـي يسمونها سكة الحديد. وحتى عندئذٍ؛ كثيراً ما يصـيبهم غـم وحزن... وإنني لأرتجف وتسرى قشعريرةٌ خـلال سلسـلة ظهرى، ويبدأ منقارى في أن يرتعد لمجرد التفكير في هـذا. وفي وسع العالم أن يستغنى عن الناس. وليس من شك فـي أننا لن نفتقدهم؛ طالما أن لدينا ديدان أرض وضفادع".

فقال الضفدع البرى لنفسه: "يا لها من خطبةٍ بليغـةٍ!". وصاح عندما نشر طائر اللقلق جناحيه وطار في الهواء: "يا له من سيدٍ عظيمٍ! ويا له من مكانٍ عالٍ؛ ذلك الذي يجلـس فيه! وما أبرعه في السباحة!". ثم تحدثت اللقلق الأم، وأبلغت أطفالها في العش بالبلد المسمى مصر، وبمياه النيـل وبكـل المستنقعات العجيبة التي توجد في ذلك البلد القصى البعيد.

كان كل هذا جديداً؛ بالنسبة للضفدع البرى، وسـر بـه تماماً. واعتزم أمراً وقال: "لابد أن أذهب إلى مصـر. ليـت طائر اللقلق أو واحداً من صغاره يأخذنى معه... ولكنني بكل تأكيدٍ سوف أنجح في الوصول إلى مصر؛ فما أسـعدنى!...

إن اشتياقى لهذا أشد بكثيرٍ من تلهفي للحصول على جـوهرةٍ في الرأس".

ومع ذلك؛ فقد كان هو الذي لديه الجـوهرة: الاشـتياق الدائم، والرغبة العارمة في الوصول إلى مكانٍ أعلى... أعلى دائماً... وأضاءت في داخله، وأشرقت بالفرح وبحب الحياة.

وفجأةً؛ انقض اللقلق من علٍ، ورأي الضفدع البرى في الحشيش فانقض عليه، والتقطه بلا إمهالٍ، ونهشه بمنقـاره؛ وجناحاه يرفرفان ويصدر منهما ضجيج مزعج. ولم يكن هذا بالأمر السار البهيج. وكان الضفدع البرى يحلق عالياً؛ متجهاً إلى مصر، وهذا أقصى ما عرفه. وكان ذلك هو السبب فـي أن عينيه كانتا تلمعان؛ كما لو كان هناك شـرر يوشـك أن يخرج منهما، وقال: "قاق... أواه...".

صار الضفدع البرى جثةً هامدةً؛ فقد لقـى مصـرعه. ولكن ترى أين تذهب الشرارات الصادرة من عينيه... لقـد أخذتها أشعة الشمس... فقـد حملـت الجـوهرة مـن رأس الضفدع البرى... ولكن إلى أين؟.

لا تسأل عالم الطبيعيات عن هذا؛ بل اسأل عنه الشاعر. إنه سوف يخبرك في شكل حكايةٍ من حكايات الجان، وسوف

تتضمن دودةً خضراء... وأسرة لقلاقٍ. فقط فكـر أن الـدودة سوف تتحول إلى فراشةٍ جميلةٍ... أما أسرة اللقلاق؛ فسـوف تطير فوق الجبال وفوق البحار إلى إفريقية البعيـدة. ومـع ذلك؛ فإنها سوف تجد أقصر طريقٍ للعودة إلى الوطن؛ إلـى نفس المكان ونفس السطح... أجل؛ حقا؛ إن ذلك يبدو تقريباً أشبه ما يكون بحكايةٍ من حكايات الجان. ومع ذلـك؛ فإنـه حقيقى تماماً.

واسألوا عالم الطبيعيات؛ فسوف يؤكده لكم؛

وأنتم أنفسكم تعرفونه؛ لأنكم شاهدتموه.

لكن جوهرة في رأس ضفدعٍ برى؟

فابحثوا عنها في الشمس إذا استطعتم.

وعلى الرغم من أن الجوهرة براقةٌ تتلألأ بالضياء؛ فإن عيوننا ليست حادة البصر لدرجةٍ تكفي لأن نراها في أبهـي صورةٍ جميلةٍ لها؛ كما خلقها الله. ولكنها سوف تكـون فـي حوزتنا ذات يومٍ. وتلك تكون أجمل حكايـةٍ مـن حكايـات الجان؛ لأننا نحن أنفسنا سوف نكون فيها.

عروس البحر الصغيرةُ

بعيداً في البحر الواسع العريض يعيش سـكان البحـر؛ حيث الماء أزرق كأجمل أزهار الحنطة، وصافٍ مثل أنقـى أنواع البلور، وحيث المياه عميقةٌ جدا؛ لدرجة أنه لابد من أن تجمع عدة مبانٍ وتوضع واحداً فوق الآخر؛ لكي تصل مـن أدنى عمقٍ في البحر إلى السطح.

والآن؛ فإن عليك ألا تتصور أنه ليس هناك تحت الماء سوى الرمل: لا؛ فالحق أن الأمر أبعد من هذا! هناك؛ تنمـو أشجار ونباتاتٌ تمتاز بجمالٍ عجيبٍ؛ لهـا جـذوع وأوراقٌ خفيفةٌ جدا؛ لدرجة أنها تتحرك ذهاباً وجيئةً لدى أقل حركـةٍ من الماء؛ كما لو أنها تقريباً كائناتٌ حسـيةٌ. وينزلـق بـين الأغصان سمك كبير وصغير؛ داخلاً وخارجاً تماماً كما تطير العصافير محلقةً بين الأشجار.

وفي موضعٍ يكون فيه عمق الماء على أشـده؛ يوجـد قصر ملك البحر. وجدران هذا القصر من المرجان، والنوافذ العالية المدببة من الكهرمان، والسقف؛ على أية حالٍ؛ مكون من أصداف بلح البحر التي تفتح وتغلق باستمرارٍ؛ عندما تمر

فوقها الأمواج الكبيرة. وهذا يبدو جميلاً للغايـة، وبخاصـةٍ؛ لأن كل واحدةٍ من هذه المحار تحتوى على عددٍ من اللآلـئ اللامعة المتألقة؛ كل واحدةٍ منها تصلح حليةً ثمينةً؛ في تـاج ملكٍ في العالم العلوى.

وكان الملك قد ماتت زوجته منذ سنواتٍ، وكانت أمـه العجوز هي التي تدبر شئون بيته. وكانت بصفةٍ عامةٍ سـيدةٍ من الضرب مرهف الحس؛ وإن كانت معتزةً للغاية بأصـلها الكريم ومركزها الرفيع اللذين بسببهما كانت تحمل على ذيلها اثنتى عشرة محارةً؛ في حين كان لا يسمح لسكان البحر إلا بست من المحار فقط: وهي ستحق ثناء لا حدود له من كـل وجهٍ؛ وبخاصةٍ من أجل المحبة التي أبدتها للأميرات السـت الصغيرات: حفيداتها. وهؤلاء جميعاً كن طفـلاتٍ جمـيلاتٍ جدا، وكانت صغراهن هي أجملهن على أية حالٍ؛ إذ كانـت بشرتها ناعمةً ورقيقةً مثل أوراق الورد، وعيناهـا شـديدتى الزرقة مثل البحر، ولكنها مثل كل عرائس البحر الأخريات؛ لم يكن لها قدمان، وكان جسمها ينتهي بذيلٍ مثل ذيل السمكة.

وقد اعتاد الأطفال طوال اليوم أن يلعبوا فـي أجنحـة القصر الفسيحة؛ حيث كانت الأزهار تنبـت خارجـةً مـن

الجدران من كل جانبٍ. وعنـدما كانـت النوافـذ الكبيـرة المصنوعة من الكهرمان تفتح؛ كان السمك يسبح فـي هـذه الأجنحة؛ كما تطير عصافير الجنة في حجراتنا. ولكن السمك كان أشد جرأةً من عصافير الجنة؛ فهو يسـبح رأسـاً إلـى الأميرات الصغيرات، ويأكل من أيديهن، ويسمح لهـن بـأن يلاطفنه.

وأمام القصر؛ كانت هناك حديقةٌ كبيرةٌ حافلةٌ بأشـجارٍ حمراء بلون النار، وزرقاء ممعنةً في الزرقة؛ تتألق ثمارهـا مثل الذهب، وتشبه أزهارها شمساً ساطعةً ملتهبـةً. وكـان الرمل الذي يكون تربة الحديقة ذا لونٍ أزرق بـراقٍ؛ يشـبه لهب الكبريت. وكان هناك لون أزرقٌ جميلٌ رائـع بدرجـةٍ غير مألوفةٍ، ينتشر فوق كل شيء فيها؛ حتى إن المرء ليخال أنه مرفوع عالياً جدا في الهواء، والسماء فوقه وتحتـه فـي نفس الوقت؛ وهو يقيناً ليس في قاع البحر. وعنـدما تكـون المياه ساكنةً تماماً؛ ترى الشمس أشبه مـا تكـون بزهـرةٍ أرجوانية اللون؛ يتدفق من كأسها ضوء العالم.

وكان لكل أميرةٍ صغيرةٍ رقعةٌ من الأرض في الحديقة؛ يمكنها فيها أن تغرس وتزرع كما يحلو لها. وكانت إحـداهن

تختار أن تكون رقعتها المزروعة على شكل حوتٍ، وأخرى تفضل شكل عروس البحر. أما صغراهن؛ فكانت تحـب أن تكون رقعتها الزراعية مستديرةً تماماً مثل الشمس، وكانت لا تزرع فيها سوى تلك الزهور التي تكون حمراء؛ مثلما تبـدو لها الشمس. وليس من شك في أنها كانت طفلةً فريدةً، وهادئةً جدا ورصينةً. وبينما كانت شقيقاتها يتزين بكل أنواع الأشياء زاهية اللون التي استخلصت من سفينةٍ تحطمـت وغرقـت؛ فإنها لم تطلب شيئاً سوى تمثالٍ جميلٍ من الرخـام الأبـيض لولدٍ، كان قد وجد فيها، ووضعت التمثـال فـي حـديقتها، وغرست بجانبه شجرة صفصافٍ متهدلةً.

ونمت الشجرة بسرعةٍ، وتركت أغصانها الطويلة تتدلي على الأرض الزرقاء البراقة؛ حيث كانـت الظـلال دائمـة الحركة؛ تتراقص بألوانٍ بنفسجيةٍ؛ كما لو كانت الأغصـان والجذور تتعانق. ولم يكن هناك ما يسر الأميـرة الصـغيرة أكثر من أن تسمع عن عالم البشر الذين يعيشون أعلى البحر. وجعلت جدتها العجوز تروى لها كل شيء تعرفه عن السفن والمدن والناس والحيوانات البرية، وكانت تسر بصفةٍ خاصةٍ عندما تسمع أن الأزهار في العالم العلوى لها شذاً لذيـذٌ؛ لأن

أزهار البحر لا رائحة لها، وأن الغابات خضراء، وأن السمك الذي يخفق بين الأغصان مختلفةٌ ألوانه، وأنـه يسـتطيع أن يشدو بصوتٍ عالٍ جلي. وكانـت السـيدة العجـوز تقصـد العصافير، ولكنها سمتها سمكاً؛ لأن حفيداتها لن يفهمنهـا إذا قالت خلاف ذلك لأنهن لم يرين قط عصفوراً. وأردفت تقول: "عندما تبلغن الخامسة عشرة من أعماركن؛ فسـوف يسـمح لكن بأن تصعدن إلى سطح البحر. وعندئذٍ؛ سوف تجلسن في ضوء القمر؛ في شقوق الصخور، وترين السفن وهي تسـير بجواركن؛ وتتعلمن كيف تميزن المدن والناس".

وفي العام التالى، بلغت كبرى الشـقيقات هـذه السـن السعيدة. أما الأخريات، فوا أسفاه! كانـت الشـقيقة الثانيـة أصغر من الكبرى بعامٍ، والثالثة أصغر من الثانية بعامٍ، وهلم جرا. وكان على صغراهن أن تنتظر خمس سنواتٍ حتى تبلغ ذلك العمر السعيد الذي يمكنها عند بلوغه أن تصـعد إلـى سطح الماء، وترى ما يجري في العالم العلوى. ومهما يكـن من أمرٍ؛ فإن الكبرى وعدت بأن تقول للأخريات كل شـيء يمكن أن تراه يوم بلوغها هذا العمر؛ لأن الجدة لم تقدم لهـن

إلا القليل من المعلومات، ولأنه كان هناك الكثير؛ مما يرغبن في سماعه.

ولكن؛ لم تكن هنا بين كل الشقيقات من تتلهف بشدةٍ إلى اليوم الذي تتحرر فيه من قيد الطفولة إلا الصـغرى؛ فهـي التي كان عليها أن تنتظر أطول مدةٍ، وكانت هادئةً ورصينةً. وكم من ليالٍ؛ وقفت بجوار النافذة المفتوحة؛ تتطلع إلى أعلى من خلال الماء الأزرق الصافى؛ في حين كان السمك يقفـز ويتثنى حولها. وكان في وسعها أن ترى الشـمس والقمـر، وكان ضوؤهما شاحباً، ولكنهما كانا يبدوان أكبر ممـا همـا عليه في نظر من يعيشون في العالم العلوى. وإذا مر عليهما ظل؛ فإنها كانت تعرف أنه إما أن يكون حوتـاً، أو سـفينةً تسير بأيدى كائناتٍ بشريةٍ؛ ليس لديها في الحقيقة إلا فكـرةٌ ضئيلةٌ عن أن هناك تحتها في موضعٍ سحيقٍ؛ عروس بحـرٍ صغيرةً؛ كانت تمد يديها البيضاوين في لهفةٍ شديدةٍ إلى قاعدة سفينتهم.

والآن؛ جاء اليوم الذي بلغـت فيـه الأميـرة الكبـرى الخامسة عشرة من عمرها. ومن ثم؛ سمح لها بأن تصعد إلى سطح البحر. وعندما عادت؛ كان لديها ألف شـيء تقصـه.

وكانت متعتها الكبرى هي أن تجلس على شاطئ رملي في ضوء القمر، وتتطلع إلى المدينة الكبيرة التي تقع على الساحل؛ حيث كانت الأضواء تلمع مثل النجوم والموسيقى تعزف. وقد سمعت الضجة البعيدة التي كان يحدثها الناس والعربات، ورأت الأبراج العالية، واستمعت إلى قرع الأجراس. ونظراً لأنها لم تستطع أن تذهب إلى هناك؛ فإنها كانت تتوق لرؤية كل هذه الأشياء.

وكم كانت شقيقتها الصغرى تنصت بانتباهٍ إلى كلماتها. وعندما جلست بعد ذلك في وقت الليل؛ بجانب نافذتها المفتوحة تحدق إلى أعلى خلال المياه الزرقاء؛ أخذت تفكر تفكيراً جادا في المدينة الكبيرة الصاخبة؛ حتى خيل إليها أن في وسعها أن تسمع الأجراس وهي تقرع.

وفي العام التالي؛ تلقت الشقيقة الثانية إذناً بالسباحة حيثما يحلو لها؛ فصعدت إلى سطح البحر والشمس تغرب، وقد أبهجها هذا المنظر كثيراً؛ حتى إنها أعلنت أنه أجمل من أي شيء آخر؛ سبق أن رأته فوق المياه. وقالت: "لقد بدت السماء كلها مصطبغةً بلون الذهب. ومن المستحيل أن أصف لكن جمال السحب؛ فهي حيناً حمراء، وحيناً آخر بنفسجيةٌ

عندما تنزلق فوقى. ولكن؛ كان هناك سـرب مـن البجـع الأبيض يطير بسرعةٍ أكبر فوق الماء؛ تماماً فـي الموضـع الذي كانت الشمس تنحدر منه، وتطلعـت وراءهـا، ولكـن الشمس اختفت. وأخذ الضوء الوردى اللامع علـى سـطح البحر وعلى حواف السحب ينطفئ تدريجياً". وآن الأوان لأن تزور الشقيقة الثالثة العالم العلوى؛ وكانت أشـد الشـقيقات الست جرأةً؛ فأقدمت على الصعود إلى أعلى نهـرٍ؛ فـرأت على ضفته تلالاً خضراء؛ تكسوها غابـاتٌ وكـروم؛ فـي وسطها تعلو بيوتٌ وقصور، وسمعت العصافير وهي تغرد، وكانت الشمس تسطع بضوءٍ باهرٍ؛ إلى أن تغوص باستمرارٍ تحت الماء؛ لكي تبرد وجهها الذي تحرقه أشعتها. والتقت في خليجٍ صغيرٍ بعددٍ من الأطفال كانوا يستحمون، ويتواثبون في الماء، وودت أن تشاركهم في لهوهم ومرحهم، ولكنهم فـروا هاربين إلى البر في فزعٍ شديدٍ، ونبح في وجهها حيوان أسود صغير بطريقةٍ أفزعتها ـ هي نفسـها ـ أخيـراً؛ فسـبحت عائدةً إلى البحر. ومهما يكن من أمرٍ؛ فإنها لـم تسـتطع أن تنسى الغابات والتلال الخضراء والأطفال الظرفاء الـذين لا يساورهم خوفٌ وهم يسبحون في النهر؛ بالرغم من أنهم بلا

زعانف؛ فإنهم كانوا يسبحون في النهر؛ دون أن يسـاورهم خوفٌ.

أما الأخت الرابعة؛ فلم تكن جريئةً إلى هذا الحد، وظلت في عرض البحر، وقالت عند عودتها للبيت إنها ترى أنه لا يمكن أن يكون هناك شيء أجمل مما رأت. فقد شاهدت سفناً تمخر عباب البحر بجوارها، وتبدو على البعد مثـل طيـور النورس، ورأت حيوانات الدلفين المرحة، وهي تلهو وتقفـز في الماء، والحيتان الضخمة؛ وهي تقذف في الهـواء ألـف نافورةٍ تلمع في الضوء.

وبعد عامٍ؛ بلغت الشقيقة الخامسة سن الخامسة عشـرة. واتفق أن كان عيد ميلادها في فصل يختلف عن الفصل الذي كان يقع فيه عيد ميلاد شقيقاتها؛ فقد كان في الشتاء، وكـان البحر ذا لون أخضر، وتطفو فوق سطحه جبال جليدٍ ضخمةٌ. وقالت إن هذه الجبال من الجليد تبدو مثل اللآلئ؛ وهي على أية حالٍ أكبر من الأبراج فـي أرض الكائنـات البشـرية. وجلست على إحدى هذه اللآلئ، وتركـت الـريح تتلاعـب بشعرها الطويل. ولكن عندئذٍ؛ نشرت كل السفن أشرعتها في فزعٍ، وانطلقت هاربةً بأسرع ما يمكن.

وفي المساء؛ كانت السماء مغطاةً بالسفن الشراعية، والأميرة تجلس هادئةً ساكنةً على جبل الجليد؛ تتطلع بلا مبالاةٍ إلى الخطوط المتعرجة الزرقاء لومضات البرق؛ في حين كانت جبال الثلج الضخمة تغوص وترتفع ثانيةً على التعاقب وتلمع ببريقٍ محمر إلى حد ما، وومضاتٌ من البرق تبزغ من السحب، والرعد يزمجر باستمرارٍ بصوتٍ يعلو وينخفض، ويقصفه مرةً بعد أخرى، وأشرعة السفن كلها تطوى في الحال، والرعب والهلع يسودان على ظهر السفن. وفي أول مرةٍ صعدت فيها إحدى الشقيقات وخرجت من البحر؛ كانت تغدو مفتونةً تماماً بسحر منظر أشياء عديدةٍ جديدةٍ وجميلةٍ، ولكن سرعان ما كانت الطرافة تنتهى، وقبل أن يمضى وقتٌ طويلٌ تبين لهن أن وطنهن أكثر جاذبيةً من العالم؛ لأنهن هناك كن يجدن كل شيء مقبولاً مرضياً.

وكم من أمسيةٍ صعدت فيها الشقيقات الخمس وهن متشابكات الأيدى من أعماق المحيط، وكانت أصواتهن أحلي بكثيرٍ من أي صوتٍ للبشر، وعندما تلوح أي عاصفةٍ في الأفق، كن يسبحن أمام السفن ويغنين... أوه! كم كن يغنين

بعذوبةٍ؛ وهن يتحدثن عن سعادة من يعيشون في قاع البحر، ويتوسلن إلى الملاحين ألا يخافوا، وأن ينزلوا إليهن.

ومهما يكن من أمرٍ؛ فإن الملاحين كـانوا لا يـدركون معنى كلماتهن، وكانوا يخالون أن الأغنية ليست إلا صـفير الريح. وبهذا؛ ضاعت منهم أمجاد البحر؛ لأنه إذا ما تحطمت سفنهم؛ فإن كل من على ظهرها يغرقون، فلا يدخل قصـر ملك البحر سوى الموتى.

وفي نفس الوقت الذي كانت فيه الشقيقات يسبحن وقـت المساء، كانت الشقيقة الصغرى تظـل وحـدها؛ سـاكنةً لا تتحرك في قصر والدها؛ تتطلع إلى أعلى وتتبعهن بنظراتها. وكان حرياً بها أن تبكى، لكن عرائس البحر لا تسـتطيع أن تبكى. ومن ثم؛ فإنهن عندما يزعجهن أمر يتحملنه بصبرٍ لا حدود له أكثر مما يتحمله البشر. وتنهدت، وقالت: "أوه! لـو إنني كنت في الخامسة عشرة من عمرى! إننـي لا أعـرف إنني أحب العالم العلوى وسكانه حبا جما".

وأخيراً؛ حان الوقت الذي طالما تلهفت إليـه. وقالـت الجدة: "حسناً؛ لقد جاء دوركِ؛ فتعإلى هنا حتى أزينكِ مثـل شقيقاتكِ". ولفت حول شعرها إكليلاً من الزنـابق البيضـاء؛

كانت كل بتلةٍ فيها بمثابة نصف لؤلؤةٍ، ثم أمرت بتثبيت ثمانٍ من المحارات الكبيرة إلى ذيل الأميرة كشـارةٍ تـدل علـى مكانتها العالية. وقالت الأميرة الصغيرة: "ولكن ذلـك غيـر مريحٍ للغاية!". فقالت السيدة العجوز: "إن المـرء يجـب ألا يهتم بما يلاقيه من عناء طفيفٍ؛ إذا أراد أن يكـون حسـن المنظر". وكانت الأميرة على استعدادٍ لأن تتخلي عن كل هذه الأبهة، وأن تستبدل بتاجها الثقيل أزهاراً حمراء من حديقتها؛ تليق بها أكثر منه، ولكنها لم تجرؤ على أن تفعل هذا، فقالت: "وداعاً"؛ وصعدت إلى البحر خفيفةً مثل قطعةٍ رقيقـةٍ مـن الزبد.

وعندما ظهرت لأول مرةٍ في حياتها على سطح المـاء؛ كانت الشمس قد غاصت تواً تحت الأفق، والسحب تضـيء بألوان ذهبيةٍ براقةٍ، وكل نجم يتألق في السماء شاحبة اللـون في الجهة الغربية، والهواء معتدلاً ومنعشاً، والبحـر أملـس صقيلاً مثل مرآةٍ صافيةٍ. وكانت هناك سفينةٌ كبيرةٌ؛ لها ثلاثة صوارٍ فوق المياه الساكنة، ولم يكن منشوراً إلا شراع واحد، ولم تكن هناك نسمةٌ تتحرك، وكان الملاحون يجلسون فـي سكونٍ على حبال وسلالم السفينة. وبعـد أن حـل الظـلام؛

أضيئت مئات المصابيح فجأةً، وانبعثت الموسيقى والأغاني من فوق ظهر السفينة؛ في حين أخذت أعلام لا حصر لها ترفرف فوق الرؤوس.

وسبحت عروس البحر الصغيرة؛ حتى اقتربت من قمرة الربان، وكان في وسعها؛ بين آنٍ وآخر عندما كانت السفينة ترتفع بفعل حركة الماء؛ أن تنظر من خلال ألواح النافذة الشفافة؛ فرأت رجالاً عديدين يرتدون أفخر الثياب. وكان أجملهم أمير في ربيع العمر؛ له عينان سوداوان واسعتان. وليس من شك في أنه كان لا يتجاوز السادسة عشرة من عمره، وكانت تقام له وليمة احتفالٍ بعيد ميلاده، وكان الملاحون يرقصون على ظهر السفينة.

وعندما ظهر الأمير الشاب بينهم؛ أطلِق مئة صاروخٍ؛ فحولت الليل إلى نهارٍ، وأفزعت عروس البحر الصغيرة؛ حتى غاصت تحت الماء بضع دقائق. ومهما يكن من أمرٍ؛ فإنها سرعان ما رفعت رأسها الصغير مرةً أخرى، وعندئذٍ خيل لها أن كل النجوم تسقط فوقها. إنها لم تر قط من قبل شؤبوباً ناريا مثل هذا، ولم تسمع أبداً أن الناس يتمتعون بمثل هذه القدرات العجيبة. وكانت شموس كبيرةٌ تدور حولها،

وسمك متألق يسبح في الهواء، وكل شيء تنعكس صورته كاملةً على سطح البحر. وكان الضوء ساطعاً جدا في السفينة؛ حتى إنه كان يمكن رؤية كل شيء بوضوح. أواه؛ ما أسعد الأمير الشاب وهو يصافح الملاحين ويضحك ويمزح معهم، والألحان الموسيقية تمتزج بسكون الليل في ساعةٍ متأخرةٍ.

لكن عروس البحر الصغيرة لم تستطع أن تنتزع نفسها من السفينة، وأن تبتعد عن الأمير الشاب الوسيم، وظلت تتطلع من خلال نافذة القمر التي كانت تتحرك ذهاباً وجيئةً بفعل الأمواج. وكان هناك زبد في الأعماق، وبدأت السفينة تتحرك بسرعةٍ أكبر، ونشرت الأشرعة، وارتفعت الأمواج عالياً، وتجمعت السحب الكثيفة في السماء. وسمع صوت الرعد من بعيدٍ، وأدرك الملاحون أن هناك عاصفةً توشك أن تهب، فقاموا بطي الأشرعة مرةً أخرى، وتمايلت السفينة الكبيرة في المحيط العاصف؛ وكأنها قارب خفيفٌ، وارتفعت الأمواج إلى علو هائلٍ، تجاوز ارتفاع السفينة التي أخذت تغوص تحتها وترتفع فوقها على التعاقب. وبدا هذا في نظر عروس البحر الصغيرة أمراً بهيجاً يشرح الصدر، ولكن

ملاحى السفينة كان لهم فيه رأي مختلـفٌ؛ فقـد تصـدعت السفينة وانثنت الصوارى المتينة تحت تأثير شدة الأمـواج، واندفعت المياه إلى جوفها، وظلت السفينة لحظةً تتراجع ذهاباً وجيئةً، ثم انكسر الصارى الرئيسى وكأنه قصـبةٌ، وانقلبـت السفينة وامتلأت بالماء.

ورأت عروس البحر الصغيرة الآن أن الملاحـين فـي خطرٍ؛ لأنها هي نفسها اضطرت إلى أن تكون على حذرٍ من الدعامات والشظايا التي تهشمت من السفينة. وأخذت تعـوم حولها فوق الأمواج، ولكن في نفس الوقت أصـبحت الـدنيا ظلاماً حالكاً مثل القار؛ فلم تستطع أن تميز أي شيءٍ. وعلى أية حالٍ؛ فإن وميضاً رهيباً من البرق كشف لها فـي هـذه اللحظة حطام السفينة بأسرها. ووقعت أنظارها على الأميـر الشاب في نفس اللحظة التي غاصت فيها السفينة إلى القـاع. وابتهجت في أول الأمر؛ إذ ظنت أن الأمير سوف يأتى إليها حتماً في مكانها، ولكنها سرعان ما تـذكرت أن الإنسـان لا يستطيع أن يعيش في الماء. ومن ثم؛ فإن الأمير إذا ما دخل قصرها؛ فلن يكون إلا جثةً هامدةً.

وقالت: "يموت؛ لا... يجب ألا يموت!". وسبحت خلال الشظايا التي كانت متناثرةً في الماء؛ دون أن تأبه بـالخطر الذي تتعرض له. وأخيراً؛ وجدت الأمير؛ وهو يكاد يكـون منهك القوى، وكان يرفع رأسه بعناءٍ كبيرٍ فوق الماء؛ وقـد أغمض عينيه. وكان سيغرق لا محالة؛ لو لم تخف لنجدتـه عروس البحر الصغيرة. وأمسكت به بقوةٍ، وظلـت ترفعـه فوق الماء؛ فحملهما التيار معاً.

سكنت العاصفة قرب الصباح، ولم يكن هناك على أيـة حالٍ أي أثرٍ باقٍ من السفينة. وأشرقت الشمس بلهـبٍ مثـل النار يخرج من البحر، وبدا أن أشعتها قد أعادت اللون إلـى خدى الأمير، ولكن عينيه ظلتا مغمضتين. وقبلـت عـروس البحر أعلى جبينه، ورفعت شعره المبلل بعيداً عن وجهـه. وكان يبدو كتمثالٍ من رخامٍ في حديقتها، وقبلته مرةً أخرى، ودعت له بحرارةٍ أن يستعيد قواه.

ورأت الأرض اليابسة بجبالها المتألقة بالجليد. وكانـت هناك غابةٌ خضراء تمتد على طول الساحل؛ وفـي المـدخل إلى الغابة معبد أو دير... لم تستطع أن تعرف علـى وجـه اليقين أيهما هو. وكانت تنمو في الحديقة المتاخمة له أشجار

برتقالٍ وليمونٍ، وهناك طريق رئيسى من أشـجار النخيـل الباسقات يؤدى إلى الباب. وكان البحر هنـا يكـون خليجـاً صغيراً؛ الماء فيه هادئ تماماً، ولكنه غير عميـق، وتحـت صخور الشاطئ رمالٌ جافةٌ ثابتةٌ. وإلى هذا المكان سـبحت عروس البحر بالأمير؛ وهو يكاد يكون جثةً هامدةً، ووضعته على الرمل الحار، وحرصت على أن تضع رأسه مرتفعـة عن الأرض، وأدارتها نحو الشمس.

دقت الأجراس في المبنى الكبير الأبيض الـذي يوجـد أمامها، وخرجت فتياتٌ صغيراتٌ ليتنـزهن فـي الحديقـة. وانطلقت عروس البحر مبتعدةً عن الشاطئ، واختبـأت وراء الصخور، وغطت رأسها بالزبد حتى لا يستطيع أحد أن يرى وجهها الصغير، وأخذت تراقب ما يحدث للأمير. ولم يمض وقتٌ طويلٌ حتى اقتربت إحدى الفتيات الصغيرات، وبدا أنها فزعت؛ عندما وجدت الأمير في هذه الحالة؛ كأنـه ميـت. ومهما يكن من أمرٍ؛ فإنها سرعان مـا اسـتردت جأشـها، وهرعت عائدةً لكي تنادى شقيقاتها. ورأت عـروس البحـر الصغيرة أن الأمير قد دبت فيه الحياة من جديدٍ، وأنهن كـن يبتسمن له في رقةٍ وابتهاجٍ، ولم يبحث عنها؛ على أية حـالٍ

إذ كان لا يعرف أنها هي التي أنقذته. وعندما أخذ الأمير إلى البيت؛ غمرها إحساس بالحزن الشديد؛ فغاصت فـي الحـال تحت الماء، وعادت إلى قصر والدها.

وإذا كانت من قبل هادئةً ورصينةً؛ فإنهـا الآن ازدادت هدوءاً ورصانةً. وسألتها شقيقاتها عمـا رأتـه فـي العـالم العلوى، ولكنها لم تحر جواباً. وكم من أمسيةٍ صعدت فيهـا إلى الموضع الذي تركت فيه الأمير. ورأت الجليـد يـذوب على الجبال، والفاكهة تنضج في البستان، ولكنها لم تر الأمير قط. ولهذا؛ كانت تعود دائماً في حزنٍ إلى بيتها فـي عمـق البحر. وكانت متعتها الوحيدة هي أن تجلس فـي حـديقتها الصغيرة تحملق في التمثال الجميل الذي يشبه الأمير. ولـم تعد تحفل بأزهارها؛ فنمت بغزارةٍ شديدةٍ وغطـت درجـات السلم، والتفت بسيقانها وحوالقها الطويلـة حـول غصـون الأشجار؛ فأصبحت حديقتها بأسرها خميلةً.

وأخيراً؛ بعد أن لم يعد في وسعها أن تخفـي حزنهـا؛ أفشت السر لإحدى شقيقاتها التـي أخبـرت بـه الأميـرات الأخريات؛ فأفشينه لبعض صديقاتهن. وكانت منهن عـروس بحرٍ شابةٌ تذكرت الأمير؛ إذ كانت شاهد عيانٍ للولائم التـي

أقيمت على ظهر السفينة، وعرفت أيضاً في أي بلدٍ كان الأمير يعيش، واسم ملكها. وقالت الأميرات؛ وهن يعانقن شقيقتهن: "تعإلى أيتها الشقيقة الصغرى"، وصعدن معاً؛ وهن متشابكات الأذرع، وخرجن من أمام قصر الأمير تماماً.

وكان هذا القصر مشيداً بأحجارٍ صفراء لامعةٍ، وله سلم درجاته من الرخام الأبيض؛ يؤدى إلى البحر. وكانت هناك قبةٌ مموهةٌ بالذهب تتوج المبنى، وتماثيل من الرخام الأبيض؛ تكاد تكون قد صنعت على هيئة رجالٍ ونساءٍ؛ لهم وجود في الحقيقة؛ وضعت بين الأعمدة المحيطة به. ومن خلال الزجاج الشفاف للنوافذ العالية؛ يستطيع المرء أن يتطلع إلى ما بداخل الأجنحة الباذخة التي تتدلي فيها ستائر حريرية، وجدرانها مزينةٌ بلوحاتٍ رائعةٍ. وكانت مشاهدة دارٍ فاخرةٍ كهذه متعةً حقيقيةً للأميرات عرائس البحر الصغيرات اللاتى تطلعن من خلال نوافذ إحدى الحجرات الفسيحة، ورأين في الوسط نافورةً تخرج منها المياه، وتنبثق لأعلى جهة القبة المتألقة فوقها، والتي من خلالها كانت أشعة الشمس تسقط لتتراقص فوق الماء، وتضيء النباتات الجميلة التي تنمو حولها.

وعرفت عروس البحر الصغيرة الآن أين يقطن أميرها الحبيب. ومنذ ذلك الوقت؛ أخذت تذهب إلى هناك كل مساءٍ تقريباً. وكثيراً؛ كانت تقترب من البر إلى مسافةٍ أكبر مما جازفت شقيقاتها بالوصول إليه؛ بل وكانت تسبح إلى أعلى القناة الضيقة التي تنساب تحت الشرفة الرخامية. فهناك في ليلةٍ مقمرةٍ؛ تشاهد الأمير الشاب الذي يعتقد أنه بمفرده.

وكانت تراه أحياناً ينطلق على صفحة الماء بقاربٍ مدهونٍ بطلاءٍ زاهي اللون؛ ترفرف فوقه أعلام متعددة الألوان وكانت وقتذاك تختبئ بين أعواد البوص الخضراء التي تنمو على الضفتين، وتستمع إلى صوته. وإذا سمع أي واحدٍ في القارب حفيفاً صادراً من خمارها الفضي الطويل الذي يصدمه النسيم الخفيف بين آنٍ وآخر؛ فإنه كان يعتقد أنه صادر من بجعةٍ ترفرف بجناحيها. وكم من ليلةٍ؛ كانت تسمع الصيادين؛ وهم يلقون بشباكهم في ضوء المنارة البحرية؛ يتحدثون عن الأمير، ويروون القصص عن الأعمال النبيلة التي قام بها. وكانت تغمرها السعادة؛ عندما يرتسم في ذهنها ما فعلته لكي تنقذ حياته؛ وهو يجاهد للتغلب على الأمواج، وعندما تتذكر كيف كانت رأسه تستند إلى صدرها، وكيف

قبلته وهو لا يعرف شيئاً عن ذلك؛ بل ولا يستطيع أبـداً أن يحلم به.

أصبح حبها للبشر يزداد؛ يوماً بعد يومٍ؛ وتمنت لو كانت واحدةً منهم، وخيل لها أن عالمهم أوسع مـن عـالم سـكان البحر؛ فهم يستطيعون أن ينطلقوا بسـرعةٍ فـوق المحـيط بسفنهم، وأن يصعدوا أيضاً إلى قمم تلك الجبال العالية التـي ترتفع شامخةً فوق السحب، وتمتد أرضهم الحافلـة بالشـجر إلى مسافةٍ أبعد مما يمكن لعين عروس بحرٍ أن تراها.

وكانت هناك أشياء عديدةٌ تود أن تسمع عنهـا حـديثاً مسهباً، ولكن شقيقاتها لم يستطعن أن يقدمن لها إجابةً شـافيةً عن الأسئلة التي طرحتها عليهن. واضطرت مرةً أخرى إلى أن تلجأ إلى الملكة الأم العجوز التي تعرف الكثير جدا عـن العالم العلوى الذي اعتادت أن تسميه البلد الذي يقـع فـوق البحر.

وسألت ذات يومٍ: "هل الناس الذين لا يغرقون يعيشـون للأبد؟ ألا يموتون كما نموت؛ نحن الذين نعـيش فـي قـاع البحر". فكان رد الجدة: "بلى؛ إنهم لابد أن يموتـوا مثلنـا، وحياتهم أقصر بكثيرٍ من حياتنا. فنحن نعيش حتى نبلغ مـن

العمر ثلاثمئة عامٍ، وعندما نموت نصبح زبداً فوق البحـر، ولا يسمح لنا حتى بأن نتقاسم قبراً مع أحبائنـا. وأرواحنـا ليست خالدةً؛ فنحن لا نستطيع أن نحيا مرةً أخـرى، ونحـن نشبه الحشيش الذي ما إن يقطع حتى يذبل إلى الأبـد. أمـا البشر؛ فإن أرواحهم على النقيض تظل حيةً؛ عندما تسـتحيل أجسادهم إلى ترابٍ. وكما نصعد خارجين من الماء؛ لنتأمـل في إعجابٍ بيوت البشر؛ فإنهم يصعدون إلى مساكن مجيدةٍ لا يعرفها أحد في السماوات التي لا يسمح لنا بأن نراها".

فسألت عروس البحر الصغيرة: "ولـم لا يكـون لنـا أرواح؟ إنني لأتنازل طائعةً عن ثلاثمئة عامٍ مـن عمـرى؛ لأكون واحدةً من البشر ليومٍ واحدٍ فقط؛ وبهذا يحق لـي أن أنعم بذلك العالم العلوى فوقنا". فقالت الجدة: "يجب ألا تفكرى في ذلك؛ فنحن أحسن حالاً؛ إذ إننا نعيش عمراً أطول، ونحن أسعد كثيراً من البشر". قالت: "إذن؛ لابد أن أموت، ويقـذف بى مثل الزبد فوق البحر، ولا أصعد أبداً مرةً أخرى، وأسمع همهمة المحيط اللطيفة، ولا أرى ثانيةً أبداً الأزهار الجميلـة والشمس الساطعة!. خبرينى يا جدتى العزيزة؛ أليست هنـاك أية وسيلةٍ يمكننى بها أن أحصل على روحٍ خالدةٍ؟". فـردت

السيدة العجوز بقولها: "بلى! حقيقى؛ إنـكِ إذا اسـتطعتِ أن تظفرى بحب إنسانٍ؛ بحيث تكونين لديه أحب مـن أبيـه أو أمه، وإنه إذا أحبكِ من كل قلبه، ووعدكِ بأن يكـون زوجـاً مخلصاً لكِ دائماً؛ فإن روحه عندئـذٍ سـوف تنسـكب فـي روحكِ، وتصبيحن وقتذاك مشاركةً للإنسـان فـي هناءتـه الروحية. ولكن هذا لا يمكن أن يحدث أبداً! لأن ما هو فـي أعيننا أجمل جزءٍ في جسدنا: الذيل؛ يراه سكان الأرض بشعاً كريهاً، ولا يمكنهم أن يحتملوه؛ فالجسم لكي يبدو جميلاً فـي نظرهم؛ يجب أن تكون له دعامتان يسمونها رجلين". تنهدت عروس البحر، وتطلعت في حزنٍ إلى الجزء الحرشفي مـن جسمها؛ وهو في ظروفٍ أخرى جميلٌ رقيقٌ. وأردفت السيدة العجوز تقول: "إننا سعداء؛ إذ إننا سوف نقفز ونسـبح فـي مرحٍ لمدة ثلاثمئة عامٍ؛ وهذا وقتٌ طويلٌ. وبعد ذلك؛ سـوف نرقد في هدوءٍ؛ عندما نفارق الحياة. إننا في هذا المساء، نقيم حفلاً راقصاً للحاشية".

وكان الحفل الراقص الذي تحدثت عنه الملكة الأم أروع من أي حفل شهدته الأرض؛ إذ كانت جدران البهو من البلور السميك جدا، وإن كان شفافاً للغاية، وثبتت على طولها مئاتٌ

من أصداف بلح البحر الكبير في صفوفٍ، وكان بعض هـذه الأصداف وردى اللون، وبعضها أخضـر مثـل الحشـيش، ولكنها كانت كلها ترسل ضوءاً ساطعاً يضىء الجناح بأسره. وكانت أيضاً تلمع خلال الجدران الزجاجية؛ بحيث تضـىء المياه حولها إلى مسافةٍ كبيرةٍ، وتجعـل حراشـف السـمك الكبيرة والصغيرة؛ القرمزية والأرجوانية والفضية والذهبية؛ تبدو أكثر تألقاً مما كانت عليه من قبل.

ومن خلال وسط البهو؛ كان يتدفق جدولٌ ماؤه صـافٍ لامع؛ على سطحه فتيةٌ وفتياتٌ من عرائس البحر يرقصـون على لحن أصواتهم الرخيمة؛ وهي أصواتٌ تفوق في عذوبتها أصوات القاطنين فوق الأرض. وشدت الأميـرة الصـغيرة بصوتٍ منغمٍ أجمل من صوت أي أحدٍ آخر؛ فصفقوا بأيديهم إعجاباً بها، وهتفوا استحساناً لها. وسرها هذا؛ لأنها كانـت تعرف تماماً أنه ليس هناك على ظهر الأرض أو في البحـر صوتٌ أجمل من صوتها، ولكن أفكارها سرعان ما عـادت إلى العالم الواقع فوقها. ولم تستطع أن تنسى الأمير الوسيم، ولا أن تتمالك نفسها من الحزن؛ لأن روحها غيـر خالـدةٍ، وتسللت بعيداً عن قصر والدها. وبينما كان الكل في فـرحٍ؛

جلست وحدها؛ وهي مستغرقةٌ فـي التفكيـر فـي حـديقتها الصغيرة المهملة. وفجأةً؛ سمعت أنغام أبواقٍ تتـردد فـوق الماء بعيداً في مكانٍ سحيقٍ، فقالت لنفسها: "إنه الآن يخـرج لصيدٍ ذلك الذي أحبه أكثر من أبى وأمى، والذي يشغل دائماً أفكارى، والذي لا أتردد في أن أعتمد عليـه فـي تحقيـق السعادة لي في الحياة! وأنا على استعدادٍ لأن أخـاطر بكـل شيءٍ! كل شيء لكي أفوز به، وأحصل علـى روحٍ خالـدةٍ. وفي الوقت الذي لا تزال فيه شقيقاتى يرقصن في القصـر؛ سأذهب إلى الساحرة التي أخشاها كثيراً حتى الآن، ولكنهـا مع ذلك هي الشخص الوحيد الذي يسـتطيع أن يقـدم لـي نصيحةً ويساعدنى". وعلى هذا؛ غـادرت عـروس البحـر الصغيرة الحديقة، وذهبت إلى الدوامة المزبدة التـي تقطـن وراءها الساحرة، ولم يسبق لها قـط أن سـارت فـي هـذا الطريق من قبل؛ فلم تكن هناك أزهار ولا حشائش بحريـةٌ مزهرةٌ على طول طريقها. وكان عليها أن تجتـاز منطقـةً مكشوفةً شاسعةً من الأرض الرملية الرمادية القاحلـة حتـى تصل إلى الدوامة التي كانت مياهها تدور وتئز مثل دواليـب الطاحون، وتمزق كل شيء يمكن أن تصطدم به في الهاوية

تحتها. واضطرت إلى أن تشق طريقها خلال هـذا المكـان الفظيع لكي تصل إلى أرض الساحرة. ثم كان عليها أن تمر خلال مستنقعٍ طينه غروى وماؤه يغلى، وتسـميه السـاحرة مرجها!

كان بيت الساحرة ينتصب في غابةٍ خلف هذا المستنقع؛ وهو بحق دار غريبةٌ؛ فكل الأشجار والشجيرات كانت مـن البوالب، وتبدو مثل أفاعٍ لها مئة رأس تنبـت مـن الأرض، وأغصانها أذرع وأصابع طويلةٌ مخاطيةٌ لديدانٍ، وكل عضوٍ من الجذر إلى الطرف الأقصى لا يكف عن الحركة والتمدد في كل اتجاهٍ. وأي شيء تمسك به كانت تشدد عليه قبضتها؛ فلا يستطيع الإفلات من براثنها. ووقفـت عـروس البحـر ساكنةً؛ لا تحير حراكاً لمدة دقيقةٍ؛ وهي تتطلع إلـى الغابـة المروعة، وقلبها يدق من الخوف. وكان حريا بها بلا شك أن تعود دون أن تدرك غرضها؛ لو لم تتذكر الأمير والخلـود. ومنحتها الفكرة شجاعةً جديدةً؛ فربطـت شـعرها الطويـل المتماوج حتى لا يلتف على أشجار البوالب، وعقدت ذراعيها الرقيقتين فوق صدرها. وبسرعةٍ أكبر مما يمكن لسـمكةٍ أن تنزلق بها خلال الماء؛ مرت من هذه الأشجار السمجة التـي

أخذت تمد أذرعها المتلهفة وراءها للإمساك بها عبثاً. ومهما يكن من أمرٍ؛ فإنها لم تستطع أن تمنع نفسها من أن ترى أن كل شجرة بوابٍ؛ كان بين براثنها شيء تتشبـت بـه بقـوةٍ، وتمسكه بألف ذراعٍ صغيرةٍ؛ كما لو كانت تحيط به أربطـةٌ حديديةٌ. وكانت الهياكل العظمية المبيضة لعددٍ من المخلوقات البشرية التي غرقت في البحـر، وغاصـت إلـى الهاويـة السحيقة؛ تكشر لها عن أنيابها تكشيرةً مريعةً من خلال أذرع أشجار البواب هذه. وكانت هناك دفـات سـفنٍ وصـناديق وهياكل عظمية لحيواناتٍ بريةٍ تتشبت بها أيضاً في حضـنها، بل كانت بين أشياء أخرى؛ أمكن مشاهدتها؛ عـروس بحـرٍ صغيرةٌ؛ أمسكت بها وخنقتها! فيا له مـن منظـرٍ مخيـفٍ للأميرة التعسة!.

لكنها نجحت في أن تجتاز بأمانٍ غابة الرعب هذه، ثـم وصلت إلى مكانٍ مغطى بمـادةٍ مخاطيـةٍ؛ حيـث كانـت حلزوناتٌ سمينةٌ ضخمةٌ تدب زاحفةً حوله. وفي وسط هـذا المكان؛ بيتٌ شيد من الناس التعساء الذين تحطمـت سـفنهم وغرقت. وهنا كانت الساحرة تجلس؛ وهي تلاطف ضـفدعاً برياً بنفس الطريقة التي يلاطف بها بعض الأشخاص طائراً

مدللاً. وقد كانت تدعو الحازونات السمينة الدميمة كتاكيتهـا، وتسمح لها بأن تدب زاحفةً حولها. قالت للأميرة الصـغيرة: "إنني أعرف تماماً ما سوف تطلبين منى. إن رغبتكِ طائشةٌ بما فيه الكفاية، ولكنها سوف تتحقق علـى الـرغم مـن أن إنجازها سوف يجاب لكِ كارثةً لا شك فيهـا؛ يـا أميرتـى الجميلة. إنكِ تريدين أن تتخلصى من ذيلكِ، وأن يكون لـكِ بدلاً منه ركيزتان مثل ركيزتى المخلوقـات البشـرية لكـي يعشقك الأمير الشاب، ولكي تحصلي على روحٍ خالدةٍ. أليس كذلك؟".

وبينما الساحرة تنطق بهذه الكلمات؛ كانت تضحك بشدةٍ؛ حتى سقط ضفدعها البرى المدلل وحازوناتها من حجرهـا. وواصلت كلامها قائلةً: "لقد جئتِ في الوقت المناسب تمامـاً. فلو كنتِ قد جئتِ بعد غروب الشمس؛ لما كان في مقـدورى أن أساعدكِ قبل مرور عامٍ آخر. إنني سوف أعد لكِ شـراباً يجب أن تسبحى به إلى البر، وعليكِ أن تجلسى على الشاطئ وتبتلعيه. عندئذٍ؛ سوف يسقط ذيلكِ، وينكمش ويتحـول إلـى الاشياء التي يدعوها الناس أرجلاً. وهذا التحول سوف يكون على أية حالٍ مؤلماً للغاية؛ إذ إنكِ سوف تشعرين كما لو أن

هناك سكيناً حادة قد أغمدت في جسدكِ. وكل من يتأملكِ بعد أن تكونى قد تحولتِ على هذا النحو؛ فسيجد أنكِ تحتفظـين بحركاتكِ الرشيقة. وثقى أنه ليست هناك راقصةٌ تتحرك بخفةٍ على هذا النحو، ولكن كل خطوةٍ تقومين بها سوف تسبب الكِ ألماً مبرحاً لا يطاق. وسيخيل إليكِ أنكِ تمشين على شـفراتِ سيوفٍ حادةٍ، وسوف يسيل دمكِ. فهل يمكنكِ أن تحتملي كل هذه المعاناة؟ إذا كان الأمر كذلك؛ فإنني سوف أمنحـكِ مـا تطلبين".

فردت الأميرة قائلةً بصوتٍ متلعثمٍ؛ لأنها تذكرت أميرها العزيز والروح الخالدة التي يمكن أن تفوز بهـا بمعاناتهـا: "نعم؛ أستطيع". فقالت الساحرة: "فكرى فقط فـي أنـكِ لـن تستطيعى أن تصبحى عروس بحرٍ مـرةً أخـرى؛ عنـدما تتخذين الشكل الآدمى، وفي أنكِ قد لا تعـودين أبـداً إلـى شقيقاتكِ وقصر والدكِ. وما لم تفوزى بحب الأمير حبا يجعله يترك من أجلكِ أباه وأمه، ويصل إلى درجةٍ تمتزجين فيهـا بكل أفكاره ورغباته؛ بحيث تصبحان زوجاً وزجةً؛ فإنكِ لن تحصلي أبداً على الخلودِ الذي تنشدينه. وفي صـباح اليـوم الذي يرتبط فيه بأخرى سوف تلاقين مصـرعكِ، وسـوف

يتحطم قلبكِ من الحزنِ، وتتحولين إلى زبدٍ فـوق البحـر".
فقالت عروس البحر؛ وهي شاحبة الوجه ترتجف مثل شخص يحتضر: "ومع ذلك؛ فإني سوف أجازف". وقالت السـاحرة: "وإلى جانب هذا كله؛ فإن عليكِ أن تدفعى لي أجرى، ومـا أطلبه مقابل ما أتكبد من عناء ليس شيئاً هيناً. وإنكِ تتمتعـين بأعذب صوتٍ بين السكان في البحر وتفكرين في أن تفتنـى به الأمير. وهذا الصوت على أية حالٍ هو ما أطلبه مكافـأةً لى. إن خير ما تملكين أطلبه مقابل الشراب السحرى؛ لإنني سوف اضطر إلى التضحية بدمى؛ لكي أمنحه حدةَ سيفٍ ذى شفرتين.

فقالت الأميرة: "لكنكِ إذا أخذتِ منى صوتى؛ فماذا يبقي لي لأفتن به الأمير"، فأجابت الساحرة: "قدكِ الرشيق ومشيتكِ المتبخترة في حياءٍ وخفرٍ، وعيناكِ المعبرتان. فبمثـل هـذه الأشياء؛ من السهل أن تخلبى لب إنسـانٍ مغـرورٍ. والآن؛ حسناً! هل فقدت الشجاعة؟ هيا أخرجى لسانكِ؛ حتى أقطعـه وآخذه مقابل شرابى السحرى". فقالت الأميرة: "ليكن هـذا!". وأخذت الساحرة القدر لكي تمزج جرعة شـرابها. وقالـت؛ وهي تدعك القدر بحفنةٍ من الضفادع البرية والحلزونات: "إن

النظافة شيء جميلٌ"، ثم خدشت صدرها، وتركت الدم الأسود ينضح في القدر، وكانت في كل لحظةٍ تلقى فيهـا عناصـر جديدة. واتخذ الدخان المتصاعد من المزيج أشـكالاً رهيبـةً جدا؛ ملأت قلوب المشاهدين رعباً، وصدر منه أنين وتـأوه يشبهان نواح التماسيح. وأخيراً؛ أصبح الشـراب السـحري شفافاً مثل الماء النقى! ها هو قـد أعـد، وقالـت السـاحرة للأميرة؛ وهي تقطع لسانها في نفس الوقت: "هـا هـو ذا!". وأصبحت عروس البحر الصغيرة الآن خرساء، ولم يعد في وسعها أن تشدو بالغناء أو تتكلم. وقالت الساحرة: "إذا حاولت أشجار البولب أن تمسك بكِ؛ وأنتِ تمـرين خـلال غيطـى الصغير؛ فليس عليكِ إلا أن ترشى شيئاً من هـذا الشـراب السحري فوقها، وعندئذٍ سوف تتفتت أذرعها إلى ألف قطعةٍ".

ولكن الأميرة لم تكن في حاجةٍ إلى هذه النصيحة؛ لأن أشجار البولب انسحبت متراجعةً بسرعةٍ؛ حالما تعرفت على القارورة اللامعة التي كانت تتألق في يدها كالنجم السـاطع. وهكذا؛ مرت بأمانٍ خلال الغابة الرهيبة فوق المستنقع، وعبر مجرى الماء المتدفق المزبد.

وها هي الآن تلقى نظرةً ثانيةً على قصر أبيها: كانـت المصابيح في البهو مطفأةً، والأسرة كلها مستغرقةً في النوم. ولم يكن في نيتها أن تدخل؛ لأنها لن تستطيع أن تتكلم إذا ما فعلت هذا، وكانت توشك أن تغادر بيتها إلى الأبـد؛ وقلبهـا يكاد يتفتت حزناً عندما خطرت لها هذه الفكرة. وتسللت إلى الحديقة، وقطفت زهرةً من حوض كل واحدةٍ مـن شـقيقاتها كتذكارٍ منها، وقبلت يد كل شقيقةٍ مراراً، ثم صعدت خـلال الماء الأزرق المعتم إلى العالم الكائن فوقه.

كانت الشمس لم تشرق بعد؛ عندما وصـلت إلـى دار الأمير، وصعدت على تلك الدرجات الرخاميـة المعروفـة. وكان القمر لا يزال يسطع بضوئه في السماء؛ عندما شربت عروس البحر الصغيرة السـائل العجيـب الـذي تحتويـه قارورتها، وشعرت بأنه يجري في أحشائها؛ كأنه سكين حاد؛ فخرت على الأرض مغشياً عليها. وعندما أشرقت الشـمس؛ استيقظت وشعرت بألمٍ مبرحٍ في كل أعضائها، ولكنها رأت مطمع حبها واقفاً بالقرب منها؛ ألا وهو الأمير الشاب الوسيم الذي كانت عيناه السوداوان بلون الفحم مسلطتين عليها فـي تساؤلٍ. واشتد بها الخجل؛ فأرخت نظراتها، ولاحظت أن لها

رجلين رشيقتين؛ بدلاً من ذيلها الطويل الـذي يشـبه ذيـل السمكة، والذي كانت تحمله حتى ذلك الوقت. ولكنها كانـت عاريةً تماماً، وحاولت عبثاً أن تستر نفسها بشعرها الكثيـف الطويل.

وسألها الأمير من تكون، وكيف جاءت إلـى هنـاك؟؛ فردت عليه بابتسـامةٍ وحـدقت فيـه بعينيهـا الزرقـاوين اللامعتين؛ لأنها؛ وا أسفاه؛ كانـت لا تسـتطيع أن تـتكلم! وعندئذٍ؛ أخذ بيدها واقتادها إلى داخل القصر. ووجـدت أن الساحرة قد قالت لها الحقيقة؛ فقد أحست كأنما كانت تسـير على شفرات سيوفٍ حادةٍ، ولكنهـا تحملـت الألـم؛ وهـي راضيةٌ. ومضت قدماً؛ وهي خفيفةٌ مثـل النسـيم العليـل، وأعجب كل من رآها بحركاتها الخفيفة الرشـيقة. وعنـدما دخلت القصر، وأحضرت لها ملابس ثمينةٌ من القطن الرقيق والحرير؛ كانت أجمل من كل المقيمات هناك، ولكنها كانـت لا تستطيع أن تتكلم أو تغنى.

وشدت بالغناء أمام الأمير وصـاحبي الجلالـة والديـه بعض الجوارى اللاتى كن يرتدين ملابس زاهية اللون مـن الحرير والديباج المقصب بالذهب، وتميزت إحداهن بصوتها

الرخيم الجلى؛ فصفق لها الأمير بيديه استحساناً. فأحزن هذا عروس البحر الصغيرة جدا؛ لأنها كانت تعرف أنها اعتادت أن تشدو بغناءٍ أفضل كثيراً من غناء الجارية الشابة. وقالت لنفسها: "وا أسفاه! ليته يعرف إني قد تخليت للأبد عن صوتى من أجله". وبدأت الجوارى يرقصن، وعندئذٍ نهضت عروس البحر الصغيرة الجميلة بطلـة قصـتنا، ومـدت ذراعيهـا البيضاوين الرقيقتين، وأخـذت تـدور فـي رشـاقةٍ حـول المرقص. وكانت كل حركةٍ تقوم بها تظهـر أكثـر وأكثـر تناسق ورشاقة جسمها، وكان التعبير الذي تنم عنه نظـرات عينها يمس شغاف قلوب المتفرجين أكثر من غناء الجوارى.

وافتتن بها كل الحاضرين، وبخاصةٍ الأمير الشاب الذي وصفها بأنها فتاته الصغيرة الغالية التي لا يعـرف أهلهـا. ورقصت مراراً وتكراراً؛ على الرغم من أن كل خطوةٍ كانت تسبب لها ألماً مبرحاً. وعندئذٍ؛ قال الأمير إنها سوف تكـون معه دائماً. وبناء على هذا؛ أعد لها مكان للنوم على وسـائد من القطيفة؛ في الحجرة الأمامية المؤدية لجناحه.

وأمر الأمير بصنع بدلةٍ لها كالتي يرتديها الذكور؛ لكي ترافقه في رحلاته على ظهور الخيل. وهكذا؛ اجتـازا معـاً

الغابات العطرة التي كانت الأغصان الخضراء فيها تحف بأكنافها، والطيور تغرد في مرح بين أوراق الأشجار الناضرة، وصعدت معه إلى أعلى الجبال الوعرة. وعلى الرغم من أن قدميها الرقيقتين كانتا تدميان؛ كما لاحظ الخدم؛ فإنها ظلت تبتسم، وتبعت أميرها العزيز إلى المرتفعات التي استطاعا فوقها أن يريا السحب تتعقب بعضها بعضاً؛ وهي تحتهما كسربٍ من الطيور المهاجرة لبلادٍ أخرى.

وفي أثناء الليل، وبينما كل من في القصر مخلدين إلى الراحة؛ كانت تتسلل على درجات السلم الرخامية؛ لكي تبرد قدميها في المياه العميقة، وعندئذٍ تفكر في هؤلاء الأشخاص الذين تحبهم والذين يقيمون في العالم السفلى.

وذات ليلةٍ؛ بينما كانت تغسل قدميها على هذا النحو، سبحت شقيقاتها معاً إلى الموضع الذي كانت فيه وهن متشابكات الأذرع، وأخذن يغنين. ولكن؛ وا أسفاه! لقد أشارت إليهن في حزنٍ؛ فعرفنها في الحال، وأبلغنها بمدى الحزن الشديد الذي أصاب كل من في بيت والدها لفقدها. ومنذ ذلك الوقت؛ أخذت شقيقاتها يزرنها كل ليلةٍ. وفي ذات مرةٍ؛ أحضرن معهن الجدة العجوز التي لم تكن قد رأت

العالم العلوى؛ منذ سنواتٍ عديدةٍ. وأحضرن معهـن كـذلك والدهن ملك البحر؛ وتاجه على رأسه، ولكن هذين الشخصين العجوزين لم يجازفا بالاقتراب إلـى البـر بدرجـةٍ كافيـةٍ؛ تمكنهما من أن يتكلما معها.

وأصبحت عروس البحر الصغيرة تتمتع بحب الأميـر الذي أخذ يزداد كل يومٍ، ولكنه كان لا يعتبرهـا إلا مجـرد طفلةٍ رقيقةٍ حلوةٍ، ولم تخطر بذهنه قـط فكـرة أن يتخـذها زوجةً له. ومع ذلك؛ فلابد أن تكون زوجةً له؛ حتى تحصل على روحٍ خالدةٍ، ولابد أن تكون له؛ وإلا فإنها سوف تتحول إلى زبدٍ، وتدفع بلا هوادةٍ فوق أمواج البحر. ويبدو أن عينيها كانتا تتساءلان؛ وهو يعتصرها بين ذراعيه ويقبل جبينها في ولهٍ؛ وهي تقول: "ألست تحبنى أكثر من جميع الأخريـات؟". وكان حريا بالأمير أن يقول: "بلى؛ إنكِ أحب إلى من أي فتاةٍ أخرى، لأنه ليست هناك واحدةٌ لطيفةٌ مثلكِ، وأنتِ تحبيننـى حبا جما، وأنتِ تشبهين فتاةً صغيرةً لم أرها إلا مرةً واحدةً؛ وقد لا أراها مرةً أخرى. فقد كنت على ظهر سفينةٍ حطمتها عاصفةٌ مفاجئةٌ فأغرقتها، وألقت بى الأمواج على الشـاطئ، قرب معبدٍ مقدس؛ كان فيه عدد مـن الفتيـات الصـغيرات

منهمكاتٍ باستمرارٍ في الصلاة؛ فوجدتنى صـغراهن علـى الشاطئ وأنقذت حياتى. وأنا لم أرها إلا مرةً واحدةً، ولكـن صورتها لا تزال مطبوعةً بوضوحٍ في ذاكرتى؛ وهي وحدها التي يمكن أن أحبها. ولكنها مرتبطةٌ بالمعبد المقدس، وأنـتِ التي تشبهينها كثيراً؛ قد وهبتِ لي لتكونى عزاء وسلوى. إننا لن نفترق أبداً".

فقالت عروس البحر الصغيرة لنفسها؛ وهي تتنهد بشدةٍ: "وا أسفاه! إنه لا يعلم إني أنا هي التي أنقـذت حياتـه. لقـد حملته فوق الأمواج الهائجة إلى الخليج الحافل بالشجر؛ حيث يوجد المعبد المقدس؛ وقد جلست وراء الصخور أترقـب أن يحضر أحد. ورأيت الفتاة الجميلة تقترب؛ تلك الفتـاة التـي يحبها أكثر منى"، وزفرت مرةً أخرى زفرةً شديدةً؛ لأنها لـم تستطع أن تبكى. وقالت لنفسها: "لقد قال إن الفتاة الصـغيرة مرتبطةٌ بالمعبد المقدس؛ وهي لن تخرج أبداً إلـى العـالم. وعلى هذا؛ فإنهما لا يستطيعان أن يلتقيا مرةً أخـرى. وأنـا دائماً معه، وأراه يومياً، ولسوف أحبه، وأكرس لـه حيـاتى كلها".

وقال رجال الحاشية: "وإذن؛ فـإن الأميـر يعتـزم أن يتزوج بالابنة الجميلة لملك البلد المجاور. إن هذا هو السبب في أنه أمر بإعداد تلك السفينة الفاخرة. وقد أعلن أنه يريد أن يقوم برحلةٍ، ولكنه في الحقيقة ذاهب لرؤية الأميرة، وسوف يصحبه عدد كبير من الحاشية". وابتسمت عـروس البحـر الصغيرة ساخرةً من هذه الظنون وأمثالها؛ لأنها كانت تعرف نوايا الأمير أكثر من أي أحدٍ آخر.

وقال لها: "يجب أن أذهب؛ فعليأن أرى الأميرة الجميلة؛ إذ إن والدى يطلبان منى أن أفعل هذا، ولكنهما لن يضطرإني إلى أن أتزوج بها. وآتى بها إلى البيت عروساً لـى. ومـن المحال أن أحبها؛ لأنها لا تستطيع أن تكون شـبيهةً بالفتـاة الجميلة التي في المعبد مثلكِ أنتِ. وإذا اضطررت إلـى أن أختار؛ فإني أفضل الزواج بكِ؛ يا فتأتي الصغيرة الصـامتة؛ يا ذات العينين المعبرتين!". وقبل شفتيها الورديتين، وعبـث بخصلات شعرها، واعتصرها بين ذراعيه. وعندئذٍ؛ تولـدت في قلبها رؤيا جميلةٌ للسعادة البشرية والهناءة الخالدة.

وسألها في حنانٍ؛ وهما يقفان معاً في السفينة الفـاخرة التي كان مقرراً أن تأخذهما إلى بلد جارهما الملـك: "إنـكِ

لست خائفةً من البحر؛ أليس كذلك؛ يـا طفلتـي الصـامتة الحلوة؟". ثم تحدث معها عن العواصف التـي تثيـر الميـاه أحياناً، وعن السمك الغريب الذي يسكن في عمـق البحـر، وعن الأشياء العجيبة التي يراها الغواصون؛ فابتسمت عندما سمعت ما قال؛ لأنها كانت تعرف أكثر مما تعرف أية طفلـةٍ على ظهر الأرض ما يجري في أعماق المحيط.

وفي وقت الليل، والقمر يسطع بنوره، وكل مـن علـى ظهر السفينة مستغرقون في النوم؛ كانت تجلس وتمعن النظر في البحر. وخيل لها؛ بينما كانت تحدق في الأثر المزبد الذي صنعته قاعدة السفينة؛ أنها رأت قصر والدها وتـاج جـدتها الفضي، ورأت شقيقاتها يبرزن من المـاء، ويبـدو علـيهن الحزن وهن يمددن أيديهن نحوها. فأومأت إلـيهن برأسـها، وابتسمت، وكانت توشك أن تشرح لهن أن كل شيء يسـير وفق رغباتها. ولكن عندئذٍ؛ اقترب خادم القمـرة؛ فغاصـت شقيقاتها تحت الماء فجأة؛ حتى إن الفتى اعتقد أن ما رآه لـم يكن سوى زبدٍ.

وفي صباح اليوم التالي؛ دخلت السفينة ميناء عاصـمة الملك، ودقت الأجراس، وتردد صوت الأبواق، وسار الجنود

في موكبٍ اخترق المدينة؛ وأعلامهم ترفرف وحرابهم تتألق. وكان كل يومٍ يشهد بعض الولائم، وأقيمت حفلاتٌ راقصـةٌ ومآدب متعاقبةٌ. وعلى أية حالٍ؛ فإن الأميرة لم تكن بعد في المدينة؛ فقد أرسلت إلى ديرٍ بعيدٍ؛ لكي تتعلم، وهناك لقنـت كيف تتحلي بكل الأخلاق الفاضلة الجديرة بأميرةٍ. وأخيـراً؛ وصلت إلى القصر.

وكانت عروس البحر الصغيرة تتلهـف لرؤيـة هـذه الأميرة المذهلة، واضطرت الآن إلى أن تعترف بأنها لم تـر قط من قبل مثل هذه المخلوقة الجميلة. فقـد كانـت بشـرة الأميرة بيضاء ورقيقةً؛ حتى إن عروقها كانت تـرى مـن خلالها، وكانت عيناها السوداوان تلمعـان تحـت حـاجبين جميلين.

وصاح الأمير عندما التقيا: "إنها هي نفسها... إنها هـي التي أنقذت حياتى؛ وأنا أرقد على شاطئ البحر مثل الجثـة الهامدة... وضم عروسه الخجلي لقلبـه النـابض... وقـال لطفلته الصامتة التي عثر عليها: "أواه؛ كم أنا سـعيد. لقـد حدث لي ما لم أجرؤ قط على أن يراودنى أملٌ فيه... ولابد أن تفرحى لسعادتى؛ لأنكِ تحبيننى أكثر من جميع الآخـرين

الذين يحيطون بى". فقبلت عروس البحر الصغيرة يده فـي حزنٍ، وخيل لها أن قلبها يوشك أن يتحطم؛ على الرغم مـن أن صباح يوم زواجه الذي لابد أن يشهد وفاتها لم يكن قـد انبلج بعد.

ودقت أجراس الكنيسة مرةً أخرى؛ في حـين انطلـق منادون على ظهر الخيل في شوارع العاصمة يعلنون عـن العرس الذي يوشك أن يتم. وأشعلت عيـدان البخـور فـي شمعداناتٍ فضيةٍ في كل الهياكل، وأخذ القساوسة يؤرجحون مباخرهم الذهبية، وضمت العروس يدها إلى يد العريس؛ في حين كانت تتلي أمامهم الكلمات المقدسة التي تربطهما معاً.

وكانت عروس البحر الصغيرة التي ترتدي ثيابـاً مـن الحرير والقماش المقصب بالذهب؛ تقـف خلـف الأميـرة، وتمسك بذيل ثوب الزفاف. ولكن أذنها لم تسمع شـيئاً مـن الموسيقى الرصينة، ولم تر عينها مراسـم الاحتفـال؛ فقـد تذكرت نهايتها، وأنها قد فقدت هذه الدنيا والعالم الآخر على حد سواءٍ.

وفي تلك العشية بالذات؛ انطلقت العـروس والعـريس، وركبا السفينة، وأطلقت المدافع، ورفرفت الأعـلام؛ عنـدما

هب النسيم. وفي وسط ظهر السفينة؛ أقيمت ظلةٌ فخمةٌ مـن القماش الأرجواني والذهبى مجهزةٌ بأرائك ثمينةٍ وثيرةٍ؛ حيث كان مقرراً أن يمضـى الليلـة صـاحبا السـمو الزوجـان الكريمان. وهبت ريح مواتيةٌ؛ نشرت الأشـرعة؛ فانزلقـت السفينة برشاقةٍ فوق المياه الزرقاء. وحالما حل الظلام علقت مصابيح ملونةٌ، وبدأ الرقص على ظهر السـفينة. وهكـذا؛ تذكرت عروس البحر الصغيرة ما رأته أول مـرةٍ صـعدت فيها إلى العالم العلوى. وكان المشهد الماثل أمامهـا الآن لا يقل روعةً، واضطرت إلى أن تشترك في الرقص، وأخـذت تدور برشاقةٍ كما يحوم طائر فوق جوانب السفينة. وصـفق لها الجميع استحساناً؛ لأنها لم ترقص قط بمثل هذه الرشـاقة الساحرة. وكانت قدماها الصغيرتان تؤلمانها ألمـاً شـديداً. ولكنها لم تعد تشعر بالألم؛ إذ كان الألم الذي يحز في قلبهـا أشد كثيراً.

كانت هذه آخر عشيةٍ تراه فيها؛ ترى ذلك الذي من أجله هجرت موطنها، وكل أسرتها، وتخلت عن صوتها الجميـل، وتحملت كل يومٍ الألم المبرح الشديد... كـل هـذا دون أن يساوره في ذلك أدنى شك. وكانت آخر عشيةٍ تـرى فيهـا

البحر الأزرق العميق والسماوات الحافلة بـالنجوم. وكـان ينتظرها ليلٍ سرمدى؛ لا يمكن أن تفكر فيه أو تحلم به. وكان الجميع في السفينة في فرحٍ؛ أما هي التي كان قلبها زاخـراً بأفكارٍ تدور حول الموت والفناء؛ فقد أخذت تبتسم وتـرقص مع الآخرين إلى أن مضى نصف الليل. وعندئذٍ؛ قبل الأمير عروسه الجميلة، ودخل وذراعها في ذراعه الخيمة الفـاخرة التي أعدت ليخلدا فيها إلى الراحة... كان كـل شـيء الآن هادئاً، وكان النوتى المكلف بالدفة يقـف وحـده عنـد دفـة السفينة. واسـتندت عـروس البحـر الصـغيرة بـذراعيها البيضاوين على الشرفة، وتطلعت نحو الشرق، وأخذت ترقب انبلاج الفجر، وكانت تعرف تماماً أن أول شعاعٍ من الشمس سوف يشهد وفاتها. ورأت شقيقاتها يظهرن خارجـاتٍ مـن البحر، وكانت تقاطيعهن شاحبةً شـحوب المـوتى، وكـان شعرهن الطويل لا يهفهف فوق أكتافهن؛ فقد قصصنه كلـه وقلن لها: "لقد أعطيناه للساحرة لإغرائها بأن تساعدكِ حتـى لا تموتى؛ فأعطتنا مطواةً؛ ها هي ذى... قبـل أن تشـرق الشمس؛ عليكِ أن تغمديها في قلب الأمير، وعندما يسيل دمه الحار على قدميكِ، سيتحولان مرةً أخرى إلى ذيـل سـمكةٍ؛

وتعودين كما كنتِ عروس بحرٍ، وتعيشين أعوامكِ الثلاثمئـة كلها؛ قبل أن تتحولي إلى زبدٍ في البحر. ولكن هيا أسرعى؛ فهو إما أن يموت وإما أن تموتى أنتِ، قبل شروق الشمس". وقلن: "إن أمنا العجوز تنوح من أجلكِ كثيـراً، وقـد سـقط شعرها الأشيب من فرط الحزن؛ كما فقدنا شعرنا مـن قبـل بمقص الساحرة. هيا اقتلي الأميـر وانزلـي إلينـا... هيـا أسرعى... أسرعى... ألا ترين الخطوط الحمراء في السماء جهة الشرق تعلن قرب شروق الشمس؟ فبعد بضـع دقـائق تشرق الشمس. وعندئذٍ؛ سوف ينتهي كل شيء بالنسبة لكِ".

وما قلن هذه الكلمات حتى زفرن زفرةً شديدةً، وتوارين عن الأنظار... وجذبت عروس البحر الصغيرة جانباً الستائر الأرجوانية للظلة التي كانت ترقد فيها العروس مع العـريس وانحنت عليهما، وقبلت جبين الأمير، ثم نظرت إلى السماء؛ فرأت أن ضوء الفجر يشتد لمعانه في كل لحظةٍ. وانفرجـت شفتا الأمير متمتماً باسم عروسه؛ فقد كان يحلم بهـا، وبهـا وحدها فقط. في حين؛ كانت المطواة القاتلة ترتجف في يـد عروس البحر التعسة.

وفجأةً؛ قذفت إلى جوف البحـر بتلـك الأداة المميتـة، فارتفعت الأمواج حولها كالسنة اللهب المتوهجـة اللامعـة، وخيل لها أن الماء الذي سقطت فيه مخضب بالدم. وبعينين؛ سرعان ما أصبحتا معتمتين وجامدتين؛ تطلعت مرةً أخـرى إلى أميرها الحبيب، ثم قفزت من السفينة لتغوص في البحر، وأحست كأن جسمها يذوب ببطءٍ؛ بيد أنه كان يتحول إلى زبدٍ بلا شك.

ونهضت الشمس من مضجعها المائى، وسقطت أشعتها برقةٍ؛ فبعثت الدفء في أوصال عروس البحر الصغيرة بطلة قصتنا؛ حتى إنها لم تكد تحس بأنها تموت؛ إذ كانت لا تزال ترى الشمس العظيمة الرائعة؛ وعلى رأسها يحوم ألف شكلٍ شفافٍ جميلٍ. وكانت لا تزال تستطيع أن تميز أشرعة السفن البيضاء، والسحب الحمراء البراقـة فـي السـماء. وكـان لأصوات تلك المخلوقات الخفيفة فوقها لحن حلو ملاطفٌ جدا؛ حتى إن الأذن البشرية كانت قدرتها على التقاط الأصـوات أقل من قدرة عينها على تمييز أشكالها. وقد أخـذت تحـوم حولها بلا أجنحةٍ، وتحملها خفة وزنها خلال الهواء. وأخيراً؛

رأت عروس البحر أن لها جسـداً شـفافاً مثـل أجسـادها، وشعرت بأنها ترفع تدريجياً من زبد البحر إلى جهاتٍ أعلى.

وتساءلت: "ترى إلى أين يأخذوننى؟". وبـدت كلماتهـا تماماً مثل أصوات تلك الكائنـات السـماوية، فكـان الـرد: "أتكلمين بنات الهواء؟ إن عروس البحر ليس لها روح خالدةٌ، ولا تستطيع أن تحصل على تلك النعمة السماوية إلا بـالفوز بحب واحدٍ من أبناء البشر، ويتوقف خلودها علـى اتحادهـا بإنسانٍ؛ كما أنه ليس لبنات الهواء أرواح خالـدةٌ، ولكـنهن يستطعن أن يحصلن عليها بأعمالهن الصالحة. ونحن نطيـر إلى بلادٍ حارةٍ؛ يرزح فيها أولاد الأرض؛ تحت نسماتٍ حارةٍ رطبةٍ وبائيةٍ، ونسمتنا المنعشة المبردة تجدد قواهم. ونحـن ننتشر خلال الهواء الجوى ونعطره بشذا الأزهـار اللذيـذ، وبهذا ننشر البهجة والصحة على الأرض. وبعمل هذا الخير؛ بهذه الطريقة لمدة ثلاثمئة عامٍ؛ نحصل على الخلود، ونحظى بنصيبٍ من الهناءة الأبدية للمخلوقات البشرية. وأنتِ عروس البحر الصغيرة المسكينة... يا من تتبعين مـا يحثـكِ عليـه قلبكِ؛ قد فعلتِ الكثير جدا، وقاسيتِ كثيراً. وقد سـموتِ الآن إلى عالم الأرواح في الفضاء الفسـيح. وبقيامـكِ بأعمـال

الإحسان لمدة ثلاثمئة عامٍ؛ يمكنكِ أن تحصلي على روحٍ خالدةٍ". بسطت عروس البحر الصغيرة ذراعيها الشفافتين نحو الشمس، ولأول مرةٍ في حياتها؛ ترقرقت في عينيها الدموع.

والآن؛ ها هم جميعاً مستيقظون فرحون يطربون على السفينة. ورأت الأمير مع عروسه الجميلة... كانا يفتقدانها، وكانا يتطلعان في حزنٍ إلى المياه المزبدة؛ كما لو كانا يعرفان أنها قفزت إلى البحر وغاصت فيه. ودون أن ترى؛ قبلت جبينه، وابتسمت له، ثم حلقت عالياً مع باقي بنات الهواء فوق السحابة الوردية التي كانت تسير في هدوءٍ فوق السفينة، وقالت: "بعد ثلاثمئة عامٍ؛ سوف نطير في مملكة السماء!".

وهمست إحدى شقيقاتها: "من يدرى؟ ربما نصل إلى هناك في وقتٍ أقرب من هذا؛ فنحن نطير دون أن نرى خلال مساكن الناس التي توجد فيها أطفالٌ. وعندما نجد طفلاً حسن الخلق؛ يسر والديه، ويستحق حبهما؛ فإن الله الكريم يقصر أمد فترة اختبارنا".

وقالت أخرى: "ليس هناك طفلٌ يعلم أننا نمرق طائراتٍ حول حجرته، وأنه عندما ينتزع منا المرح ابتسامةً؛ فإن عاماً يسقط من الثلاثمئة سنةٍ. ولكن؛ عندما نرى طفلاً فظاً مشاكساً، فإننا نذرف دموعاً غزيرةً من شدة الحزن؛ وكل دمعةٍ نذرفها؛ تضيف يوماً إلى فترة اختبارنا".

الأميرةُ الحقيقيةُ

ذاتَ يومٍ، أراد أمير أن يتزوج أميرةً؛ فسافر إلى جميع أرجاء العالم؛ مؤملاً أن يجد هذه الأميرة، ولكن كان يوجـد دائماً شيء لا يرضى عنه. فقد وجد الأميـرات بالعشـرات، ولكنه لم يستطع أن يقرر ما إذا كن أميراتٍ حقيقيـاتٍ أم لا؛ إذ كان يبدو له أن فيهن عيباً لسببٍ أو لآخر. وأخيراً؛ عـاد إلى قصره؛ وهو حزين لأنه كان يود كثيراً أن يتزوج أميرةً حقيقيةً، ولم يستطع أن يجد واحدةً.

وذات مساءٍ؛ هبت ريح عاصفةٌ تخللها رعـد وبـرقٌ، وهطل المطر في سيولٍ جارفةٍ. وإلى جانب ذلك؛ كانت الدنيا ظلاماً حالكاً في سواد القار. وفجأةً؛ سمع طرقٌ شديد علـى الباب؛ فذهب الملك الشيخ والد الأمير بنفسه ليفتحه.

كانت هناك أميرةٌ تقف خارجه؛ وهي في حالةٍ يرثى لها بسبب المطر والريح، والماء يقطر من شعرها؛ فقـد كانـت ثيابها ملتصقةً بجسدها، وقالت إنها أميرةٌ حقيقيةٌ. فقالت الملكة الوالدة العجوز لنفسها: "آه؛ سوف نرى حالاً حقيقـة ذلـك!". ومهما يكن من أمرٍ؛ فإنها لم تبد أية إشارةٍ تنم عما تعتزم أن

تفعله، ومضت في هدوءٍ إلى غرفـة النـوم، ونزعـت كـل ملاءات السرير، ووضعت ثلاث حباتٍ صغيرةٍ مـن البسـلة على السرير. ثم وضعت عشرين حشيةً؛ واحدةً فوق الأخرى على حبات البسلة الثلاث، ووضعت فوق الحشايا وسائد مـن الريش. وكان على الأميرة أن تمضى الليلة نائمةً على هـذا الفراش.

وفي صباح اليوم التالي؛ سئلت كيف أمضت ليلتها فـي الفراش؟؛ فردت قائلةً: "أواه؛ لقد كان نومى سيئاً حقا! إنني لم أغمض عينى تقريباً طوال الليل. وأنا لا أدرى ماذا كان في فراشى، ولكنني شعرت بأن هناك شيئاً صلباً تحت جسـدى، وها هو جسدى كله كدماتٌ. لقد آذإني ذلك كثيراً!". وأصـبح من الواضح الآن أن هذه لابد أن تكون أميرةً حقـا؛ لأنهـا استطاعت أن تحس بوجود حبات البسلة الصغيرة الـثلاث؛ خلال العشرين من وسائد الريش. ولا يمكن لواحـدةٍ إلا إذا كانت أميرةً حقا أن يكون لها مثل هذا الإحساس الرقيق.

وعلى هذا؛ اتخذها الأمير زوجةً له؛ بعد أن اقتنع بأنـه وجد أميرةً حقيقيةً. ومهما يكن من أمرٍ؛ فإن حبـات البسـلة

الثلاث وضعت في المتحف الملكي؛ وهي لا تزال تشاهد فيه؛ إذا لم تكن قد سرقت.

لاحظ أن هذه قصةٌ حقيقيةٌ.

فرخُ البط القبيح

ما أجملَ الريف! كان ذلك في وقت الصـيف. وكـان القمح أصفر والشوفان أخضر، والتبن مكوماً فـي المـروج الخضراء، وطائر اللقلاق يمشي فـي خـيلاء علـى سـاقيه الطويلتين الحمراوين؛ يتكلم باللغة المصرية، وهي اللغة التي تعلمها على يد أمه. وكانت الحقول والمروج تحفها غابـاتٌ كثيفةٌ، وفي وسط الغابات تقع بحيرةٌ عميقةٌ. أجـل؛ كانـت الطبيعة جميلةً في الريف حقا! وكانت أشعة الشمس الدافئـة تسقط على بيتٍ ريفي عتيقٍ تحيط به قنواتٌ عميقـةٌ. ومـن الجدران إلى حافة الماء؛ نبتت أوراقٌ كبيرةٌ لنباتـات "رأس الحمامة". وكانت عاليةً جدا؛ لدرجة أنه كان في وسع الأطفال أن يقفوا بينها منتصبين؛ دون أن يراهم أحـد. وكـان هـذا المكان موحشاً مقفراً؛ مثل أشد الأجزاء كثافةً فـي الغابـة، ولهذا اختارت بطةٌ أن تبنى عشها هناك، وكانت ترقد علـى بيضها. ولكن البهجة التي كانت تستشعرها فـي أول الأمـر زالت الآن؛ لأنها ظلت هناك فترةً طويلةً. وكـان لا يتـردد

عليها إلا القليل من الزوار؛ لأن البطات الأخرى كانت تفضل أن تسبح في القنوات على أن تصعد إلى الضـفاف الزلقـة وتثرثر معها.

وأخيراً؛ بدأ البيض يفقـس، وأخـذت رؤوس صـغيرةٌ تظهر؛ واحدةً بعد الأخرى. وقالت البطـة: "كـاك كـاك!". فنهض الجميع بقدر ما استطاعوا، ونظروا في حذرٍ من تحت الأوراق الخضراء. وقالت البطات الصغيرات: "مـا أوسـع العالم!"؛ فقالت الأم: "أتعتقدون أن هذا هو العالم بأسره؟ إنـه يمتد بعيداً وراء الجانب الآخر من الحديقة إلى حقل الفلاحين، ولكنني لم أذهب قط إلى هناك. هل أنتم جميعاً هنـا؟"، ثـم نهضت وقالت: "لا؛ إنني لا أجدكم جميعاً هنا؛ فأكبر بيضةٍ لا تزال هناك، وإنني لأتساءل إلى متى يستمر هذا؟ لقد ضجرت منها". ثم رقدت عليها مرةً أخرى.

وسألت بطةٌ عجوز؛ كانت قد أتت لزيارتها: "حسناً؛ إلى أي مدى تتقدمين في هذا الأمـر؟". فقالـت الأم: "إن هـذه البيضة لا تزال تحتجزنى وقتاً طويلاً، وهي لا تفقس، ولكن ينبغى أن ترى الأخريات. إنها أجمل بطيطاتٍ رأيتها حياتى". فقالت البطة العجوز: "لكِ أن تصدقى هذا. إنها بيضة دجاجةٍ

روميةٍ. لقد خدعتِ أنا نفسى يوماً بالطريقة ذاتهـا، ولقيـت كثيراً من المشقة في تربية البطات الصغيرات؛ فقـد كانـت تخاف من الماء؛ لدرجة إنني لم أسـتطع أن أحملهـا علـى الاقتراب منه، وناديتها، ونهرتها، ولكن هذا كله كان بـدون جدوى. ولكن دعينى أرى البيضة. آه؛ أجل؛ إنها يقيناً بيضة دجاجةٍ روميةٍ؛ فدعيها، وهيا علمـى البطـات الصـغيرات الأخريات كيف تعوم". فقالت البطة: "سأرقد عليها لمدةٍ قليلةٍ أخرى. فقد رقدت عليها لمدةٍ طويلةٍ جدا، ويوم أو يومان لن يفرقا كثيراً". فقالت البطة العجوز: "ليس هذا مـن شـأنى". وسارت بعيداً؛ وهي تترنح.

وأخيراً؛ فقست البيضة الكبيـرة. وقـال فـرخ الـبط الصغير: "بيب. بيب!"، وخرج وهو يتعثر. ولكن؛ أواه؛ كـم هو كبير وقبيح! فتطلعت إليه البطة وقالت: "هذا مخلوقٌ كبير قوى البنية، وليس بين أفراخ البط الأخرى شبيه بـه علـى الإطلاق. أيمكن أن يكون ديكـاً روميـا صـغيراً؟ حسـناً؛ سنعرف هذا حالاً. إن عليه أن يذهب إلى المـاء، وإن كـان عليأن أدفعه بنفسى للنزول فيه".

وفي اليوم التالي؛ كان الطقس جميلاً، وكانت الشـمس ترسل أشعتها الدافئة إلى كل أوراق الأشـجار الخضـراء؛ عندما انطلقت البطة الأم مع أسرتها إلـى القنـاة، وتطـاير الرذاذ، ونزلت إلى الماء وصرخت: "كاك. كاك!"، وأخـذت البطات الصغيرات تقفز إلى الماء واحدةً بعد الأخرى حتـى غمر الماء رؤوسها، ولكنها كلها طفت من جديدٍ، وسـبحت بسهولةٍ تامةٍ. كانت كلها هناك؛ حتى فـرخ الـبط الرمـادى القبيح؛ كان يسبح مع الباقيات.

وقالت البطة الأم: "لا؛ إنه ليس ديكاً رومياً. ألا تـرون كيف يحرك ساقيه برشاقةٍ! وكيف يقف منتصباً!. إنه طفلى، وهو جميلٌ حقا؛ عندما يتطلع إليه المرء عن قـربٍ. كـاك! كاك! والآن؛ هيا تعال معى فسآخذك إلى العالم، ولكن عليك أن تسير بالقرب منى، وإلا ربما يدوسك أحد. واحترس مـن القطة". وعندما أتوا إلى حظيرة البط؛ كانت هنـاك أسـرتان تتنازعان رأس ثعبانِ سمكٍ، فازت به في آخر الأمر قطـةٌ. وقالت البطة الأم، وهي تشحذ منقارها؛ لأنها كانـت أيضـاً مغرمةً بثعبان السمك المشوى: "انظروا يا أولادى؛ تلك هـي الطريقة المتبعة في الدنيا". وقالت: "هيا؛ استخدموا سـيقانكم،

وسيروا معاً". وانحنوا للبطة التي ترونها هناك. إنهـا أنبـل البط قاطبةً، وهي من نسلٍ إسبانى، وهذا هـو السـبب فـي مظهرها الوقور، وسلوكها الجليل. وانظروا؛ إن على سـاقها خرقةً حمراء وهي تعتبر شارةً خاصةً تدل علـى مكانتهـا الرفيعة، وهي أعظم شرفٍ يمكن أن تحظى به بطةٌ".

تطلعت إليهم البطات الأخريات اللاتى كن في السـاحة، وقلن بصوتٍ عالٍ: "إن علينا أن ننظر فقط! فالآن لدينا ذريةٌ أخرى؛ كأنه لم يكن هناك منا عدد كافٍ فعلاً، وتبا لـه! مـا أقبحه! إننا لن نطيق وجوده معنا". وفي الحال طارت إحـدى البطات، وعضته في عنقه.

فقالت الأم: "دعوه وشأنه. إنه لا يؤذى أحداً".

ـ "نعم؛ ولكنه ضخم الجسم جدا، وقبيح المنظر".

فقالت البطة العجوز التي تضع خرقـةً حمـراء حـول ساقها: "هؤلاء أولاد ظرفاء لتلك الأم الطيبة. وكل واحدٍ منهم جميلٌ؛ ما عدا فرخ البط الذي لا يحظى يقيناً بأي عطفٍ على الإطلاق. وإنني لأود أن تعمل أمه على إصلاح شكله قليلاً". فقالت الأم: "إنه بلا شك ليس وسيماً، ولكنه طفلٌ طيب جدا، ويحسن السباحة مثل الأخريات؛ بل إنه في الحقيقـة أحسـن

منها. وأعتقد أنه في حينه سوف ينمو مثل الأخريات. ومـن يدرى؛ لعله يبدو أصغر منها"، وربتت على عنق فرخ البط، وسوت ريشه المهوش. وأردفت تقول: وفضلاً عن هذا؛ فإنه يشبه ذكر البط، وأعتقد أنه سوف يكون قوياً، وأنـه سـوف يشق طريقه في الحياة". وقالت البطة العجوز: "إن البطـات الأخريات جميلاتٌ جدا. أرجوكم؛ اعتبروا أنفسكم في بيتكم، وإذا وجدتم رأس ثعبان سمكٍ؛ فأحضروه لى".

ووفقاً لهذا؛ أخذوا يتصرفون بلا كلفةٍ؛ كما لو كانوا في بيتهم. ولكن فرخ البط المسكين الذي كان آخر من خرج من قشرة البيضة، والذي كان قبيحاً جدا تعرض للعض والنقـر والإيذاء من البط والدجاج على السواء. وأخذ الديك الرومى الذي خرج إلى العالم بمهاميز؛ ينفخ أوداجه، وخـال نفسـه إمبراطوراً؛ فنفخ جسمه مثل سفينةٍ ناشرةٍ أشرعتها، وسـار إلى فرخ البط الصغير؛ وقد احمـر مـن الغضـب. وكـان المخلوق المسكين الضئيل لا يكاد يعرف ما ينبغى أن يفعل، وانتابه الحزن والأسى؛ لأنه كان قبيحاً جدا. وهكذا؛ مضـى اليوم الأول، وساءت الأمور بعد ذلك، وازدادت سوءاً. فحتى إخوانه وأخواته تصرفوا معـه بغلظـةٍ، وكـانوا يقولـون

باستمرارٍ: "فلتأخذك القطة؛ أيها المخلـوق التافـه القبـيح!". وقالت أمه إنها ودت لو أنه لم يولد قط. وعضـته البطـات، ونقرته الدجاجات، وركلته الفتاة التي كانت تطعم الطيـور؛ فجرى مخترقاً السياج؛ ففزعـت الطيـور الصـغيرة فـي الشجيرات، وطارت مبتعدةً.

قال فرخ البط لنفسه: "لقد حدث ذلك لإنني قبيح"، وظل يجري. وأخيراً؛ انتهى إلى مستنقعٍ متسعٍ كانت تعـيش فيـه بعض البطات البرية. وهناك؛ رقد طوال الليل؛ وهو يحـس بتعبٍ شديدٍ، ويخامره الحزن والأسى. وفي الصباح؛ طارت البطات البرية، وعندئذٍ رأت رفيقها الجديد؛ فسألت: "بربـك من أنت؟"؛ فحياها فرخ البط بأدبٍ جم بقـدر مـا اسـتطاع. وقالت البطات البرية: "إنك حقا قبيح جدا، ولكن هذا لا يهمنا كثيراً؛ ما دمت لا تريد أن تتزوج من أسرتنا". يا للمخلـوق المسكين! إنه لم يفكر قط في الزواج؛ إذ كان كل ما يتمنـاه هو أن يستلقى بين القصبات، ويشرب من مـاء المسـتنقع. وهناك؛ أقام يومين كاملين. وفي اليوم الثالث؛ أتـت وزتـان بريتان أو بالأحرى فرخا وز؛ لأنهما لم يكونا قد خرجا مـن قشرتى بيضتيهما منذ فترةٍ طويلةٍ، وهذا هـو السـبب فـي

وقاحتهما، وقالا: "أنت يا هذا؛ إنك قبيح جدا؛ لدرجـة أننـا نحبك؛ فهل لك أن تذهب معنا، وتصبح طائراً جوالاً هنـاك على المستنقع الآخر؟ وهو لا يبعد كثيراً عن هذا المسـتنقع؛ حيث بعض الوزات البرية العزيزة الحلوة؛ وهي مخلوقـاتٌ ظريفةٌ. إنها فرصةٌ تتيح لك أن تحصل على زوجـةٍ؛ فقـد تكون محظوظاً؛ بالرغم من أنك على هذه الدرجة من القبح".

وانطلق الرصاص من بندقيةٍ بفرقعةٍ! فسقط فرخا الوز صريعين بين القصبات. وانطلق الرصاص من بندقيةٍ أخرى! فطار سرب كامل من الوز البرى من بين نباتـات الأسـل. وسمع الصوت المزعج نفسه مرةً ثانيةً ومرةً ثالثةً. فلقد كانت هناك جماعةٌ من الصيادين جاثمين ببنادقهم في كمين؛ يحيط بالمكان حولهم. بل إن بعضهم كانوا يجلسون على الأشـجار التي كانت أغصانها الضخمة تحجب نباتات الأسل. واندفعت الكلاب؛ فتطاير رشاش الطين، وانحنت القصبات والنباتـات في كل الاتجاهات. وكم اشتد الفزع بفرخ الـبط المسـكين! فأدار رأسه، وفكر في إخفائها تحت جناحـه. وفـي الوقـت نفسه؛ مر بالقرب منه كلب كبير شرس المنظر؛ لسانه يتدلي مـن فمه، وعيناه ترسلان شرراً تهلع له القلـوب. وكـان فكـاه

مفتوحين لأقصى أتساعٍ لهما، ودفع أنفه إلى مسافةٍ قريبةٍ من فرخ البط؛ فظهرت أسنانه الحادة البيضاء، ثم... سمع صوت رشاش، ومضى الكلاب... مضى دون أن يمسه بأذى.

تنهد فرخ البط، وقال: "حسناً! إن عليأن أحمد الله؛ فأنـا شديد القبح؛ لدرجة أن الكلاب أبى أن يعضنى". وعلى هـذا؛ رقد ساكناً لا يبدى حراكاً؛ على الرغم من أن صوت إطلاق الرصاص استمر يسمع وسط القصبات، ولم يتوقف إلا فـي ساعةٍ متأخرةٍ من النهار. وحتى وقتذاك؛ لم يجرؤ المخلـوق التافه المسكين على أن يتحرك، وظل ينتظر بضع سـاعاتٍ؛ قبل أن يتطلع حوله، ثم بادر بالابتعاد عن المستنقع بأسرع ما أمكنه. وجرى فوق الحقول والمروج؛ على الـرغم مـن أن الرياح كانت تهب بشدةٍ؛ إلى حد أنه كاد لا يستطيع أن يسير ضدها.

وعندما اقترب المساء؛ وصل إلى كوخٍ صغيرٍ؛ وهو في حالةٍ يرثى لها؛ لدرجة أنه لم يعرف على أي جانب يستلقى، ولهذا ظل واقفاً. ولاحظ أن البـاب كـان ينقصـه إحـدى مفصلاته، وأنه يميل بشدةٍ؛ إذ كان الفراغ بينه وبين الجـدار

واسعاً؛ لدرجةٍ تكفي لأن يمر مـن خلالـه. وبينمـا كانـت العاصفة تشتد أكثر وأكثر؛ زحف داخلاً إلى الحجرة.

في هذه الحجرة؛ كانت تعيش امرأةٌ عجوز مـع قطهـا ودجاجتها. وكان القط الذي كانت تناديه بابنها الصغير يعرف كيف ينصب ظهره ويهر هريراً؛ بل إنه كان يعـرف كيـف يقذف من عينه شرراً؛ عندما يربت أحدهم على فرائه بطريقةٍ مؤلمةٍ. وكان للدجاجة ساقان قصيرتان، ومن ثم؛ سميت باسم الدجاجة ذات الرجلين القصيرتين؛ وكانت تضع بيضاً صالحاً جدا، والمرأة العجوز تحبها كأنها طفلةٌ أنجبتها.

وفي صباح اليوم التالي؛ أخذ القـط يمـوء، وأخـذت الدجاجة تصدر قأقأةً؛ عندما شاهدا الضيف الجديد. فسـألت المرأة العجوز؛ وهي تتطلع حولها: "ماذا بكمـا؟"؛ وكانـت عيناها كليلتين؛ فظنت أن فرخ البط لـيس إلا بطـةً سـمينةً ضلت طريقها. وقالت: "إن هذا صيد سمين، وسأحصل الآن على بيض بط؛ إذا لم يكن هذا ذكراً. وما علينا إلا أن ننتظر ونرى". وعلى هذا؛ احتفظت بفرخ البط على سبيل التجربـة لمدة ثلاثة أسابيع، ولكن لم يظهر إلى الوجود أي بيضٍ.

وكان القط هو سيد البيت، والدجاجة ربته، واعتادا دائماً أن يقولا: "نحن والعالم"؛ إذ لم يتصورا أنهما نصف العالم فحسب؛ بل أيضاً النصف الأفضل. وكان فرخ البط يعتقد في احتمال أن يكون له رأي مختلفٌ، ولكن هذا الرأي لن تسمح له الدجاجة بأن يبديه؛ إذ سألته: "أيمكنك أن تضع بيضاً؟".

- "لا".

- "حسناً؛ إذن؛ فامسك لسانك".

وسأل القط: "أيمكنك أن تنصب ظهرك؟ وهل تستطيع أن تهر هريراً؟".

- "لا".

- "حسناً؛ إذن؛ ينبغى ألا يكون لك رأي على الإطلاق عندما يتكلم قوم مرهفو الحس".

ولهذا؛ جلس فرخ البط منزوياً في ركنٍ؛ وهو يشعر بوهنٍ وفتورٍ في عزيمته إلى أن دخل الهواء المنعش، وضوء الشمس الساطعة من خلال الباب المفتوح؛ فمنحه هذان العنصران رغبةً عارمةً في أن يسبح، بحيث لم يتمالك نفسه من أن يقول هذا للدجاجة. فقالت الدجاجة: "ماذا يؤلمك؟ ليس لديك شيء تفعله. ومن ثم؛ فإنك تستغرق في هذه الخيالات!

وعليك؛ إما أن تضع بيضاً، أو تهر هريراً، وعندئذٍ تنساها". فقال فرخ البط: "ولكن السباحة ممتعةٌ جـدا، وهـي ممتعـةٌ عندما تغمر المياه رأسكِ وتغوصـين إلـى القـاع". فقالـت الدجاجة: "حسناً؛ إن هذا نوع غريب من المتعة، وأعتقد أنك لابد أن تكون مخبولاً، ولن أحدثك عن نفسى، واسأل القـط فهو أعقل مخلوق أعرفه عما إذا كـان يحـب أن يسـبح أو يغوص إلى قاع الماء، واسأل سيدتك! وليس هناك من يفوقها ذكاء ومهارةً: أتعتقد أنها سوف تجد متعةً في السباحة، وفـي المياه وهي تغمر رأسها؟".

فقال فرخ البط: "إنكما لا تفهماننى". فقالـت: "مـاذا! لا نفهمك! إذن فأنت تعتقد أنك أعقل من القط والمرأة العجـوز، ولا أحدثك عن نفسى! لا تتخيل شيئاً مثل هذا يا بنى، وعليك أن تحمد الله على كل ما أبديناه نحوك من كـرمٍ وعطـفٍ. ألست تقيم في حجرةٍ دافئةٍ، وألست تتمتع بميزة وجودك فـي مجتمعٍ يمكنك أن تتعلم منه شيئاً؟ ولكنك ثرثار، والاسـتماع إليك أمر ممل. صدقنى؛ إنني أتمنى لك الخير. وأنا أقول لك حقائق لا تسر، ولكن هكذا تظهر الصداقة الحقيقيـة. تعـال؛

وتحمل مرةً واحدةً مشقة أن تتعلم كيف تهر هريراً، أو تضع بيضاً".

فقال فرخ البط: "أعتقد إنني سوف أخاطر، وأخرج إلى العالم الواسع".

فقالت الدجاجة: "حسناً؛ اذهب إذن".

وعلى هذا؛ انطلق فرخ البط مبتعداً. وسرعان ما وجـد ماء، وعام على السطح، وغاص تحته، لكن كل الحيوانـات الأخرى تغاضت عنه بسبب قبحه. وأقبل الخريف، وتحولت أوراق الأشجار إلى أوراق صفراء وسمراء، وأمسكت بهـا الريح، ورقصت حولها. وكان الجو بارداً جـدا، والسـحب كثيفةً ومثقلةً بالبرد أو الثلج، وجلس الغراب علـى السـياج، وأخذ ينعق. وليس من شك في أن فرخ البط المسكين لم يكن مرتاحاً جدا.

وذات مساءٍ؛ والشمس تغرب؛ حلق سرب من الطيـور الكبيرة من وسط الغابة الصغيرة. ولم يسبق لفرخ الـبط أن رأي أبداً أي شيء جميلٍ لهذا الحد من قبل؛ إذ كان ريشـها أبيض يبهر الأبصار، وكانت لها أعناقٌ طويلةٌ هيفاء. كانـت بجعاتٍ. وأطلقت صيحةً فريدةً، ونشرت أجنحتهـا الطويلـة

الرائعة. وطارت مبتعدةً عن هذه الأصقاع الباردة إلى بـلادٍ أشد دفئاً عبر البحر، وحلقت في ارتفـاعٍ عظـيمٍ. وكانـت مشاعر فرخ البط القبيح غريبةً جدا! وقد أخذ يدور ويـدور في الماء كما تدور عجلةٌ، ومط عنقه ليتتبعها في طيرانهـا، وأطلق صرخةً عاليةً غريبةً؛ أفزعته هو نفسـه. آه! إنـه لا يمكن أن ينساها، ولا يستطيع أن ينسى تلك الطيور النبيلة... تلك الطيور السعيدة! وكان لا يعرف بم يسميها، ولا يعـرف إلى أين تطير. ومع ذلك؛ فإنه أحبها حبا لم يعرفه قـط لأي شيء من قبل. ولكنه لم يحسدها؛ فلم يتمن أبداً أن يكون لـه مثل هذا الجمال. وسوف يكون راضياً تماماً؛ إذا احتمل البط في حظيرته صحبته.

وكان الشتاء بارداً؛ قارص البرد! وكان على فرخ البط أن يعوم ويدور في الماء؛ حتى لا يتجمد. ولكن في كل ليلـةٍ كانت الدائرة التي يعوم فيها تضيق وتضيق؛ كما كان عليـه أن يحسن استخدام ساقيه ليمنع الماء من أن يتجمـد كليـةً. وأخيراً؛ أضناه التعب؛ فاستلقى في الثلج، وقد تصلب جسـده من البرد.

وفي الصباح الباكر؛ مر به فلاح فرآه، وحطـم الـثلج بحذائه الخشبى إلى قطعٍ، وحمل معه فرخ البط إلـى بيتـه لزوجته. وسرعان ما دبت الحياة في فرخ البط. وكان حريـا بالأطفال أن يلعبوا معه، لكنه ظن أنهم ارادوا إغاظته. وفـي غمرة رعبه؛ قفز إلى دلو اللبن؛ فتناثر رذاذ اللبن في أرجاء الحجرة؛ فصرخت المرأة الطيبة وضربت يديها في حسـرةٍ؛ فطار أولاً إلى القصعة التي كان يحفظ فيها الزبد، ثـم إلـى برميل الحب المجروش، ومنه خرج مرةً أخرى. فصـرخت المرأة وضربته بالملقط، وتسابق الأطفال، وأخذ كـل مـنهم يحاول أن يمسك به. وانطلقوا يضحكون ويصرخون أيضاً.

ومن حسن حظه؛ أن الباب كان مفتوحاً على مصراعيه؛ فقفز وسط الشجيرات إلى الجليد المتساقط حـديثاً، واسـتلقى هناك كأنه في حلمٍ. ولكن سيكون من المؤلم جدا أن نروى ما تعرض له من مشقةٍ، وما عاناه من تعاسةٍ؛ أثناء الشتاء. لقد كان مستلقياً في مستنقعٍ؛ عندما بدأت الشمس ترسل أشـعتها الدافئة مرةً أخرى، وكانت القبرات تغرد؛ فقد عـاد الربيـع الجميل.

وخفق بجناحيه مرةً أخرى. لقد صارا أقوى ممـا كانـا عليه من قبل؛ فحملاه إلى الأمام بسرعةٍ. وقبل أن يعى تماماً ما حدث؛ وجد نفسه في حديقةٍ فسيحةٍ انتصبت فيها أشـجار التفاح في أبهي صورةٍ ناضرةٍ، وفيها كانت أشجار الليمـون ترسل شذاها العطر. أواه؛ كم كان كل شيء جميلاً، ومفعمـاً بنضارة الربيع! وأقبلت من داخـل الغابـة ثـلاث بجعـاتٍ بيضاواتٍ جميلاتٍ. وأخذت تباهي بريشها في اعتزازٍ شديدٍ، وتسبح بمنتهي الرشاقة! وعـرف فـرخ الـبط المخلوقـات الجميلة، وتملكه حزن غريب، وقال: "سوف أطير إليها، إلى تلك الطيور الملكية النبيلة! وسوف تقتلنى لأننى؛ وأنا بهـذه الدرجة من القبح؛ أجرؤ على الاقتراب منها، ولكن هـذا لا يهم. فأنا أفضل أن ألقى مصرعى بأيديها على أن يعضـنى البط وتنقرنى الدجاجات، وتركلنى الفتاة التي تطعم الطيـور، وأتعرض للكثير من المعاناة خلال الشتاء!".

وطار إلى الماء، وسبح نحو المخلوقات الجميلة؛ فرأتـه وانطلقت بسرعةٍ إلى الأمام لملاقاتـه. فقـال فـرخ الـبط المسكين: "هيا اقتلونى"، وأحنى رأسه، وهو يتوقـع القضـاء عليه. ولكن ماذا رأي في الماء؟ رأي تحته أن شكله هو لـم

يعد شكل طائرٍ سمينٍ قبيحٍ، وإنما كان شكل بجعةٍ! فلا يهم أن يكون المرء قد ولد في حظيرةٍ للبط؛ إذا كان تفريخه من فقس بيضة بجعةٍ. وأخذت البجعات الكبرى تسبح حوله، وتربت عليه بمناقيرها؛ فكانت سعادته عظيمةً جدا. وكان هناك بعض الأطفال يجرون في كل جانبٍ من الحديقة، ويلقون بالحب وفتات الخبز في الماء وأصاغرهم يصيحون: "ها هو ذا طائر جديد". وصرخ الآخرون أيضاً: "نعم؛ لقد جاءت بجعةٌ جديدةٌ!"، وصفقوا بأيديهم جذلاً، وجروا ليخبروا أباهم وأمهم. وألقى في الماء خبز وكعك، وقال كل أحدٍ: "إن طائر البجع الجديد هو أحسنها؛ فهو صغير جدا وجميلٌ للغاية" وانحنت أمامه طيور البجع الأكبر سنا؛ فأحس طائر البجع الصغير بالخجل، وأخفي رأسه تحت جناحيه. كان في قمة السعادة، ومع ذلك؛ لم يكن معجباً بنفسه؛ لأن ذا القلب الطيب لا يكون معجباً بنفسه.

وتذكر كيف سخرت منه الطيور، وكيف عاملته بقسوةٍ. وها هو الآن يسمع كل أحدٍ يقول إنه أجمل طائرٍ، ويفوق كل الطيور جمالاً. وأحنت أشجار الليمون أغصانها نحوه، وأرسلت الشمس أشعتها الساطعة الدافئة. فهز ريشه ومط

عنقه الرشيق. وفي غمرة فرحته؛ قال لقلبه: "ما كنت أحلـم بمثل هذه السعادة العظيمة؛ عندما كنت فرخ بط قبيحٍ؛ يقابـل بالاستخفاف والازدراء".

حصالةُ النقودِ

كانت هناك مقادير كبير من اللعب في حضانة الأطفال. وكانت حصالة النقود الموضوعة فـوق صـوان الملابـس مصنوعة في هيئة خنزير من الخزف، وفيها بكل تأكيدٍ فتحةٌ في ظهرها. وقد وسعت الفتحة بنصل سكين، بحيث أمكن أن توضع فيها حتى العملات النقدية الكبيـرة. وكـان خنزيـر حصالة النقود محشواً بالنقود، لدرجة أن قطع النقود لم تعـد تسمع لها صلصلةٌ، ولا تستطيع حصالة للنقود علـى شـكل خنزيرٍ أن تفعل أكثر من ذلك!

وهناك؛ وقف الخنزير منتصباً وفي موضعٍ مرتفعٍ فوق صوان الملابس؛ يحملق في كل شيء في الحجرة، وعـرف أن في بطنه مـن المـال مـا يكفـي لأن يشـتري كافـة المعروضات؛ وهو ما يمنح الثقة بالنفس. وكان كل البـاقين يفكرون أيضاً على هذا النحو؛ وإن لم يقولوا ذلك. وفي درجٍ نصف مفتوحٍ؛ كانت دميةٌ كبيرةٌ تطل برأسها خارجـه. لقـد كانت عتيقةً، وفي عنقها مسمار قلاووظٍ. واقترحـت قائلـةً:

"هيا نلعب لعبةً نؤدى فيها أدوار رجالٍ ونسـاءٍ؛ ففـي تلـك اللعبة دائماً متعةٌ". وترتب على هذا حـدوث حركـةٍ هائلـةٍ وضوضاءٍ عظيمةٍ. وحتـى الصـور اسـتدارت وواجهـت الحائط، وإن لم يحدث هذا، لأنها فكرت فيه.

كان ذلك في منتصف الليل. وكان القمر يرسل ضـوءه خلال النافذة وينير الحجـرة، دون أن يكلـف أحـداً شـيئاً. أوشكت اللعبة أن تبدأ. وطلب إلى جميع اللعـب أن تشـترك فيها؛ حتى عربة الطفل التي كانت ـ حقـا ـ مـن اللعـب الخشبية، ولكن كما قالت عربة الطفل: "لكل واحدٍ حسـناته، ونحن لا يمكن أن نكون جميعاً من علية القوم؛ فلابد أن يقوم أحد منا بالعمل".

وكان خنزير حصالة النقود هو الشخص الوحيد الـذي تلقى دعوةً مكتوبةً. وكانت اللعب تخشى أن يكون في موضعٍ مرتفعٍ جدا، فلا يسمعهم إذا نادوه فقط، وهو على أي حالٍ لم يلب النداء. وفي الحقيقة لم يحضر. ولـو كـان ينـوى أن يشترك في اللعبة لفعل هذا؛ وهو في موضعه. وكـان علـى اللعب أن تقوم بترتيب ذلك، وهذا ما فعلته. وأقـيم مسـرح للعرائس، بحيث يستطيع خنزير حصالة النقود أن يشاهده من

فوق صوان الملابس. وقد كانـت اللعـب تنـوى أن تبـدأ بمسرحيةٍ، ثم يقام حفل شاى، تعقبه ندوةً.

وبدأوا بالندوة أولاً قبل كل شـىءٍ. تحـدث الحصـان الهزاز عن السباق والجياد الأصيلة. وتحدثت عربة الطفـل عن السكك الحديدية والقاطرات البخارية. وكما ترى؛ فإنهـا جميعاً تحدثت عن شيء لا علاقة له بسيرتها فـي الحيـاة؛ فتحدثت ساعة الحائط عن المخططـات السياسـية، وكانـت تعرف الوقت بالتحديد، وإن قالت اللعب إنها ليست دائماً على صوابٍ. وأخذت العصا تباهي بحلقتها الحديديـة وقبضـتها؛ لأنها كانت محلاةً بالفضة في طرفيها: العلـوى والسـفلى. وعلى الأريكة جلست وسادتان مطرزتان جميلتان، ولكنهمـا كانتا بالأحرى حمقاوين.

ها هي المسرحية توشك أن تبدأ. جلسوا جميعـاً حـول المسرح وأخذوا يتفرجـون. وطلـب إلـيهم أن يضـجوا، ويصفقوا، ويتشدقوا بـالكلام؛ ليظهـروا أنهـم يسـتمتعون بالعرض. ولكن سوط الركوب أعلن أنـه لـم يفرقـع أبـداً لأشخاص مسنين، بل لجمهور الشباب الذين لم يرتبطـوا ـ

بعد ـ بميثاق الخطبة. وقالت كسارة البندق: "إنني أفرقع لكل من هب ودب".

حسناً؛ إن المسرحية لم تكن جيدةً للغاية، ومع ذلك كان تمثيلها لا بأس به. وأدار كل الممثلـين جـانبهم المصـور بالألوان إلى جمهور المتفرجين؛ فالمقصود ألا يشـاهدوا إلا من الجانب الأفضل، وقد قاموا جميعاً بالتمثيل بصورةٍ رائعةٍ جدا. وكانت الدمية في أشد الانفعـال؛ لدرجـة أن مسـمار قلاووظها لم يعد محكماً. أما خنزير حصالة النقـود؛ فكـان منفعلاً جدا؛ إلى حد أنه قرر عندئـذٍ عمـل شـيء لأحـد الممثلين... وهو أن يدرجه في وصيته، ويرتب معه أن يقيم له جنازةً عامةً؛ عندما يحين أجله.

وقد استمتعوا بها كثيراً؛ حتى إنهم نسوا الشاى، وبـدأوا في مناقشةٍ أخرى. وهذا ما سموه اللعب بالقيام بأدوار رجالٍ ونساء. وتساءل كل واحدٍ منهم؛ ترى ما الـذي يفكـر فيـه خنزير حصالة النقود. حسناً؛ إنه لا يزال يفكر في وصـيته وجنازته ومتى يحدث ذلك، وهذا ما يحدث دائمـاً قبـل أن يتوقعه أحد. صوت فرقعةٍ! إذ سقط فجأة خنزيـر حصـالة النقود من أعلى صوان الملابس، واسـتلقت أشـلاؤه علـى

الأرض؛ في حين تدحرجت قطـع النقـود، وتنـاثرت هنـا وهناك. وأخذت إحدى قطع النقود تدور في أرجاء المكان؛ إذ كانت في لهفةٍ شديدةٍ لأن ترى العالم. وهكذا؛ قـدر لهـا أن تراه، وكذلك فعلت كل قطع النقود الأخرى. وفـي الوقـت نفسه؛ وجدت القطع المحطمة من خنزيـر حصـالة النقـود طريقها إلى صندوق القمامة.

وفي اليوم التالي؛ كانت هناك من جديدٍ حصالة نقودٍ في هيئة خنزيرٍ من الخزف؛ تقف منتصبةً على صوان الثيـاب. ولم يكن فيها بعد قطعةٌ واحدةٌ. وعلى هذا؛ لم يستطع خنزير حصالة النقود هذا أن يصلصل أيضاً، كما لم يستطع زميلـه الآخر أن يفعل؛ لأنه كان مفعماً بالنقود.

وعلى أية حالٍ، فإن الحصالة الجديدة بـدأت الشـوط، وبذلك يجب علينا أن نصل إلى نهايةٍ للقصة.

أزهار أيدا الصغيرة

قالت أيدا الصغيرة: "لقد ذبلت أزهاري تماماً"، وسـألت الطالب الذي كان يجلس على الأريكة قائلةً: "لقد كانت حتـى عشية أمس فقط جميلةً جدا. والآن؛ ها هي كلها ذابلةٌ. تـرى ما سبب ذلك؟". وكان محبوباً جدا منها؛ لأنه اعتاد أن يروى لها حكاياتٍ، وأن يصنع لها أشياء جميلةً؛ يقصها من الورق: قلوباً وسيداتٍ صغيراتٍ يرقصن فيها، وأزهـاراً، وقصـوراً شامخةً لها أبواب يمكن أن تفتح؛ كان طالباً ساحراً. وسألها: "ألا تعرفين؟ لقد ذهبت أزهاركِ ليلة أمس إلى حفلٍ راقـصٍ وهي متعبةٌ، وهذا هو السبب في أنها كلها تتدلي رؤوسـها". فصاحت أيدا الصغيرة: "لا شك أن الأزهـار؛ لا يمكـن أن ترقص!".

فقال الطالب: "إنها تستطيع أن ترقص بكل تأكيدٍ؛ فعندما يحل الظلام؛ ونكون جميعاً قد آوينـا إلـى الفـراش؛ تقفـز وتتوثب مرحاً بقدر ما يمكن. وهي تقيم حفلاً راقصاً؛ كل ليلةٍ تقريباً".

وسألت أيدا: "هل للأطفال أن يذهبوا أيضاً إلى الحفـل الراقص؟".

فقال الطالب: "نعم".

وسألت الطفلة: "أين ترقص الأزهار الجميلة؟".

فقال الطالب: "ألم تذهبى قط إلى الحديقة الكبيرة؛ أمـام القصر الصيفي الجميـل للملـك؛ تلـك الحديقـة الحافلـة بالأزهار؟".

فقالت أيدا: "لقد كنت هناك أمس مع أمى. ولكن لم تكن على الاشجار أوراق؛ كما إني لم أر زهرةً واحدةً. ترى ماذا يمكن أن يكون قد حدث لها؟ لقد كان هناك منها الكثير جدا؛ في وقت الصيف".

فأجاب الطالب: "إنها الآن في القصر. فلما يغادر الملك داره الصيفية، ويعود مع رجال حاشيته إلى المدينة؛ تهـرع الأزهار أيضاً خارجةً من الحديقة إلى داخل القصر؛ حيـث تنعم بما فيه كثيراً. أوه؛ ليتك تستطيعين أن تريها! إن أجمـل وردتين تجلسان على العرش وتمثلان دور الملك والملكـة. وعندئذٍ؛ تنظم أعراف الديكة الحمراء نفسها فـي صـفوفٍ أمامهما؛ وهي تنحنى انحناءةً شديدةً. وهـذه النباتـات هـي

السادة المشرفون على غرفة النوم. وبعد ذلك؛ تدخل أجمـل زهرةٍ من الأزهار، وتفتتح الحفل الراقص. وأزهار البنفسـج الزرقاء تمثل طلبة المدرسة البحرية الصغار، وتبدأ الـرقص مع الزنابق والزعفران التي تقوم بدور السـيدات الشـابات. وأزهار الخزامى، وأزهار البرتقال الطويلة؛ تمثل السـيدات المسنات اللاتى مهمتهن مراعاة أن يسير كل شـيء وفـق قواعد الاحتشام التام.

فسألت أيدا الصغيرة: "ولكن؛ هل للأزهار أن تقيم حفلها الراقص في قصر الملك وقتما تشاء".

فأجاب الطالب: "لا أحد يعلم شيئاً عن هذا. ربما يـدخل أمين البلاط العجوز أثناء الليل؛ ومعه حزمة المفاتيح الكبيرة؛ ليرى أن كل شيء على ما يرام. وحالمـا تسـمع الأزهـار صوت صلصلة المفاتيح؛ يلازمن السكون التـام، ويختبـئن خلف ستائر النافذة الحريرية الطويلة، ويقول الرجل العجوز: "إني أشم رائحة أزهارها، ولكنه لا يستطيع أن يعثر عليها".

فقالت أيدا؛ وهي تصفق بيديها جذلاً: "ذلك أمر عجيب، ولكن ألا أستطيع أنا أن أرى الأزهار؟".

فأجاب الطالب قائلاً: "بلى؛ إنكِ تستطيعين بلا شك، وما عليكِ إلا أن تختلسى النظر من النافذة؛ في المرة القادمة التي تذهبين فيها إلى القصر. قد فعلت اليوم هذا، ورأيت زنبقـةً صفراء مستلقية على الأريكة؛ وكانت تلك سيدةٌ من الحاشية".

وسألت أيدا: "هل تستطيع الأزهار في حديقة النباتات أن تذهب إلى هناك أيضاً؟ هل تستطيع أن تذهب بعيداً إلى هـذا الحد؟"؛ فرد قائلاً: "بلا شك؛ لابد أن الأزهـار تسـتطيع أن تطير إذا شاءت، والفراشات الجميلة الحمراء والصفراء التي تشبه الأزهار كثيراً؛ ليست في الحقيقة شيئاً آخر غير ذلـك؛ فهي تقفز من سويقاتها، وتحرك بتلاتها؛ كما لو كانت أجنحةً صغيرةً، وتطير حولها. ومكافأةً لها على أنها دائمـاً تسـلك سلوكاً حسناً؛ يسمح لها بأن ترفرف بأجنحتها هنـا وهنـاك طوال اليوم؛ بدلاً من أن تجلس في هدوءٍ علـى سـويقاتها؛ حتى تنشأ لها أجنحةٌ من بتلاتها بالفعل. وربما تكون الأزهار في حديقة النباتات لم تسمع بأن اللهو والطرب يستمران كـل ليلةٍ في القصر، ولكنني أؤكد لكِ أنكِ إذا ذهبتِ فـي المـرة القادمة إلى الحديقة، وهمستِ لإحدى الأزهـار بـأن حفـلاً راقصاً سوف يقام في الليل بالقصر؛ فإن الخبر سوف ينتشر

من زهرةٍ إلى زهرةٍ. وإلى هناك؛ سـوف يطيـر الجميـع. وعندئذٍ؛ إذا دخل الأستاذ إلى الحديقة، ووجد كل أزهاره قـد ذهبت؛ فإنه سوف يتساءل عما حدث لها".

فقالت أيدا: "هذا حقيقى، ولكن كيف تستطيع الأزهار أن تردد على مسامع بعضها ما أقوله لها؟ إني واثقة أن الأزهار لا تستطيع أن تتكلم".

فقال الطالب: "لا؛ إنها لا تستطيع أن تتكلم؛ وأنتِ علـى حق في هذا، ولكنها تتفاهم بالإشارات. ألم يحـدث قـط أن رأيتها؛ وهي تتحرك ذهاباً وجيئةً؛ عندما تهب أقل نسمةٍ من الهواء؟ إنها بهذا تستطيع أن تتفاهم؛ كما نستطيع نحن".

وسألت أيدا: "ولكن؛ هل يفهم الأستاذ إشاراتها؟"؛ فقـال الطالب: "ليس من شك في هذا. ففي ذات صباحٍ؛ دخل إلـى الحديقة، ورأي نباتاً طويلاً من نباتـات القـراص؛ يرسـل إشاراتٍ لقرنفلةٍ جميلةٍ حمراء، ويقول لها: إنكِ جميلةٌ جـدا؛ وأنا أحبكِ حبا جما، ولكن الأستاذ لم يكن في وسعه أن يسمح بمثل هذه الأشياء. وعلى هذا؛ صفق بيديه على أوراق نبات القراص التي لسعته؛ كما تعرفين بأناملها وأوراقهـا لسـعةً مؤلمةً. ومنذ ذلك الوقت؛ لم يجرؤ أن يلمس نباتاً من نباتات

القراص". فضحكت أيدا الصغيرة، وقالت: "ها ها! إن هذا أمر مضحك".

وأتى محامٍ يثير الملل في زيارة، وقال وهو يجلس على الأريكة: "ماذا تقصدون بحشو رؤوس الأطفال بمثل هذه الأشياء؟" إذ إنه كان لا يستطيع أن يحتمل الطالب، واعتاد دائماً أن ينتهره؛ عندما يراه يقطع أشكالاً مضحكة: كرجلٍ على المشنقة يمسك في يده قلباً، ويقصد به أن يمثل سارقاً للقلوب مثلاً، أو ساحرة عجوز تركب على يد مقشة، وتحمل زوجها على طرف أنفها. كان المحامى لا يحب هذه الدعابات، واعتاد أن يقول؛ كما قالوا: "كيف يستطيع أي شخص أن يحشو رأس طفل بهذا الهراء؟ يا لها من خيالات ساذجة".

ولكن أيدا الصغيرة رأت أن ما قاله لها الطالب عن الأزهار أمر مذهل، ولم تستطع أن تتوقف عن التفكير في هذا الأمر. وكانت الآن على ثقة من أن أزهارها إنما تتدلي رؤوسها؛ لأنها متعبة من الرقص كثيراً؛ في الليلة الماضية. ولهذا؛ أخذتها إلى المنضدة الصغيرة الجميلة في حجرتها؛ حيث توجد لعبها؛ وكانت دميتها ترقد نائمة في المهد ولكن

أيدا قالت لها: "يجب أن تستيقظى يا صوفى، وأن تقنعى بالنوم هذه الليلة في درج المنضدة؛ لأن الأزهار المسكينة مريضة، ويجب أن تنام في فراشك؛ فمن يدري ربما تكون في صحة جيدة غداً". وبعد ذلك؛ انتزعت من المهد الدمية التي لم تنبس ببنت شفة، ولكن بدت عليها علامات الغضب والضيق؛ لاضطرارها إلى أن تتخلي عن مهدها للأزهار.

وبعد ذلك؛ وضعت أيدا الأزهار في فراش الدمية؛ وجذبت فوقها الغطاء، وطلبت منها أن تهجع، ولا تتحرك كي تصنع لها بعض الشأي سريعاً؛ حتى تتعافي تماماً في اليوم التالى، وأسدلت الستائر حول الفراش؛ حتى لا تبهر الشمس أبصارها.

وظلت طوال المساء لا تفكر في شيء سوى ما قاله الطالب. وقبل أن تأوى إلى فراشها؛ هرعت إلى النافذة؛ حيث كانت أزهار الخزامى والزنابق التي تتعهدها أمها تقف منتصبة وراء الستائر، وهمست لها تقول: "إني أعرف تماماً أنكن سوف تذهبن الليلة إلى حفل راقص"، ولكن الأزهار لم تحرك ورقة فيها، وبدت كأنها لم تسمعها.

وبعد أن أوت إلى فراشها؛ أخذت تفكر وقتاً طويلاً في كيف أنها ستبتهج؛ عندما ترى الأزهار ترقص في قصر الملك. وقالت لنفسها: "إني لأتساءل إذا كانت أزهاري هناك". وبينما كانت تتساءل استغرقت في النوم، واستيقظت أثناء الليلة، وكانت تحلم بالطالب والأزهار وبالمحامى الذي قال لها إن الطالب إنما يسخر منها. وكان كل شيء هادئاً في الحجرة؛ والمصباح الليلي موقد على المنضدة. وكان أبوها وأمها مستغرقين في النوم، وقالت: "إني لأتساءل ما إذا كانت الأزهار لا تزال في فراش صوفى؟ إني أود كثيراً أن أعرف هذا". ورفعت نفسها قليلاً؛ وهي تتطلع نحو الباب نصف المفتوح، ورأت أن الأزهار، وكل لعبها كما تركتها تماماً، وأنصتت وخيل لها أن شخصاً على البيانو، ولكن الأنغام كانت خافتة وحلوة أكثر من أية أنغام سمعتها من قبل.

وقالت لنفسها: "لابد أن أزهاري الآن ترقص هناك بلا شك. أواه؛ كم أود أن أراها"، ولكنها لم تجرؤ على أن تنهض؛ خشية أن توقظ أباها وأمها. ليتهما يدخلان هنا! ولكن الأزهار لم تأت. ورق صوت البيانو بأنغام حلوة. وأخيراً؛ لم تستطع أن تصبر. إنها لابد أن ترى الرقص. وعلى هذا؛

زحفت بخفة من الفراش، وتسللت نحو باب الحجرة. أواه! ما أروع الأشياء التي رأتها.

لم يكن المصباح الليلي موقداً، ولكـن الحجـرة كانـت يغمرها الضوء؛ لأن القمر كان يسطع بضوئه؛ مـن خـلال النافذة وعلى الأرضية. وكانت كل الزنابق وأزهار الخزامى تقف هناك في صفين؛ في حين كانت أصصـها الفارغـة لا تزال أمام النوافذ، وكانت الأزهار ترقص برشـاقة؛ وهـي تمسك ببعضها بعضاً بأوراقها الخضـراء الطويلـة؛ وهـي تدور. وكانت تجلس على البيانو زنبقة صفراء كبيـرة؛ راود أيدا إحساس لاشك فيه أنها قد رأتها من قبل؛ إذ خطر لها ما قاله الطالب أن هذه الزهرة إنما تشبه كثيراً الآنسـة لـورا؛ وهي إحدى صديقات أيدا. وتذكرت كيف ضحك كل واحـد من الحاضرين ساخراً. والآن؛ ها هي ترى أن الزنبقة تشبه صديقتها كثيراً؛ لأنها كانت تنتهج بالضـبط طريقتهـا فـي العزف والانحناء بوجهها الأصفر المستطيل؛ إلى هذا الجانب حيناً، وإلى الجانب الآخر حيناً، وتهز رأسها إشارة للتوقيت. وخطت إلى الأمام الآن شجرة زعفران زرقاء باسقة، وقفزت إلى المنضدة التي وضعت عليها لعب أيدا، ومضت مباشـرة

إلى الفراش، وسدلت الستائر. وهناك؛ كانت ترقد الأزهـار، ولكنها نهضت في الحال، وحيت الأزهار الأخرى التي دعتها إلى الرقص معها.

وبدا أن الأزهار المريضة قد استعادت صحتها، وأخذت ترقص في مرح؛ كبقية الأزهار. وفجأة؛ سمع صوت عـالٍ؛ وكأنما سقط شيء من فوق المنضدة. وألقت أيدا نظرة فـي ذلك الاتجاه، ورأت أنها كانت القصبة التي كانت قد وجـدتها على فراشها ذات صباحٍ؛ والتي بدت شديدة الرغبة فـي أن تأخذ مكانها بين الأزهار. وكانت بلا شك قصبة جميلة جداً.

وكانت هناك دمية صغيرة من الشمع مثبتة في طرفها؛ تلبس قبعة لها حافة عريضة مثل قبعة المحامى؛ ربط حولها شريط أزرق وأحمر. وأخذت القصبة تقفز حول الحجرة في وسط الأزهار، وتطأ الأرض في مرحٍ. كانت ترقص رقصة المازوركا التي تستطيع الأزهار أن ترقصـها؛ لأن أرجلهـا خفيفة الوطء. وفجأة؛ تضخمت الدمية المصنوعة من الشـمع المثبتة بالقصبة، وتحولت إلى عملاق طويل القامة عـريض المنكبين، وصاحت في صوت جهورى: "كيـف يمكـن لأي شخص أن يحشو ذهن طفل بمثل هذا الهراء؟ يا لهـا مـن

خيالات ساذجة!. وبدت الدمية الآن أشبه ما تكون بالمحامى؛ وهو يلبس قبعته ذات الحافة العريضة؛ كما تشبه قطرة من الماء قطرة أخرى، وكان وجهها يبدو أصفر مبتئساً لا يسر أحداً مثل وجهه.

ومهما يكن من أمر؛ فإن الأزهار المصنوعة من الورق على القصبة؛ قرصت ساقيها النحيلتين. وبسبب ذلك؛ تقلص حجمها، وعادت مرة أخرى دمية صغيرة من الشمع، ورأت أيدا الصغيرة أن هذا المشهد مضحك جداً؛ حتى إنها لم تستطع أن تمنع نفسها من الضحك. وعلى أية حال؛ فإن الصحاب لم ينتهوا؛ لأن القصبة استمرت تطأ الأرض حولها ببطن قدميها، واضطرت الدمية التي تشبه المحامى إلى أن ترقص أيضاً سواء شاءت أم لم تشأ. وكانت تجعل نفسها آناً هيفاء وآناً بدينة، وحيناً طويلة وحيناً قصيرة؛ إلى أن تشفعت لها الأزهار أخيراً فتركتها القصبة في سلام.

وسمعت طرقة عالية من الدرج الذي كانت فيه دمية أيدا. لقد كانت صوفي هي التي أحدثت الصوت المرتفع، وأخرجت رأسها من الدرج، وسألت في دهشة عظيمة: "أيوجد حفل راقص هنا؟ لماذا لم يبلغنى به أحد؟". وسألت

كسارة البندق: "هل لك أن ترقصى معى؟". فقالـت صـوفي وهي تدير لها ظهرها: "لاشك أنكِ شـخص مناسـب جـداً للرقص معى"، ثم جلست على المنضدة؛ في انتظار أن تأتي أحد الأزهار وتطلب منها أن ترقص، ولكن لـم تـأت أيـة زهرة؛ فسعلت: "هم! هم". ومع ذلك؛ لم يـأت أحـد. وفـي غضون ذلك؛ أخذت كسارة البندق ترقص وحدها.

وبما أنه لم تأت أية زهـرة لتطلـب مـن صـوفي أن ترقص؛ فإنها فجأة تركت نفسها تسقط علـى الأرض؛ ممـا أحدث ضجة كبرى؛ فهرعت كل الأزهار لتسـألها؛ مـا إذا كانت قد أصيبت بأذي. ومن حسن الحظ؛ أنه لم يصـبها أي أذى على الإطلاق. وكانت كل الأزهـار الآن معهـا دمثـة مؤدبة للغاية، وبخاصة أزهار أيدا التي شكرتها لتخليها لهـا عن الفراش اللطيف الذي نامت فيه، ثم اقتادتها إلـى وسـط الحجرة التي كان يسطع فيها القمر بنوره، ورقصت معهـا؛ في حين وقفت كل الأزهار الأخرى حولها في دائرة. وكانت صوفي انذاك تشعر بسعادة غامرة؛ وطلبت من أزهار أيدا أن تستخدم فراشها مرة أخرى بعد انتهاء الحفل الراقص؛ إذ إنها لا يهمها على الإطلاق أن تنام ليلة أخرى في درج المنضدة.

ولكن الأزهار قالت لها: "إننا ندين لك بالشكر الجزيل لرقتك وكرمك، ولكننا لن نعيش طويلاً، ولن نكون في حاجة إليـه؛ لأننا سوف نكون في عداد الأموات غداً. ومع ذلـك؛ فإننـا نرجو أن تطلبى من أيدا الصغيرة أن تدفننا في الحديقة؛ قرب عصفورها الكنار. وفي الصيف القادم، سوف نستيقظ مـرة أخرى، ونكون أجمل مما كنا عليه هذا العام". فقالت صوفى؛ وهي تقبل الأزهار: "لا؛ يجب ألا تمتن!".

وعند ذلك تماماً؛ فُتح الباب فجأة، ودخـل عـدد مـن الأزهار؛ وهن يرقصن، ولم تستطع أيدا أن تعرف من أيـن أتت هذه الأزهار... اللهم إلا إذا كانت قد أتت مـن حديقـة الملك. وأقبلت أولاً وردتان جميلتان تلبسان تاجين ذهبيـين. وكانت هاتان الوردتان هما الملك والملكة، ثم أعقبتهما أزهار الخيرى والقرنفل، وأخذت تنحنى لكل الحاضـرين. وكانـت معها أيضاً فرقة موسيقية، وأخذت نباتات الخشخاش وعـود الصليب الكبيرة تنفخ قشور البسلة؛ فيصدر منها رنين مرح. ثم جاءت أزهار أخـرى عديـدة جـداً؛ أزهـار البنفسـج، والأقحوان، وزنابق الوادى، والنرجس، وغيرهـا. وأخـذت

كلها تتحرك في رشاقة عظيمة؛ حتى إن رؤياها كان يسر لها الفؤاد وتقر بها العين.

وأخيراً؛ ودعت هذه الأزهار السعيدة بعضـها بعضـاً، وتمت لها ليلة سعيدة. ودلفت أيدا الصغيرة إلى فراشها؛ لتحلم بكل الأشياء الجميلة التي رأتها.

وفي صباح اليوم التالي؛ حالما ارتدت ملابسها؛ ذهبـت إلى منضدتها الصغيرة؛ لترى ما إذا كانت أزهارها هنـاك، وجذبت ستائر السرير جانباً. نعم؛ هناك كانت ترقد الأزهار. ولكنها كانت اليوم أشد ذبولاً؛ مما كانت عليه بالأمس. وكانت صوفي أيضاً ترقد في الدرج، ولكن يبدو أنها كانت نعسانة، وسألتها أيدا الصغيرة: "أتذكرين ما قالته لك الأزهـار لكـي تبلغيه لى؟". ولكن صوفي بدت عليها أمارات البلاهة، ولـم تنبس ببنت شفة، فقالت أيدا: "إنك لست لطيفة على الإطلاق. ومع ذلك؛ فإن كل الأزهار سمحت لك بأن ترقصى معهـا". ثم اختارت بعد ذلك من لعبها صندوقاً صغيراً مـن الـورق المقوى؛ رسمت عليه صور طيور، ووضعت فيه الأزهـار الذابلة، وقالت: "ذلك الصندوق سوف يكون تابوتـاً. لكـن؛ عندما يأتى أولاد عمى لزيارتى؛ فإنهم سوف يذهبون معـى

لدفنكن في الحديقة؛ لكي يمكن أن تزهون مرة أخرى في الصيف القادم، وتصبحن أجمل مما كنتن هذا العام".

وكان ابنا العم اللذان تحدثت عنهما ولدين خفيفي الحركة؛ يسميان جيمس وأدولفوس، وكان أبوهما قد أعطاهما قوسين جديدين؛ أحضراهما معهما ليرياهما لأيدا. وعندئذ؛ أخبرتهما بالأزهار الجميلة التي ماتت وتقرر دفنها في الحديقة، وسار الولدان أمامها بقوسيهما؛ وهما معلقان على كتفيهما، وتبعتهما أيدا الصغيرة؛ وهي تحمل الأزهار الميتة في تابوتها الجميل، وحفر لها قبر في الحديقة، وقبلت أيدا الأزهار مرة أخرى، ثم وضعت الصندوق في الحفرة العميقة، وأطلق جيمس وأدولفوس سهاماً على القبر بقوسيهما؛ لأنه لم يكن لديهما بنادق ولا مدافع.

الدكتور عبد الحميد يونس

رائد الآداب والفنون الشعبية بالوطن العربـي. ١٩٢٠ ـ ـ ١٩٨٨. ولد بالقاهرة. وشكل أول جمعية للفنون الشعبية في ١٩٥١. وكان أول وآخر أستاذ كرسي لـلأدب الشـعبي بجامعة القاهرة حيث ألغي بعد ذلك العمل بهذا النظام. أسس مجلة الفنون الشعبية ورأس تحريرها سنة ١٩٦٤. مؤلفاتـه تعد حتى هذه اللحظة أهم المراجع في علم الفولكلـور. ولـه إسهامات بارزة على درب التنوير. وكـان أول مـن أنشـأ متاحف ومراكز ومعاهد الآداب والفنـون الشـعبية بمصـر والعالم العربي. واختير رئيساً فخرياً مدى الحيـاة للجمعيـة العربية للمأثورات الشعبية عام ١٩٨٦، ولا يزال تلاميذه من المحيط إلى الخليج يتابعون مسيرته الرائدة.